السنة السادسة العدد ٦٩ ذو القعدة ١٤٠١ هـ - سبتمبر ١٩٨١ م

الدوحة

● حقيقة السلاح النووي في إسرائيل

● اطلب مع العدد هدية: خريطة استقلال الوطن العربي

الاستقلال ١٩٧١ و ١٩٨١





"أنا أفكّر..."

كان الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » يقول : « انا افكر .. إذن انا موجود » وهو يعني ان الفكر الذى توصل اليه عن طريق الشك هو الحقيقة الكبرى فى وجوده ، بل البرهان الأمثل على وجوده »
وأريد فى هذا الحديث ان اقتبس من ديكارت ، فاقول : « انا افكر .. إذن ، فانا مسلم » ..

ذلك بانه إذا كان الدين ضرورة ، وانه لكذلك . فليس ثمة دين مثل الاسلام رعى حرية التفكير ، وحرية التعبير .

والفكر فى الاسلام محترم ومقدر حتى بمعناه الفلسفي .. فاذا كان « ديكارت » قد قال أيضاً : « شك لتعرف » ، فقد سبقه رسول الاسلام الى هذه الحقيقة بعدة قرون . وذلك عندما ذهب اليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ نفر من اصحابه مفزعين ، وقالوا : يارسول الله . إنا لنجد فى انفسنا ، مالأن نحترق حتى نصير حمماً اهون علينا من أن نتلفظ به ـ يعنون بهذا الشك فى الله سبحانه ..

فابتسم الرسول في وجوههم ابتسامة ذكية ، وقال لهم : هل وجدتموه ؟ ـ يعني الشك ـ قالوا : نعم .. قال : الحمد لله . هذا محض الايمان .. !!!

وبذلك سرّى عن انفسهم ، وربط على قلوبهم ..

وهكذا يصير الشك فى الاسلام ليس طريقاً الى تمحيص الفكر وحده . بل والى تمحيص العقيدة أيضاً .. وهذه مكانة لم يتبوأها الفكر فى دين ولا فى فلسفة مثلما تبوأها فى الاسلام .. !!



لقد وردت كلمة « الفكر » ومشتقاتها فى القرآن تسع عشرة مرة . وجاءت المرادفات لها عشرات المرات من كلمات الفقه ، والعلم ، والعقل .. وفى كل مرة كان القرآن العظيم يجعل من عملية التفكير هدفا علياً ، يتوسل الناس اليه حتى بالعبادة نفسها .

يقول القرآن الكريم : « قل إنما اعظكم بواحدة ـ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا » .. فهنا يجعل القيام لله سبحانه وسيلة لتحقيق مستوى من الفكر رشيد .

ويقول : « كذلك يبين الله لكم الآيات ، لعلكم تتفكرون » .. أى ان الله سبحانه وتعالى يرسل رسله ، ويوقد مشاعله ، ويصرف آياته بين الناس ، ويبينها لهم ؛ لكي يصلوا أيضاً الى مستوى من الفكر رشيد ..

وحين يشد القرآن انتباه الناس الى مافى ملك الله وملكوته من عجائب زاخرة وآيات باهرة .. يدعوهم لأن يكون استشرافهم لهذه الآيات وسيلة لتحقيق

بقلم
خالد محمد خالد



مستوى من الفكر رشيد ..

وحين يقص قصص الانبياء السابقين ، وانباء الامم السالفة التى ارحضتها غواشي الفتن والضلال ، ثم حين يامر رسول الله عليه السلام ان يقص تلك الانباء على المسلمين وغير المسلمين يقول سبحانه : « فاقصص القصص ؛ لعلهم يتفكرون » ..

وحين يضرب الله الأمثال لعباده ؛ فانما يقدم لهم بها مادة للتفكير .. يقول سبحانه :« وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » ..

ويجمل الله دعوته للتفكير ، وايثاره الفكر فى هذه الآية الكريمة : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون » .. فتبيان الرسول لما انزل الله .. صنو وقرين لعمل الفكر فى هذا الذى انزله الله .. بل أن الفكر فى هذه الآية يكاد يبدو متمما لعمل الرسول» ولا نعرف تقديراً للفكر يفوق هذا التقديــر !!

اجل .. انا افكر ، إذن انـا مسلم .. انها كما رايتم حقيقة لا يغشاها ارتياب .

والاسلام فى توقيره الفكر إنما يساير فطرة الله . فالفكر اسمى عطايا الله للانسان . ولقد اعلن الله رشد الانسان حين بزغ عقله ووعيه .. وحين نما وساد فكره .. إذ بالفكر ساد الانسان عالمه وحول احاسيسه الغامضة ، ومبهماته الباطلة الى وعي ، وحركة ، ومستقبل .. وبالفكر استطاع ان يحول غرائزه الحيوانية الى حاجات انسانية ، ويحول اسرار الطبيعة المضمرة الى عالم جديد ومشيد ، واستطاع ان يمتلك ــ على حد تعبير هيجل ــ غريزة خلق ذاته .. !!

والعلم ، والفلسفة ، والفن ، والأدب .. تعبيرات وقوى اهتدى اليها الفكر الانساني ؛ ليطور بها وجوده .. ويثري بها حياته .. ويبلغ بها غايته .. وهي جميعاً مجلى الفكر الثاقب والنامي .



وكلمة « فكر » تبدو وفيها من السيادة ما يجعل كلمة « حر » الى جوارها فضولا ولغوا !! ، فليس للفكر سوى حالة واحدة يتاكد منها وجوده ــ تلك هي حالة التحرر المطلق من كل القيود .. اى انه ليس ثمة فكر حر ، وفكر غير حر .. بل هناك فكر ، او لا فكر على الاطلاق !!

والمفكر الرشيد حقا ، ليس هو الذى يقول : « هذا ، ولا شيء معه » بل الذى

" أنـــا أفكـــر...
إذن أنـــا مسلـــم !! "

يقول : « هذا ، حتى يظهر أصدق منه » ..

ولا ينبغي بحال أن يحجر على الفكر باسم الدين . والذين يفعلون هذا أو يحاولونه . هم قوم شردتهم الجهالة ، وألقت بهم بعيداً بعيداً عن الفكر والدين.

وكذلك الذين يحاذرون على الفكر وعلى التقدم الانساني من الدين ، انهم بعيدون جداً مما عليه يخافون ويحذرون!

فالفكر قد بث نفسه فى كل مجالات العقيدة والمعرفة . والعلم بشتى فروعه . والفلسفة بكل آفاقها ـ هما مجلى ظهور الفكر ، ومجال حركته ، وثمرة محاولاته وكدحه .. بل ان الفكر كذلك ثاو فى قلب الدين .. والتطور الملحوظ فى التفكير الديني وفى تجديد مفاهيمه دليل على عمل الفكر فى الدين .. وفى هذا ما يجعلنا أقرب رحماً الى الفكر ، وأكثر توقيراً له ، ومعرفة بدوره ..



قلنا : إن للفكر مكانه السامق والشامخ فى الاسلام .. ولم يعرف الفكر الاسلامي ، كما لم يعترف بأى حجر على حريته . وليس معنى ذلك انه نجا من محاولات قهره واضطهاده من بعض الحاكمين وبعض الغوغاء .. بيد أنه تفوق على كل قهر وكل اضطهاد .. وهذه عظمته ، وعظمة الدين الذى استظل برايته .

لقد سار الفكر الاسلامي فى الدروب غير المطروقة ، ورحل عبر المجهول ، ومضى يضرب فى نجود الحقيقة وسهولها ، ويحلق فى آفاقها وسمائها .. وآخى بين الأفذاذ من المفكرين المسلمين .. فالفارابي التركي ، والغزالي الفارسي ، والمعرى العربي ، وابن باجه الفرنجي .. وغيرهم ممن اقتحموا المعاقل وتسوروا الحصون ، وادى الفكر من خلال أفكارهم رسالته الجليلة والنبيلة .

ولقد كانوا أساتذة ، لا للمسلمين وحدهم ، بل ولنفر كثير من علماء أوربا ومفكريها . فالفارابي وابن سينا هما اللذان نقلا الى المسلمين ، وبالتالي الى أوربا فكر أفلاطون وأرسطو ..

ويقول ج . بيوري فى كتابه حرية الفكر : « إن أول موجة من النور أهلت على أوربا ، كانت مؤلفات ابن رشد » ..

ويقول الدكتور عمر فروخ فى كتابه تاريخ الفكر العربي : « إن ابن حزم مس نظرية المعرفة مساً صحيحاً قبل عمانوئيل كانت الذى جاء بعد ابن حزم بثمانية قرون .. وكذلك بسط ابن خلدون العربي الافريقي فلسفة الاجتماع قبل مونتسكيو ، وتارد ، ودركهايم الفرنسيين الأوربيين بخمسة قرون .. وإن البراهين التى جاء بها الغزالي المسلم الآسيوى للدفاع عن الايمان قد تبناها القديس توما المسيحي الأوربي .. إن البراهين التى اعطت الغزالي لقب حجة الاسلام ، هي التى أعطت توما الاكويني لقب قديس .

وكما قلنا من قبل ، فان الفكر الاسلامي لم يعرف فى مساره حدوداً ولا سدوداً .. بحث فى كل شيء ، وتكلم عن كل شيء ـ حتى الذات الالاهية ، وواجه الفكر الاسلامي كل قضايا الالوهية بجسارة عجيبة !!

فهناك المفكرون الذين تساءلوا : هل ذات الله غير صفاته ؟ أم ذاته وصفاته شيء واحد ؟ وهناك المفكرون الذين قالوا : إن الله لم يتصف منذ الأزل بصفات يتصف بها عباده مثل ـ حي ، وعالم ، ومريد ـ ولا ينبغي أن نثبت لله إلا الصفات التى تكون له وحده مثل ـ خالق ومحيي ومميت ـ .. هناك من ناقشوا علم الله ، وهل هو متعلق بالكليات والجزئيات ؟ أم أن علمه سبحانه قاصر على الكليات ؟ وهل الله يرى فى الدنيا ؟ أم يرى فى الآخرة ؟ أم لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة .. ؟ وهل الجنة والنار خالدتان أم فانيتان ؟

واقتحم الفكر فى الاسلام قضايا الغيب جميعاً ، حتى اصطنع علماً خاصاً ومتكاملا ، سمي « علم الكلام » ..

.. وحتى الروح التى أغلق القرآن باب النقاش فيها حين يقول : « ويسئلونك عن الروح . قل الروح من أمر ربي » ..

أخضعها الفكر الاسلامي لتطلعاته وفحوصه . ورفع علامات الاستفهام الكثيرة الموضحة أمامها . وراح يقنص ويتفلسف ويجيب !!! .



وفى الاسلام ينداح طريق الفكر ، وتتسع مذاهبه .. ويظهر الخوارج ، والشيعة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والقدرية .

ثم ظهرت المذاهب الفقهية . وهي اية على ما بلغه الفكر فى الاسلام من حرية وشموخ .

ففي الفقه الاسلامي خضعت اصول الاسلام من قرآن وسنة لتفسيرات فكرية متباينة . مما نشأ عنه اختلاف وجهات النظر . تبعاً لحرية التفكير . فظهرت المذاهب الاربعة ـ وزعماؤها ابو حنيفة النعمان ، والشافعي ، ومالك ، واحمد بن حنبل .. كما ظهر الى جوارها مذاهب اخرى كثيرة لم يكتب لها ان تظل فى مكان الصدارة طويلا .

ونهض فى مواجهة اهل الحديث ، اهل الرأي .. يقول الامام ابو حنيفة : « فقهنا هذا رأي ـ فمن جاءنا بخير منه قبلناه » ..



إن الحرية التى ظفر بها الفكر الاسلامي تبعث على الدهش والعجب .. فبينما حرمت الكنيسة فى عصورها القديمة « تعاطي » الفلسفة ، نجد الفكر الاسلامي بدءاً من عصر المنصور العباسي ، يتابع العلم والفلسفة عند اليونان ، ثم لا يكتفى بقراءتها بل يقوم بنقلها الى اللسان العربي حتى يجيء عصر المأمون ، فتتسع حركة النقل والترجمة وتتراحب ابعادها .

ويظهر النظام ، والعلاف ، والجبائي ، والجاحظ ، والأشعري .. ثم يأتي « رتل » من الشامخين ـ امثال أبى بكر الرازي ، وابن الهيثم ، والكندي ، والتباني ، والفارابي ، وابن مسكويه ، وأبي الوفاء البوزجاني ، وابن يونس المنجم ، وابن سينا ، وابن النفيس ، والبيروني ، وابن خلدون .. ويعزف الفكر « سيمفونيات » ليس لها نظير .. اليست حقا ، هذه المقولة : « أنا افكر .. إذن أنا مسلم » ..؟! وهل اتاكم نبأ جولة الفكر مع « إخوان الصفا » ..؟!

إنهــا لعجيبــة ..

فمع اولئــك الاخــوان لم يحــرف الفكــر عــن حريتــه رغبــة ولا رهبــة ... فلقــد كانــوا يقولـــون « إن النجاة لا تكون بالعبادة والأخلاق فقط ، بل بالاحاطة بالعلوم وبالمعــارف » .. !!

وستختلف مع « إخوان الصفا كثيراً .. لكن سيظل المغزى العظيم ماثلا فيما كان للفكر من حرية فريدة فى ظل الاسلام » !! لقد تركوا اثنتين وخمسين رسالة لم تترك باباً من المعرفة ، والفلسفة إلا طرقته ، ولقد شهد القرن الرابع الهجري من نشاطهم الفكري الشيء الكثير .

لقد لخصوا منهجهم الفكري والعلمي فى وجوب معرفة كل شيء عن كل شيء ..

فعن حقيقة الشيء ، يسألون : ماهو ؟ وعن مقداره ، يسألون : اى شيء هو ؟ وعن مكانه او درجته ، يسألون : أين هو ؟ وعن زمانه:يسألون : متى هو ؟ وعن علته وعن مقداره ، يسألون : كم هو ؟ وعن صفتــه يسألون : كيف هو ؟ وعــن نسبتــه يســألــون : اى شيء هـــو ؟ وعن زمانه يسألون: متى هو؟ وعن علتــه يسألون : لم هو ؟ وعن تعريفه يسألون : من هـــو ؟ .

لقد شهد الفكر معهم ملحمة من اكبر ملاحمه واكثرها تنوعاً ، وصلابة .



وإن الفكر الاسلامي ، رغم انه فكر ملتزم ، راى من حقه ان يفحص كل شيء ، ويدلي بدلوه في كل ماء .. وحتى حين التقى بافكار ارسطو ، وافلاطون ، والرواقيين والابيقوريين رفض الانبهار بهم ، واحتفظ باستقلاله العظيم وعبر عنه ابن سينا بكلماته القوية هذه : «حسنا ما كتب من شروح لمذاهب القدماء وقد آن ان تكون لنا فلسفتنا ورأينا » ..

وبعــد ، فان الفكر الاسلامي يرى أن الحقيقة لم تخسر ولن تخسر يوماً قضيتها فى صراع حر مكشوف ، وهو لهذا يرفض كل صورة من صور الاستبداد بعقول الناس وضمائرهم .. ويعتقد هذا الفكر العظيم اننا نجعل من عقل الانسان شيئاً خسيساً وجباناً إذا لم نسمح له بحرية الرأي والابتكار .

وإن الفكر الاسلامي عبر تاريخه الطويل ليتمتع بذلك الطموح النبيل لمعرفة كل شيء ؛ لأنه يعلم انه هنا على وجه التحديد يكمن الفارق بين الفكر والغريزة .. وبين الانسان والحيوان ..!!

خالد محمد خالد

عندما تقتل الشمس

الأسئلة!

ماهذا ؟؟

أول عبارة مفيدة يتعلمها الانسان طفلا فى فترة محاولة النطق ..

يوجهها ـ كحركة أولى ـ بنظراته ، وهو يتطلع الى كل شيء !

يضعها بين شفتيه لتكون دلالة على المقدرة بالكلام !

السؤال .. مفتاح يدخله الانسان فى ثقوب أبواب موصدة أمامه ، ويعند إلحاحه ، وترتعش حيرته ، ويكتشف ـ فجاة ـ انه الواقف الوحيد أمام أبواب مقفلة ، وأن كل الناس قد دخلوا ، وهذا ضجيجهم من وراء الأبواب !!

السؤال .. بداية الكلام ، والكلام منتهى صبر الانسان ، وبداية عذابه !

السؤال ... عنوان نظرة ضائعة او محاصرة ...

السؤال .. « نيون » شفة ... حينما تنفرج، ففى حركتها بحث عن اجابة .. عن كلام .. عن شيء يضع نهاية لصبر الانسان !

إن أول استنطاق لأشياء الحياة يأتي من سؤال ، والأذكياء جدا هم الذين يحسنون وضع السؤال !!

فالحياة فى معايشتها تخلو من أية إجابة ، متلاحقة من الأسئلة المتوالدة !

الاجابة ليست مقياس ذكاء الانسان ، فالذى وضع لك السؤال هو الذى جعلك تفكر ، وتجيب ، وتبحث ، وتتروى ، وترفض احيانا ، وتصمت ، وتثرثر ، وتغمض عينيك .. وهذا لا يكون مقياس ذكاء ، وإنما هو المعرفة والتجربة والتدبر

الأسئلة السخيفة تسقط دائما من محيط اسرتها .. إنها تبدو اجوبة فى نهاية علامة استفهام !

أغمض عينيك ـ إذن ـ واسترجع ساعات يومك ..

فى امكانك أن تحصى عدد الأسئلة التى طرحتها ، والتى تلقيتها من الآخرين وحاول أن تفرق بين السؤال المباشر والمذهل والذى يضطرك أن تفكر ، وأن تستيقظ ذهنيا ، وأن تنتعش نفسيا، وبين السؤال الاجابة .. الذى تقذفه فى وجه غيرك ، ولا تعطيه فرصة المعرفة والتفكير ، والتعب لكي يفهمك !

ما قيمتك كانسان إذا تداعيت ، وعرفت ـ بتشديد الراء ـ نفسك للآخرين .. دون أن تضطرهم ليعرفوك من خلال اسئلتك ..؟!

ما قيمة السؤال المطروح عليك إذا جاءك من واحد استطاع أن يفهمك باسئلته .. لا باسئلتك ؟! .

فى محيط المرء داخل يومه أسئلة معتادة ، مكرورة ، متوقعة ، ومع ذلك فلا مفر من التورط فيها ، والانسياق اليها !!

وأول ما يلتقى بك أى آدمي .. يسالك : كيف الحال ؟!

سؤال تقليدى ، فربما استفسر منك عن الحال وهو يبصرك مريضا ، متهالكا ، أو كئيبا ، تزفر ، ومتجهم الجبهة .. لكن التقليد ـ كما قيل ـ هو غباء ، والتعود هو انسياق منجرف .. وكان من الممكن أن يبلور السؤال .. ليقول : هل تشعر بتحسن ، هل تؤلمك الكآبة الى هذه الدرجة ؟!

● وأول ما تبدأ عملك اليومي .. تسأل « بماذا أبدأ ؟! »

ربما كنت تعلم بماذا تبدأ ، أو انك قد تعودت كل يوم على سحب مجموعة أوراق على مكتبك لتقرأها ، وتشرح عليها أو انك التزمت بعمل يدوي .. لكن «الوقفة» للسؤال تلوح احيانا وكأنها مفتاح الزمبلك الذى يطلق اللعبة لتجرى وتدور .. ثم تنسى بعد دقائق انك قادر على وقفة السؤال .. فالسخافة سريعة الاندلاق !

● وأول ما تفعله زوجتك فى البيت انها تسأل : ماذا نأكل اليوم ؟!

هذا لا يكون هو السؤال الصميمي .. ولكنه « اشتغال » بسؤال .. بحث عن شجاعة تعطى المرونة لتقبل روتين البيت الذى تعودت عليه سيدته ؟

بقلم
عبد الله جفري

● واول ما تفتح كتابا لتقرا .. تسال :
ــ ماذا كتب المؤلف ؟! ..
السؤال هنا .. حرص على ان تعلم وتفهم ، وجهل باشياء كثيرة لم تعرفها بعد ، وتحاول ان تطاول المؤلف ليحاذى كتفك كتفه ، وتمارس معه نظرية الخط المستقيم ! كل واحد وضع سؤالا ، وحاول ان يجيب عليه ..
وكل واحد وضع سؤالا .. ولم يقدر ان يجيب ، وهذه اسباب الحيرة فى العالم كله !
سبب الخير فى اعماق الانسان .. سؤال يقول :
ــ من انا وسط الناس ؟؟ .
وسبب الشر فى نفسية الانسان .. سؤال يقول :
ــ لماذا انا هكذا بين الناس ؟؟
ولا مفر من السؤال فى ذات الانسان .. موجها الى واقعه ، الى ظروفه ، الى ملابسات يومه ، الى سلوكه مع الناس .. والمطلوب ــ هنا ــ هو وعي الانسان ، وادراكه ، وإلمامه ! ..
إن كل اشيائنا فى الحياة ترصدها «اشارة» حتمية تعبر عنها بانتصاب السبابة ، فنشير دائما قائلين : هــذا !! و « هذا » .. شيء يجذب ابصارنا ، أو أسماعنا ، أو رغباتنا ، أو حتى حاستنا السادسة المعروفة بـ « التلباثية » ، .. لتتحول كلمة « هذا » الى « لماذا » ... وينتصب سؤال هرقلي مرهق ، مفحم ! .
قد تكون الأشياء خاضعة كلها للعقل أو كما أسموه : للمنطق .. بمعنى أن «الارتكاز» المبدئى ، والأساسي هو عامل مادي فى حياة الانسان ، لتنمو بعد ذلك العاطفة والأحاسيس ، فتتولد الأسئلة !
الطفل .. يقال عنه فى بداية حياته .. عقله صغير .. بمعنى انه لا يعي ، لا يميز وهذا خطأ ، فاول سؤال طرحناه .. كنا اطفالا .. ميزتنا عن المخلوقات الاخرى هو العقل .. غير أن العقل ينمو مع مقدرة الانسان ككيان ، وكبنيان ، وكمعرفة ، وكتجربة .. هنا عقل .. وسؤال !
ويقول الفيلسوف الالماني «هيجل» :
ــ إننا نجعل فى الواقع الانسان الواعي بذاته نقطة بدايتنا .
هذه نقطة البداية إذن ؟!! .
ويفسر مستطردا فيقول :
ــ « انه ــ اى الانسان ــ هذا ــ الذى علينا أن نفسره الى لماذا » !
إننا نبحث عن تجربتنا ، والتجربة تبدأ دائما بسؤال ، وهذا السؤال يهتم به الفيلسوف الالماني فيقول :
ــ « تفكيرنا لا يخلق الأشياء ، وانما يجد نفسه فى الأشياء ، والأشياء تنتمي الى تجربتنا » !!
فمن الذى خاض إحدى تجاربه فى الحياة ، بدون أن تكون بدايتها سؤال ؟!

● ● ●

معظم الأسئلة المطروحة ليست هي حقيقة الانسان .. لسبب واحد فقط ، وهو أن الانسان لا يودع صدقه فى الاسئلة التى يضعها !! .
إن الواحد تصل به كابته احيانا الى درجة كبيرة من الفقد لصفائه الذهني ووداعته النفسية .. ويفاجا بمن يقول له على حين غرة :
ــ ما بالك مكتئبــة ؟!
ولا يبحث عن فرصة للاجابة الرائعة ولكنه يصبح أسير ارتباكه ، فيجيب بسؤال آخــر ، أو يلقى سؤالا .. هو اجابة مرمدة .. ينعدم فيها ذكاء السؤال ، فيقول
ــ من قال لك إننى مكتئب ؟!
إن التلقى ، والتسديد فى ان واحد .. مقدرة صعبة لا يجيدها كل واحد يحب ان يجيب بسؤال ..
إن شيئا نادرا أسمه : الشمس القاتلة للأسئلة .. يتلخص فى بحث الانسان عن وعيه ، وتحوير كلمة « هذا » الى كلمة مغايرة مربكة هي : « لماذا » ، واختلاط الكلمتين معا فى جملة طويلــة تعطى معنى يحرك الأكف لتدوى ، أو يخرس الألسن لتقعى فى جوف الفم !
ذلك الشيء النادر ورد فى هذه الحكاية التى رويت عن السياسي الشهير « تشرشل » :
● « تشرشل .. عرف عنه أنه لا يجيب اجابة مباشرة على اي سؤال يوجه اليه ، وتراهن احد الساسة ذات مرة مع بعض اصدقائه على مبلغ كبير إذا هو استطاع ان يحصل على اجابة مباشرة منه ، فسالــه عقب فراغــه من عمله :
كم الساعة الآن يامستر تشرشل ؟! ...
فاخرج السياسي العجوز ساعته من جيبه ، وتطلع اليها ثم قال : وما هو


هيجل


تشرشل


لينكولن

عندما تقتل الشمس الأسئلة !

الوقت الذى تشير اليه ساعتك أنت ؟!

شيء اسمه « التلقى والتسديد » فى فن السؤال ، والاجابة عليه ، وهذا ليس ملك العظماء ، والدهاة فقط !!.

لقد استطاع مجنون « مزمن » فى مصحة بامريكا ان يضع إجابة عاقلة وذكية فى سؤال :

● دخل عليه مدير المصح ، وهو رجل وخط الشيب فوديه ، وجلله الوقار ، وتماسك بالصرامة ، وأراد ان يخضعه لامتحان حتى يقرر إخراجه من المصح وسأله المدير قائلا :

ـ قل لي ... من الذى قتل جون كينيدي ؟؟

ـ فقال المجنون : من الذى قتل «لنكولن» أولا ياسيدى ؟!

أعثر على أشعة شمس ـ هنا ـ فى اجابة المجنون .. قتلت كل الأسئلة التى كان قد اعدها مدير المصح !!

وهذا يعني انه علينا قبل طرح أى سؤال .. أن نتذكر اسئلة كثيرة من الممكن أن تأتي بأسلوب التلقى والتسديد !!

● ● ●

وتأتي ـ بعد هذا ـ أسئلة لم توضع للسامع أو للقاريء وإنما وضعها قائلها مفتاحاً يعطيه فرصة ذاتية من داخله .. يشرع بها كل الأبواب الموصدة ، ليجيب على اسئلة تراكمت فى اعماقه .. أثقلته بديمومتها ، وقدمها ، والصبر على كتمانها .. فقذفها ، أباحها ، ليصمت السامع لها .. يتلقاها سؤالا إثر سؤال ، وينتظر الاجابة عليها !!

ونحن لا نجرؤ دائما أن نبوح بمكنونات الصدر ، وشجن النفس .. فتتعتق الأحزان بين الأضلع ، ويعلو الشجي ، ويفيض صبر النفس .. وبداية الكلام سؤال :

ـ لماذا حزين أنت ؟!

ويستطرد سؤال : ما بال نبضك منفعل .. لمن صمتك ؟!

وبداية الكلام سؤال .. والكلام منتهى صبر الانسان ، وبداية عذابه ! .. ويتكلم المقذوف بالسؤال .. يسأل من جديد ، كما سؤال تاه به « سليمان العيسي » فى إحدى مؤتمرات الأدباء العرب فقال :

ـ أليس لها يادار فى كل خطوة ..
خيال تساوى عنده البعد والقرب؟
هنا وقفت يوما ، هناك تحدثت ،
هناك ابتسمت لما التقى الدرب
والدروب
ألم صدى صوتي ويورق فى دمي
جدار على همسي وهمستها رطب ،
وأمضي غريبا فى الممر ، وأنحني
على ألف طيف من ضفائرها يحبو
ممر .. تركناه فى حناياه جمرة .
دعى رمقا من حرها .. إنه عذب !

إن « سليمان العيسى » لم يجب على سؤاله .. إنه لم يزل مصدوع الفؤاد .. مشروخ الأيام . طرح السؤال فى لحظة الفقد ، وطمره الذهول بعد ذلك ، فما زال يلتمس بطريقة الكفيف . مازالت العبارات التى استطرد بها تفسيرا ، وليست اجابة !!

لكن هذا الشاعر قد سأل .. فهو خطا الى بداية الكلام ، وهو قد انتهى صبره وطفح عذابه ، إنه يسأل ولا يرنو الى إجابة .

كل الاجابات التي تمنح له ، وتعطى على سؤاله لا تعني عنده أن يجد نفسه فى الأشياء . فكل هذه الأشياء لا تنتمي الى تجربته .. مطلوب من تجربته نفسها أن تجيب ، وإجابة التجربة أن يكون هو فى مستوى ذلك الاستعداد الذى أهله لخوض التجربة .. أن يعمد شاخصا بسؤال .. فالتفكير لم يكن تجربة ، وإنما أداة من أدواتها ، والسؤال لا يعتسفه الشاعر ليطفىء به قلقه ، وخوفه ، وحيرته .. وإنما يحوره من أداة اشارة تقول : « هذا » الى كلمة « لماذا » ، فيعطى للسؤال قيمة البحث عن أشياء قد تكون « كيفا » أكثر مما هي « كم » !!

أفليس « هذا » و « لماذا » هما أهم عذاباتنا فى عالمنا العربي اليوم : سياسـة ، وثقافـة ، وحتى وجداناً ؟!

● ● ●

السؤال كان :

● لماذا يلتزم الكاتب بسطور يعود عليها نظرات القراء أسبوعية ؟!

السؤال كان :

● لماذا نعطى « السهر » أكثر شيء حساس ، ورهيف فينا: عيوننا ، ثم نغمضها على لا شيء ؟!

السؤال كان :

● هل يملك الليل وحده حق مخاض «السؤال» فى وجدان ، وذهن الانسان ، وتأتي الشمس لتقتل الوليد ؟!

السؤال كان :

●هل الحقيقة تأتي بلا سؤال ؟ .. وقد شبهوا الحقيقة بالشمس .. والسؤال مفتاح حقيقة ، فكيف تقتل الشمس مفتاح الحقيقة ؟!

السؤال كان :

● الوفاء .. صمود زمني ، أم أن الصمود ذكرى ؟!

فى بداية الكلام ، وهذه السطور كلام الالتزام ، أردت أن أناقش سؤالا احتمى بذهولي ذات لحظة ، واقتحم عقلي ، وشعرت برغبة فى الاجابة ، أو فى مجابهة السؤال الحتمي .. المقتحم بسؤال آخر ، فاذا أنا أتكلم ..

وكان سؤال .. كان بداية كلام .. والكلام منتهى صبر الانسان وبداية عذابه ..

ولقد تكلمت .. لكني ـ حتى نهاية هذه السطور ـ لم أضع اجابة على السؤال ، فقد ذاب الليل ، وأشرقت الشمس، وتجندل السؤال قليلا !! .

عبد الله جفرى

انعطاف خطير في الفكر الصهيوني



غولدمان يعترف بانحلال إسرائيل ويطالب بتغيير أُسسها

ناحوم جولدمان

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

فى الوقت الذى كانت فيه اسرائيل تمارس أقوى مالديها من قوة مادية عسكرية فاتكة ومدمرة فى الأسابيع الأخيرة ، كان الفكر الصهيوني الذى تستند اليه فى تبرير وجودها وتوسعها ، يصل الى أقصى ما وصل إليه حتى الآن من تراجع ومرارة واحساس فاجع بالاخفاق التاريخي ، وتخوف من المستقبل يصل الى حد الانذار باقتراب الكارثة للكيان الاسرائيلي .

وعلينا كعرب أن نتابع ونرصد «الظاهرتين» معاً لرؤية الحقيقة ، حقيقة عدونا ، على وجهيها ، كي لا ناخذ وجهاً واحداً فقط فنخطيء التقييم .

إن « تقدم » اسرائيل العسكري ، يقابله « تراجع » فى الفكر الصهيوني ... وهو تراجع يصل الى حد « الانعطاف » النوعي فى توجهات هذا الفكر . والمدهش أن ذلك التراجع يتزايد ويصبح أكثر حدة كلما تمادت اسرائيل فى استخدام قوتها الباطشة .. وكان « انتصارات » اسرائيل العسكرية هي فى الواقع « هزائم » لفكرها وجوهر كيانها ، ليس فى نظر العالم الخارجي فحسب ، وإنما في نظر نخبة من قادتها الفكريين انفسهم ، على ما هو معروف عن اليهود من حذر شديد فى الكشف عن نقاط ضعفهم .

ففى الوقت الذى كان فيه الطيران الاسرائيلي ، يقتل مئات المدنيين فى بيروت ، مؤكداً استمرار « ذراع اسرائيل الطويلة » فى الوصول الى حيث شاءت ، كان المفكر والسياسي الصهيوني ناحوم غولدمان ، وهو أبرز شخصية صهيونية على المستوى الدولى ، ينشر مقالة مطولة فى الصحف الأوربية ـ من المانية وفرنسية ـ يمكن اعتبارها « مرثية » لمستقبل اسرائيل من أكبر دعاتها الأحياء انها « صرخة الانذار لاسرائيل من ناحوم غولدمان » .. هكذا سمتها صحيفة «نوفيل اوبزيرفتور » اليسارية الفرنسية المتعاطفة مع اليهود ، والمقربة اليوم من الحزب الاشتراكي الحاكم في فرنسا .

وقد نشرتها كوثيقة العدد فى صدر صفحتها الأولى وقالت عنها انها أقسى ما قيل لاسرائيل ، وقيل عن اسرائيل ، من

أعنف ما قيل لإسرائيل ، وقيل عن إسرائيل

احد ابنائها المؤسسين .

إن ناحوم غولدمان فى هذه المقالة مايزال ينطلق من مقولة شعب الله المختار الذى نشر فكرة « التوحيد » فى العالم ، وعاش في المنفى أكثر من الفي سنة محافظا على شخصيته ، مصرا على العودة الى « ارضه » ... الى اخر هذه المقولة الصهيونية المعروفة .

ولكن غولدمان يضيف الآن الى القول ـ على ضوء ما يراه ويعترف به من انحلال وياس روحي فى اسرائيل ـ بان «ظاهرة شعب الله المختار» ثبت انه من الخطا حلها ، كمشكلة متميزة شديدة الخصوصية ، باقامة دولة عادية بين الدول ذات جيش وادارة ودبلوماسية وهو يعود الى تاريخ بني اسرائيل ليقول أن انبياءهم دخلوا التاريخ كدعاة لتعاليم معينة وليس كحكام دولة او كرجال سلطة . وإن ملوك بني اسرائيل قد اهملهم تاريخ اليهود انفسهم الذين حافظوا على شخصيتهم فى الشتات بزعامة رجالهم الدينيين لا زعمائهم السياسيين . ومعنى هذا الكلام من ناحوم غولدمان ، عمليا وواقعيا ، إنه لم يعد يؤمن بان اقامة دولة اسرائيل ككيان سياسي هي الحل الأمثل للمشكلة اليهودية ، وإن كان يمسك حتى الآن عن المطالبة بتصفية هذا الكيان ، مع اظهار قناعته المتزايدة باقتراب انحلاله وسقوطه من الوجهة التاريخية الموضوعية . وهو يصف الثلاثين سنة من عمر اسرائيل بانها ثلاثة فصول : فصل التأسيس . فصل الازدهار . و .. فصل الانحلال ! (راجع : صحيفة نوفيل اوبزرفاتور ، عدد ٨٧٢ ص ١٦ ـ ١٩) .

ويقول بان اسرائيل الآن هى فى الفصل الأخير ، حيث تعيش فى عزلة دولية ، وازمة داخلية ، وهجرة مضادة ، وانحلال روحي ، ولا يتعامل معها إلا اكثر الدول رجعية كدولة جنوب افريقيا ، بعد ان احرقت بسرعة كل الرصيد الهائل الذى كانت تتمتع به فى البداية . ويوجه غولدمان لاذع النقد الى زعماء اسرائيل الحاليين ـ سواء من هم فى السلطة او فى المعارضة ـ وينفي عنهم صفة « رجال الدولة » ويقول انهم فى مستوى عمد الأحياء ومختاري القرى وانهم لا يستحقون ان يقودوا دولة يعيش فيها عدة ملايين ، وتقع فى اكثر مناطق العالم اهمية وحساسية .

ويعترف ان اقرب اصدقائه المحبين لليهود واسرائيل قد صاروا يصارحونه بهذه الحقائق والانطباعات من جانبهم ، حتى ان زعيما عالميا قد قال له انه يخشى ان يخرج عما قريب مؤرخ جديد ليكتب كتابا بعنوان « انحلال وسقوط امبراطورية اسرائيل » مثلما كتب المؤرخ جيبون عن انحلال وسقوط دولة روما فى مؤلفه المشهور .

ويرى غولدمان ان غالبية شعب اسرائيل تسير فى هذا النفق المظلم ، والخطا ليس خطا الزعماء فحسب ، وإنما خطا التصور الصهيوني الأساسي للكيان الاسرائيلي ككيان لا يثق باحد ، ويتحدى الجميع ، وينظر الى العالم بمنظار أسود ، ويبقى اليهود فى حالة قلق دائم فى داخله ، وحالة صدام دائم مع مجتمعاتهم الأخرى ، فى خارجه .

وكي لا تصل اسرائيل الى كارثة جديدة مماثلة لكارثة اليهود فى المانيا النازية ، يجب احداث تغيير جوهري فى هويتها كدولة حربية توسعية ، وعلى القوى الكبرى التى ساعدت على تاسيسها ان تدفعها الآن نحو هذا التغيير ليس لتجنب الصراع الماسوي مع العرب فحسب ، وإنما لصالح اليهود انفسهم أيضا .

هذا التغيير يتمثل فى نظر ناحوم غولدمان فى الأسس الجديدة التالية :

١ ـ أن تبقى اسرائيل كدولة مستقلة ولكن عليها أن تتخلى عن طابعها العسكري التوسعي وتعيد الاراضي العربية المحتلة .

٢ ـ فك الارتباط العضوي بين اسرائيل وأمريكا لأنه ارتباط لن يضمن مستقبل اسرائيل على المدى البعيد مهما كان قويا فى الوقت الراهن .

٣ ـ تعلن اسرائيل حيادها التام على الطريقة النمساوية بضمانة القوى الكبرى باعتبار النموذج النمساوي هو الحل الأمثل لخصوصية المشكلة اليهودية .

٤ ـ تتخلى اسرائيل عن محاولة سيطرتها على الجاليات اليهودية فى الخارج ، وتتخلى عن منعهم من الاندماج فى مجتمعاتهم التى يعيشون فيها ، ليتحرروا من عقدة الولاء المزدوج وحالة الصدام المستمر مع الأوضاع الانسانية الأخرى .

٥ ـ تصبح اسرائيل فى النهاية بمثابة مركز روحي لليهود لا اكثر .. (وكان غولدمان هنا يقترب من فكرة تحويل اسرائيل الى « فاتيكان » يهودى). والأهمية البالغة لهذه الافكار انها

من أحد أبنائها المؤسسين

"صحيفة فرنسية مؤيدة لإسرائيل"



ناحوم جولدمان

تأتي من صهيوني عريق ومتمرس فى العمل من اجل دولة اسرائيل عبر مراحل تاريخية عديدة ... وهذه الأفكار تعتبر «كفراً صريحاً» بالنسبة لمناحم بيغن وبالنسبة لحزب العمل الاسرائيلي على حد سواء ، فهي تفرغ الكيان الصهيوني من محتواه العسكرى التوسعي وتبعده عن حليفه الأمريكي ، وإذا كانت تبقى على اسرائيل كدولة محايدة ذات صفة

«روحية» ، فانها تلغى كل التوجهات الحالية للسياسة الاسرائيلية وتسير فى اتجاه مناقض لها تماماً . بل ان غولدمان يبدو اكثر «اعتدالا» من السياسة الأمريكية الموالية لاسرائيل ، واقل تطرفاً من الزعامات الأمريكية فيما تقدمه من تأييد مطلق لسياسة التوسع الاسرائيلية .

هل يحاول ناحوم غولدمان بهذه الأفكار امتصاص النقمة المتزايدة فى الغرب ضد اسرائيل ، بالمسارعة الى نقدها قبل أن يهاجمها الآخرون ؟

.. أى ان الصهيونية تنقد نفسها بنفسها لتتجنب ادانة العالم ؟!

يجب أن لا نستبعد اى احتمال ، والعقلية اليهودية مستعدة لفعل أى شيء ، ولكنا مع هذا نعتقد أن ساعة الحقيقة قد دقت بالنسبة للفكر الصهيوني والوقائع التى يستند اليها غولدمان فى نقد اسرائيل هي حقائق لا مفر منها ، كما أن النتائج التى يصل اليها لا تبرر أعمال اسرائيل بقدر ما تدينها والمقترحات التى يطرحها بالنسبة لمستقبلها من شأنها أن تضيف بلبلة الى حالة القلق التى تعاني منها اساساً ، وإن كان يقصد منها توفير رؤية المستقبل اكثر اماناً لها ولليهود بصفة عامة .

وأيا كان هدف غولدمان من طرحه الجديد لمحتوى وشكل الكيان الاسرائيلي فان العامل الأساسي فى حدوث مثل هذه التراجعات فى الفكر الصهيوني هو صلابة الموقف العربي فى وجه اسرائيل . فلو قبل العرب باسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وتصالحوا معها عندئذ لتوطدت دعائمها فى المنطقة العربية بسهولة ولما تنبه العالم الى عمق المأساة ولما شعر اليهود باستحالة مشروعهم الدموى .

واليوم عندما نشير الى مثل هذه التراجعات فى الفكر الصهيوني لا نقصد بذلك التخفيف من عبء الضربات التى توجهها اسرائيل فى الواقع الى العرب ، ولكن رؤية تلك التراجعات فى خفايا العقل الصهيوني ، من شأنها أن تعمق نظرتنا الى المسلك الاسرائيلي الدموي تجاهنا ، فندرك أن وحشية اسرائيل هي دليل ضعف معنوي وأساسي ، رغم القوة المادية ، وأن علينا الا نخضع لجانب القوة المؤقتة ، وأن نصمد حتى تأتي ساعة انكشاف جانب الضعف الصهيوني المتأصل . وأنا أدرك تماماً أن مثل هذا القول قد يبدو بمثابة موعظة مثالية بالنسبة لمن يموتون تحت القنابل الاسرائيلية . ويواجهون التحدى الاسرائيلي فى كل أرض عربية وكل جبهة عربية ولكن لابد من قول هذه الحقيقة ، وإدراكها ، والعمل بمقتضاها ؛ وهي أن العدو ، رغم بطشه وجبروته ، على وشك أن ينهار من الداخل ، فلا داعي ليأسنا واستسلامنا ، ومهما طالت سنوات الشدة ، فهي قليلة ، بالنسبة لمسيرة التاريخ الطويلة .. والمهم هو قدرتنا نحن على ان ننبعث كامة حية ، لانه حتى انهيار اسرائيل لن يخلصنا من ماسينا ، إذا لم نثبت القدرة على النهوض والانبعاث ، وسياتينا اعداء طامعون آخرون لاستغلال ضعفنا وتشتتنا لأن قوة اسرائيل أصلاً من ضعفنا نحن وليس من قوتها هي .

وأخيراً فاذا كان ناحوم غولدمان يطرح فكرة اسرائيل المحايدة على الطريقة النمساوية ، فان جواب الفكر العربي عليه يجب أن يكون المزيد من الاصرار على فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية العادلة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين واليهود على حد سواء . فهذا الحل اكثر انسانية وانفتاحاً ، وأجدى لتخليص اليهود ـ نهائياً ـ من عقدة العزلة والتعالى والتميز عن شعوب الانسانية .

... هذا هو الرد الكريم ، والرد المشرف من جانب الفكر العربي ، وليس السعي من بعض الأدباء والمفكرين الناطقين بلغتنا للحوار مع ثقافة الفكر الصهيوني التوسعي الذى يشهد انحلاله بشهادة أكبر دعاته .. فكيف يتطوع بعضنا بعد هذه التضحيات العربية الطويلة ، باعطائه «قبلة الحياة» ومبرر الاستمرار ؟

ونحن لا نريد أن نفرض وجهة نظرنا هذه على ذلك البعض .. وإنما نريد منهم أن يقرأوا معنا بتأن هادىء مقالة ناحوم غولدمان ، ما هو فى السطور وما هو وراء السطور ، حتى يدركوا أين يقف غولدمان وأين يقفون هم !!

د. محمد جابر الأنصاري



أيّها العرب... "تمَجْوَشُوا"

فالأمر جدّ خطير

قرأت مرة سؤالا لقارىء ثائر على اتجاه البحث العلمي ، قائلا في غضب : وهل انتهينا من فحص الأرض ومكوناتها ومشاكلها حتى نتجه الى الفضاء وننفق فيه مليارات المليارات من الدولارات في الهواء.؟ (أو بالأصح في الفراغ) .

والقارىء عنده حق مافي ذلك شك ، والذى لاشك فيه أيضاً ان الدول القائمة على هذه الأبحاث لا تنفق أموالها فوق موائد بلياردو علمية ، انها تحسب الشيء وتعيد حسابه والفائدة الناتجة منه حتى تضمن ليس مجرد تضمن ، بل مائة فى المائة تضمن انها هي الرابحة من انفاق هذه المليارات فى الأثير .

والاجابة بسيطة ، ذلك ان الانسان له ملايين السنين يحفر وينقر فى الأرض ومع هذا فهو لم يتجاوز فى أبحاثه القشرة الأرضية الصلبة التى لا تتعدى فى معظمها بضعة عشرات من الكيلومترات ، بينما هو استطاع ان يصل وفي سنوات قليلة الى ملايين الملايين من الأميال بعداً عن أرضنا وحتى عن المجموعة الشمسية كلها ، ولم يفعل هذا ليعرف الفراغ وانما فعله أيضاً ليعرف هذه الكرة الصماء الصلدة التى لم يستطع بكل اظافره الميكانيكية وحتى البشرية أن يصل فيها الى هذا العمق اليسير .

ذلك انه إذا كان جاليليو قد اكتشف ان الارض تدور حول الشمس ليقطع الطريق تماما على من كانوا قبله يقولون ان الشمس هي التى تدور حول الأرض . فالعلماء الذين جاءوا بعده أثبتوا أكثر من هذا ، أثبتوا أن الأرض نفسها (قطعة) من الشمس ، وكذلك بقية الكواكب الدائرة حول الشمس ، وان الشمس وكواكبها هي (جزء) من الكون الذى يشكل جزءاً من المجرة التى تتبع لها ، تلك التى تشكل جزءاً أو جناحاً كالمنجل من احد اجنحة الكون الاكبر الذى نحن منه ، وان الكون الواحد الهائل هذا ليس إلا جزءاً من كل من اكوان تشكل الكون الأعظم الكبير الذى لا يزال الناس يختلفون حول كنهه وشكله ومسافاته ونجومه ومجراته .

ولهذا ترسل الدول سفنها الفضائية الى الفراغ الخارجي لتخرج عن دائرة نفوذ الأرض لكي نعرف عن الأرض معلومات أكثر ، بل عن أعمق دواخلها ، إذ هذا شيء لا نستطيع ان نعرفه بالحفر إلا بتكاليف خرافية تعتبر تكاليف ارسال سفينة فضاء ملاليم بالنسبة لها .

(واسألوا من يحفرون على البترول وعلى عمق لا يتجاوز جزءاً من السطح الخارجي جداً للأرض) .

ما علاقة هذا بحكاية تمجوشوا أيها العرب ؟

ولن أبادر وأحل اللغز وأقول لكم معنى تمجوشوا ، فنحن العرب في كوننا هذا الذى نحيا فيه نشبه الانسان البدائي الذى فوجىء مرة واحدة بالحضارة البابلية أو الرومانية أو المصريــة منتصبة امامه هكذا بكل ما وصلت اليه من اكتشافات فى الحساب والهندسة والفلك والجغرافيا والمنطق وحتى القانون . وإذا كانت الحملة الفرنسية على مصر قد نقلت علماء الأزهر فجاة من حيث الجبرتي يقول : فلما سقط عليهم القنبر وكانوا لم يعرفوه وطول عمرهم ما شاهدوه قالوا ياخفى الالطاف نجنا مما نخاف ، نقلت الحملة الفرنسية الأزهر الى قلب الحركة السياسية والعلمية الصناعية التى كانت تستعد لاجتياح أوروبا فى ذلك الوقت .

وكان امام محمد على التركي الأمن الطموح الذى عشق مصر الى درجة حكمها ، كان امامه وامام علماء الأزهر شيء من اثنين : إما أن يرفضوا تلك الحضارة بقضها وقضيضها ويعودون الى المحسنات البديعية وبديع زمانهم الهمذاني ، واما أن يقتحموها اقتحاماً وينقضوا عليها انقضاضاً ويفتشوا

بسرعة عن سرها ويستوعبوه وإلى امتهم يعلموها فالدين قد امرنا أن نطلب العلم ولو فى الصين ، والقنبر لم تعد اسيافنا تصلح لصده واكسيد النحاس مع كبريتات الحديدوز لم تعد تنتج الذهب الذى نحلم به منذ العصور الوسطى بابن سيناه وابن هيثمه ، ولكنها تنتج مركباً سماه (لافوازييه) مؤسس علم الكيمياء الحديثة اكسيد الحديدوز لونه احمــر كالسلقون يذهل من يرى السائلين ان يتكون من خرجهما ذلك اللون الأحمر القاني الذى لم يكن موجوداً ...

وهكذا كانت فكرة نشاة الدولة الحديثة فى مشرقنا العربي : البعثات وعلى رأسها امامها كي لا تنسى دينها ، وتشاء الصدف ان يكون امامها رفاعة الطهطاوي هو أول من يلتقط روح النهضة الاوربيةويخلص الابريز فى تلخيص باريز ويعود ليحدث حركة (فكرية) احدثت بدورها حركة طبية بانشاء مدرسة الطب ، وثورة تكنولوجية بانشاء المهندسخانة ، وحركةبلاغية كان كوبريها البارودى ولكنها ازهرت شوقي والزهاوي ومن بعدهم مطران وجبران .

نحن اذن قد ركبنا مركبة الى (فضاء) اوربا لنعرف اكثر ليس فقط عن انفسنا ولكن أيضاً عن العالم بل وعن الكون كله من حولنا ، وعادت النقود التى انفقناها على البعثة اضعافاً مضاعفة لا تقدر بمال !

● ●

واقول هذا لاننا (غرقى) عالمنا العربي نحاول ان نحفر كرته الأرضية لنعرفه ونعرفها ، في حين ان أعداءنا على العكس ما تركوا مركبة فضاء الى بلد من بلاد العالم إلا وركبوها وعاشوها فعاشوا تجربة البشرية كلهاوبقوا ايضاً يهودا وهذا هو سر تفوقهم علينا .

فى حين كان رد فعلنا نحن ازدياد استمساكنا بمكاننا وكانه سيهرب او سيسرقوه وهم فرحون لتحجرنا فى اماكننا لأننا تركنا بقية العالم لهم يحقنونها بما شاءوا من خرافات واباطيل

انها لعبة صدقناها نحن ورحنا نجادلهم ، وراحوا هم يجادلوننا باللسان وفى السر يستعملون القتل والحيل والسرقة للحصول على اليورانيوم لصناعة القنابل الذرية انهم أدرى الناس تماما بان قضيتهم قضية تهويشية شكلية ، فلو طالب كل شعب بما كان له لكان على الكرة الأرضية أن تقلب سكانها فى الفضاء وتعيد توزيعها نفراً نفراً على سطح الأرض .

تمجوشوا ايها العـــرب .

وتمجوشوا من مجاويش ، وهي قرية سياحية أقامتها شركة مصر للسياحة هي ونادى البحر الأبيض على البحر الأحمر ، وهي ايضاً النعمة ، فلقد قضيت فيها ثلاثة ايام لم اقرأ فيها جريدة ولا سمعت راديو ولم ار تليفزيون ، وإن ضحكت واستحممت وغصت وتفرجت على المرجان واسماك البحر ذات الالوان المذهلة .

وفى اليوم الرابع كنت فى القاهرة ، اقرا الجرائد واسمع الأخبار ، والتهم كل شيء ، وفى ثانية واحدة ادرك معنى كل شيء فعقلى قد صفا تماماً خلال هذا (الويك إند) ورأيت المسالة واضحة وضوح الشمس . أن ضرب الجيش المصري سنة ٦٧ وضرب المفاعل العراقي عام ١٩٨١م يضعان اصبعك وسبابتك على موطن الداء. فالهدف هو اعدام قوتك تماماً واقامة قوة لهم لا قبل لك بها . فالهدف هو اعدام قوتك تماماً واقامة قوة لهم لا قبل لك بها .

أما اعدام قوتك فأنت تتولاها بهذه الحروب الضروس القائمة بين الدول العربية.

انى اقترح عليكم أيها العرب الأعزاء ان تصنعوا الآتي :

أولا : كفوا فوراً عما تفعلون الآن .

ثانياً : لياخذ كل منكم اجازة اقصاها ثلاثة أيام يذهب فيها بعيداً فى فضاء الكرة الأرضية ويفرغ عقله من كل ما فكر و يفكر فيه .

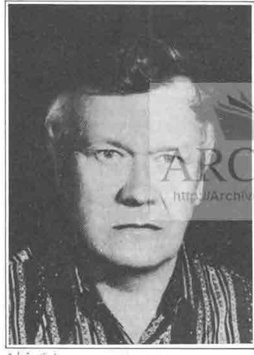
ثالثاً : فى هذه الأيام الثلاثة لا يفكر فى السياسة .

رابعاً : فى اليوم الرابع يعود وقد قرر شيئاً من اثنين : إما أن يستسلم لهذه الغزوة الغاشمة ويرضخ ويعيش هو واسرته اذلاء الى يوم يبعثون . وإما ان يقوم بعمل الرجل إذا هاجم بيته وحرمته مجرم . وإما أن تغلقوا جرائدكم السفساطة وتاكلوا العيش بالجبن وتناموا ملء الجفون والسلام عليكم ورحمة اللــه وبركاتــه .

د. يوسف ادريس

ديزموند ستيوارت

المستشرق الذي كان يعشق العرب والعروبة



ديزموند ستيوارت

كان المؤرخ والكاتب الانجليزى ديزموند ستيوارت يرى أن التعايش مع الصهيونية مثل التعايش بين البيض والسود فى جنوب أفريقيا أمر مستحيل ... وكان يقول دائماً أن فضيلة الصبر العربية تجعله يرى بالفعل على المدى الطويل أرضاً مقدسة هي فلسطين ... وفى كل كتاباته عن الشرق الأوسط والعالم العربي كان يبدو فى موقف الدارس المتخصص الذى قضى سنوات طويلة من عمره فى قلب المنطقة يدقق ويقلب المجلات والجرائد والأوراق باحثاً عن كل ما هو متعلق بالوطن العربي وأحداثه الجسام

وهذا المقال كتبه لمجلة الدوحة – خصيصاً – الكاتب الانجليزى « دينيس جونسون ديفيز » بعد أن توفى أخيراً «ديزموند ستيوارت» الذى ظل طوال حياته عاشقاً للعرب والعروبة ، محاولا إنصاف الانسان العربي وابراز دوره التاريخي والحضارى .

لم يعط ديزموند ستيوارت لأى من أصدقائه العديدين بالقاهـرة اية اشارة تدل على انه سوف لا يظهر فجاة بعد ذلك ليشاركهم نقاشاتهم الحامية فى السياسة او الأدب على الرغم من انه كان جياشا لا يهدأ له روع فى فكره او بدنه ، وكان دائم التطلع للمشاركة فى التعليقات الأدبية ، فقد مات ديزموند ستيوارت فجاة فى لندن عن عمر يناهز السابعة والخمسين فى الثاني عشر من يوليو عام ١٩٨١م إثر مرض قصير الأمد لم يمهله على الرغم من العناية الشديدة بعلاجه فى المستشفى الانجلو امريكي بالقاهـرة .

وقد حظى ديزموند ، لانتمائه الى الميسورين من الطبقة المتوسطة ، حيث كان ابوه من الأطباء النفسانيين الاسكتلنديين المشهورين ، بتعليم ممتاز بالنسبة لأيام نشاته فبعد المدارس العامة التحق بكلية ترينتي (التلثيث) بجامعة اوكسفورد ، حيث حصل على شهادة فى الأدب الانجليزى تحت اشراف « موريس بورا » ، والتحق بسلك التدريس بجامعة بغداد عام ١٩٤٨م . وهنالك ، فى العراق ، بدات اهتماماته بالسياسة والأدب العربي ، وصادق الكثيرين ، من امثال الروائي جبرا ابراهيم جبرا وغيره من المفكرين

بقـــــلم

د يـنيس جـونسـون ديـفـيـز

الفلسطينيين والعراقيين .. وبعد ان قضى فترة بسلك التدريس فى لبنان قرر فى أواخر الخمسينات ان يقف نفسه على الكتابة وحدها .

وكانت أولى رواياته « فهد فى الحشائش » تشير الى الشرق الأوسط ونشرها عام ١٩٥١م . ومنذ ذلك الحين اخذ ينشر روايات على فترات منتظمة .. وروايته الأخرى ذات السحنة المطبوعة بروح الشرق الأوسط كانت « رجال الجمعة » ونشرها عام ١٩٦١ .. وفيما بين عام ١٩٦٥ ، ١٩٦٨ انتج اهم مؤلفاته القصصية والروائية وهي الثلاثية المعنونة باسم « تعاقب الأدوار » ، أو تعاقب الوظائف ، وهي تتناول البحث عن اضمحلال الامبراطورية البريطانية خلال ثلاثة اجيال من خلال تعاقب إحدى العائلات .وهذه الرواية انجاز أدبي مرموق ، بيد انها لم تحظ إلا بالقليل من اهتمام النقاد والقراء . وقد قبل ديزموند على اى حال القناعة بان الشهرة والثروة للروائي ، أمور تخضع للحظ ، والنمط السائر أو المنزلة الاجتماعية !

وقد كسب ديزموند ستيوارت شهرته ايضاً فى مجال الكتب الاعلامية والتاريخات الحياتية عن الشرق الأوسط ، وهذا ، ربما كان اكبر ما اشتهر به .

ولقد كانت قصة « حياة هيرتزل » برهاناً على دأبه فى البحث وقدرته على التدقيق . بينما تبين لنا قصة « حياة لورانس العرب » قدرة ديزموند ستيوارت على القاء اضواء جديدة على موضوع كان يظن انه قتل بحثاً ..

وكتابه الصغير عن القاهـرة فى مختلف عصورها التاريخية يشمل وصفاً ساراً بهيجاً لتلك المدينة العظيمة التى ألقى فيها مؤقتاً عصى الترحال .

وقد درس ديزموند اللغة العربية منذ ان حل فى بغداد ، حيث استطاع بعد ذلك ان يصبح واحداً من المستعربين القلائل الذين اشتغلوا بالكتابة فى الأدب العربي الحديث والتراث ، وقد نشر كثيرا فى الدوريات مثل (انكونتر) ، وترجم لكثير من الكتاب .

ولكون ديزموند ستيوارت كان يتمتع (بمركب) من معرفة باللغة العربية وخلفياتها الثقافية ، ومن احساس رجل كانت الكلمات بضاعته المدخرة ، استطاع ان يكتب ترجمات هي في حد ذاتها اعمال أدبية . ويرى ذلك جليا فى ترجمته لرواية الكاتب المصرى فتحي غانم « الرجل الذى فقد ظله» ولقد اعجب ديزموند على وجه الخصوص ، بالوظيفية او الحرفية التى تتمتع بها كتابات فتحي غانم وبما تلقيه رواياته من اضواء على المشاكل الاجتماعية والسياسية المعاصرة .

وقبل ذلك ترجم ديزموند رواية عبد الرحمن الشرقاوي وجعل لها عنواناً ، «التربة المصريـــة» . وبالاضافة الى ذلك فقد كان ديزموند ستيوارت من القلائل الذين حاولوا بنجاح نقل الشعر العربى المعاصر الى اللغة الانجليزية ، وخاصة شعر العراقيين ، عبد الوهاب البياتي ، وبلند الحيدري . ولقد كانت أعوامه الأخيرة ، اكثر ايام ديزموند انتاجاً . وكان يعد اخيراً كتابا عن مكة المكرمة .. وقد انجز مؤخراً كتاباً عن المسيح محققا بذلك طموحاً عظيماً له ، وتبين فيه الى جانب مزايا اخرى انه يتمتع بعقلية باحث فى اللغة الأغريقية .. وكان يرى أن حاجة الانسان الى الروحانيات حاجة ثابتة وماسة ، وباية طريقة ، ومن هنا فان اناسا كثيرين ممن استمعوا اليه يحاضر عن لفائف او سجلات البحر الميت وعن الحركات الدينية قبل المسيحية ، كانوا ينتظرون كتابه ذاك بفارغ الصبر .

واشتغل ديزموند كصحافي ، وسافر كثيراً ، لحساب الأسبوعية اللندنية العربية ، المجلة . وقد بلغ به التأثر حداً كبيرا لعناية ادارة تلك المجلة به أثناء مرضه فى القاهـرة . وقد ترك ديزموند قبل موته كتاباً لم يتمه عن عرب الضفة الغربية ، إذ كان هذا الموضوع عزيزاً على نفسه . وبحكم معرفته وخبرته بالسياسة عامة ، وبالشرق الأوسط خاصة ، فقد كان العامل الفعال الدائم فى نظرته السياسية رفضه العنيف لطرد الفلسطينيين من وطنهم ، وحول هذا الموضوع كتب وحاضر بمنتهى الحماس والقوة .

وعلى الرغم من أن ديزموند ستيوارت قد اختار لنفسه أكثر الاتجاهات عزلة ، فانه لم يك فى تيه الرهبانية ، فقد حظى بصحبة الناس وكان من المحبوبين لدى معارفه .

وكان ديزموند يتسلى ويسلي غيره بكشف زيف المغرورين والأدعياء وعديمي الكفاءة والمبتذلين من الكتاب . وكان ديزموند بطبيعته رومانطيقيا عالمياً ولذلك لم يعتنق افكاراً مصبوبة تجاه الناس والأدب .

وكان ما يوصف به الشرق فى العادة من غموض ، عديم المعنى بالنسبة له ، فالناس فى نظره هم الناس ، اينما كانوا ... بعضهم سار وبعضهم اقل درجة ، وليس هنالك جنس من بني ادم يمكن القول بانه يحتكر الحسنات والفضائل وآخر السيئات والرذائل .

وقد كان أصدقاؤه من العرب يتقبلون افكاره ، ونقده كما لو كان واحداً من الذين نذروا انفسهم للقضية العربية وكان يسوءه كثيراً الانقسام الحالي بين العرب .

وكان ديزموند ستيوارت ، بحكم نظرته العميقة لا يعتقد فى التقـــدم المدني المعاصر المبني على الآلية ، ويرى انه مجرد صورة خادعة ، وأن الحقيقة هي أن الأنسان المعاصر بما يسميه التقدم ، إنما يخلخل بنيان البيئة البشرية ويسير ببطء نحو التدني الأكيد لنوعية الحياة .

وكان ديزموند ستيوارت ، يعيش الحياة بجميع ابعادها ، ويشهد كل من عاشروه انه كان يحسن استغلال أيامه.

المعلقـــــــــــات







يعد الاستشراق الاسباني اقدم استشراق فى أوربا على الأطلاق ، فقد صحب قيام الدويلات التى قامت فى شمال الأندلس خلال القرن الحادي عشر الميلادي وما تلاه ، والتى اندمجت مع الزمن لتتكون منها اسبانيا الحديثة ، وكان يهدف حينئذ الى الافادة مما عند المسلمين فى الجنوب ، وهم أرقى حضارة ، واوضح تقدماً ، ومع سقوط دولة الاسلام اخذ شكلا جديداً غايته انماء القدرة على التبشير بالكاثوليكية بين المسلمين التعساء الذين خضعوا لمحاكم التفتيش ، وبالتالي كان وقفاً على رجال الدين .

وحين اخلد كل شيء فى اسبانيا الى ليل طويل ، العلم و التقدم والحياة ، والفكر والثقافة والفن ، نام الاستشراق معها ، فلم يعد هناك من يهتم بالعرب والعربية ، كانها لم تكن لغة القوم على امتداد تسعة قرون . وحين استيقظت الدولة من غفلتها وادركت البون الشاسع الذى يفصل بينها وبين بقية دول اوربا ، عملت جاهدة على اللحاق بها فى المجالات المختلفة ، وكان مجال الاستشراق من بينها .

وقد تميز الاستشراق الاسباني الحديث عن بقية الاستشراق الأوربي ، فلم يكن يستهدف دراسة تراث العرب لسبر اغوارهم ، والوقوف على جوانب الضعف فى حياتهم واخلاقهم ، لاحتلال بلادهم ، وسرقة ثرواتهم ، او إثارة روح البغضاء بينهم ، او إضلالهم فى معتقداتهم ، وإنما كان يسعى فى جملته الى غاية حقه : ان يدرس التراث العربي الاسلامي الذى ازدهر فى اسبانيا فترة عمرت طويلا ، وكان وطنهم المنارة الهادية لكل من حولهم من امم الشمال ، إليهم يجيء المرضى يطلبون العلاج ، والاذكياء من الشباب يلتمسون العلم ، وحتى الباحثون عن البهجة والمتعة يتعاقدون مع الموسيقيين والمطربين والراقصات ، ومن هنا اتسمت دراستهم له ، فى جملتهم ، بالموضوعية إذا لم نقل بالتعاطف الشديد ، واقتصروا على التراث الأندلسي وحده ، لا يكادون يتجاوزونه الى غيره من تراث الامة العربية ، إلا فى حالات قليلة حين تجيء عنايتهم بالتراث المشرقي ضرورية لفهم أصول ما بين أيديهم ، وبيان تطوره ، وتفسير ظواهره .

وإذا كنا نطلق على هؤلاء الأسبان اسم مستشرقين (اورينتلست) فان الامر يجيء تجوزاً ، والأدق منه مصطلح مستعربين لانهم يعنون ، عادة ، بالعربية وحدها دون غيرها من اللغات الشرقية ، إلا أن هذا المصطلح يختلط مع الكلمة نفسها حين تطلق على المستعربين (موزاربيــه) ، واشتهرت فى الاندلس ، وشاعت خارجه ، وتطلق على المسيحيين الذين كانوا يقيمون فى الدولة الاسلامية فى اسبانيا ، واحتفظوا بدينهم ، ولكنهم تعربوا فى لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ومن هنا نؤثر ان نطلق على من يدرسون التراث العربي فى اسبانيا المعاصرة لقب مستشرقين تجوزاً ، شانهم فى ذلك شان غيرهم من الباحثين الاوربيين ، ممن يهتمون بالمشرق جملة فى لغاته واهله وتاريخه ، وإن تخصص نفر من بينهم فى الدراسات العربية ، واثر ان يتعمق فيها .

روائع التراث الأندلسي

كان دور المستشرقين الاسبان فى الكشف عن روائع التراث الاندلسي جيداً ، تدارسوا قضاياه ومشاكله ، وترجموا روائعه ، ونشروا عدداً من مخطوطاته ، وتميز اعلام منهم فى المحافل الدولية ، مثل اسين بلاثيوس صاحب نظرية الاصول الاسلامية للكوميديا الالهية لدانتى ، وقاتل دونها فى غير هوادة ، واثبتت الوثائق

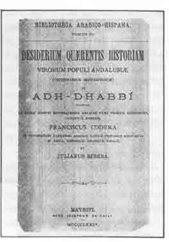
الأســـــبانيّة

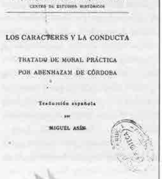
بقلم الدكتور

الطاهر أحمد مكى

الأغلفة المنشورة

- غلاف ترجمة المعلقات الى اللغة الأسبانية _ مدريد ١٩٧٤ .
- غلاف كتاب (تدبير المتوحد) للفيلسوف الاندلسي ابن باجة ونشر نصه العربي ، مع ترجمة أسبانية قام بها آسين بلاثيوس فى مدريد ١٩٤٦ .
- غلاف كتاب (بغية الملتمس) للضبي ، ونشر نصه العربي فى مدريد عام ١٨٨٥م
- غلاف كتاب (بغية الملتمس) باللغة اللاتينية .
- الصفحة الأولى من ترجمة كتاب الاخلاق والسير لابن حزم ، وقام بها آسين بلاثيوس ونشرت فى مدريد عام ١٩١٦.





التى اكتشفت بعد وفاته صدق نظريته ، ودراسلته فى الفلسفة الاسلامية وعن ابن حزم لا يعلى عليها ، وغرسية غومث ، وخوليان ريبيرا ، وفرانسيسكو قديرة ، وجمهرة من الشبان يعملون فى هدوء وصمت ، واخلاص واصرار ، وهم جميعا لم يخرجوا عن الاطار الاندلسي باستثناء دراسة قيمة عن المتنبي قام بها غرسيه غومث وترجمتها الى العربية مع دراسات اخرى له ، فى كتابي « مع شعراء الأندلس والمتنبي » ، وبعض التراجم لادبنا الحديث ، وهي ترجمات تحمل طابع المجاملة ، ولا تتجاوز عتبة المعهد الاسباني العربى فى مدريد .

وتجيء ترجمة المعلقات ودراستها التى نعرض لها الآن استثناء فى هذا الاتجاه .

ترجمة المعلقات

عرفت اوربا الأدب الجاهلى فى زمن مبكر نسبيا ، لما اومانا اليه قبل من اهداف وغايات ، وفي احايين كثيرة لان دراسته لغة ونحوا ، واسلوبا وتراكيب ، تسهم فى القاء مزيد من الضوء على الكتاب المقدس فى لغته الاولى ، وفى اشاراته التاريخية ، وفى الصلات التى كانت تربط بين السلالات السامية المختلفة ، واوضح هذه الدراسات ، واقدمها فيما اعلم ، تلك التى قام بها المستشرق الفرنسي دى ساسي ونشرها فى باريس علم ١٨٠٨م بعنوان : «دراسة فى اصل الأدب الجاهلي عند العرب وآثاره القديمة» ، وبعده طبعت حماسة ابي تمام فى جزئين فى مدينة بون عام ١٨٢٨م ، ثم المعلقات السبع فى ليبزج عام ١٨٥٠م ، ونشر الورد الألماني دواوين الشعراء الجاهليين الستة ، وهم النابغة ، وعنترة ، وطرفه ، وزهير ، وامرؤ القيس ، وعلقمة بن عبدة ، من جمع الأصمعي ، وبرواية الأعلم الشنتمري الأندلسي ، فى لندن عام ١٨٧٠م ، وقبلها نشرت فى المدينة نفسها اشعار الهزليين عام ١٨٥٤م ، وترجمت الى الألمانية عام ١٨٧٩.

وفيما يتصل بالمعلقات كانت معلقة امرىء القيس اسعد حظا بين المعلقات كلها ، فترجمها دى سلسي الى اللغة الفرنسية ، ودرسه شاعرا ملكا المستشرق الالماني فريدرش ركت ، وترجم المعلقة الى اللغة الالمانية عام ١٨٤٣م ، وفيما بعد ترجم معلقتي طرفة وعمرو بن كلثوم ، وترجم فاندنهوف معلقة طرفة الى اللغة اللاتينية ، برلين عام ١٨٩٥ ، وبعد ذلك بسنوات خمس ترجم نولدكه خمس معلقات الى اللغة الالمانية ، وتوقف عن ترجمة السادسة ، وهي معلقة طرفة ، لانه وجدها بالغة الصعوبة فيما يتصل بوصف الناقة ، رغم انه بذل جهداً مضنيا فى دراسة اعضائها وتشريحها فى مختلف كتب الحيوان ، ولكنه اعترف اخيرا بانه لا يستطيع ان يقدم تصوير طرفة لها بطريقة امينة ودقيقة ومفهومة .

وفى مطلع هذا القرن ، ترجمت الليدي آن بلنت المعلقات السبع الى اللغة الانجليزية نظما فى الشعر الانجليزى ، ونشرتها فى لندن عام ١٩٠٣ . واكتفي بهذه الاشارات وبها اردت المثل لا الاستقصاء .

ورغم اننا ندين بدواوين الشعر الجاهلي التى بين ايدينا لرواة اندلسيين من كبار العلماء كالاعلم الشنتمرى ، وابن السيد البطليوسي ، وان مكتبة الاسكوريال الشهيرة تضم بين مخطوطاتها عددا كبيرا لكل المعلقات ، ولدواوين الشعر الجاهلي ، فان احدا من المستشرقين الأسبان لم يتجه الى هذا الجانب من التراث العربي .

اخيرا جدا قام بترجمة المعلقات الى اللغة الأسبانية مستشرق اسباني عظيم ، الدكتور فيدركو كورينتى قرطبة ، استاذ اللغة العربية فى كلية الآداب فى جامعة سرقسطة ، ولا نعرف عنه فى العالم العربي شيئا او نعرف عن شخصه شيئا قليلا للغاية ، ربما لانه مقبل على دراساته فى صوفية نادرة ، عاكف على العلم فى تقوى خاشعة ، يلتهم كل وقته ، او لانه بعيد عن الأضواء زاهد فيها ، وربما لان هناك فى وطنه من لا يريد ان يقدمه الينا ، فهو لا يكتفي بحب الثقافة العربية ، وإنما يحب اهلها ايضا حبا

خالصاً ، نابعاً من القلب ، بريئاً من النفاق ، ومن المصلحة الذاتية العاجلة ، وهو يجاهر بحبه ولا يكتمه ، وينعكس فيما يكتب او يتخذ من مواقف ، واخيراً لاننا نحن العرب نزهد فى أصدقائنا ، وتجوز علينا الخدعة فيمن يتظاهرون بحبنا ، وهي عادة أتمنى لها ان تتلاشى من حياتنا العامة والسياسية بخاصة .

لست اعرف بين رجال الاستشراق فى القديم والحديث من تهيأ لمهمته واخذ لها بالأسباب المعنية ، مثل فيدريكو كورينتى ، فهو يقرأ العربية ويفهمها ، ويتكلمها ويكتب بها ، وينظم الشعر فيها ، ويلتقطها فى دقة حين يسمعها ، ويعبر بها في وضوح حين يتحدثها ، وتاخذ حروفها مكانها الطبيعي من فمه وقعاً وموسيقـا وتجيء جمله عربية فى تراكيبها ، وهو الى جانب ذلك يعرف شيئاً عن اخواتها من اللغات السامية الاخرى قواعد وتاريخاً ، متمكناً من عدد من اللغات الأوربية ، يجيد اللغة الانجليزية ، وعمل استاذاً لفترة طويلة فى الجامعات الأمريكية ، والالمانية والفرنسية ، الى جانب الأسبانية لغته الام .

وعاش سنوات فى القاهـرة ، واكسبته نضجاً ، وصقلته مستشرقاً ، واعدته لما يتهيأ له رغم انه جاءها في سنوات عجاف ، كانت تعاني خلالها من الحصار السياسي والاقتصادى ، وتحاول فى شجاعة باسلة ان تدفع عن نفسها هجمات ضارية متوالية على كل الجبهات ، وغادرها يحمل زاداً مفيداً ، وذكريات عديدة ، خليطاً من الحلاوة والمرارة ، ومن الحب والاشفاق .

وقدم وحده ، وفى صمـت ، أول معجمين فى عصرنا الحديث ، الأول من الاسبانية الى العربية ، والثاني نقيضـه من العربيـة الى الأسبانية ، وهما من ادق المعاجم التى بين أيدينا . ونشر دراسة قيمة عن « جمـــوع التكسير فى اللغات السامية » ، وترجم عدداً من المسرحيات ، وبعض الروايات والقصص ، العربية الحديثة ، ويعكف الآن على دراسة عروض « ابن قزمان » ، الزجال الأندلسي الشهير فى ديوان ازجاله ، ووصلنا فى مخطوطة وحيدة فريدة تستقر الآن فى مكتبة لينينجراد ، واخيراً ترجمته الدقيقة للمعلقات .

يعترف الدكتور فيدريكو بانه بدأ ترجمته للمعلقات منذ زمن غير قصير ، وانه عايش

الشعر الجاهلي زمناً طويلا وفتن بما فيه ، من صور شعرية دقيقة ، ومن موسيقـا رقيقة ، ومن واقعية تاخذ بالألباب ، وانه انتهى من مسودة الترجمة الأولى فى القاهرة عام ٦٥ ، ومنذ ذلك التاريخ لم يتوقف عن العودة اليها مهذباً ، ومدققاً ، فى ضوء نضجه وتجاربه ، وتطور دراساته ، واتساع معارفه اللغوية فى المجالين العربي والأسباني ، ولم تاخذ شكلها النهائي إلا بعد ذلك باعوام ستة ، او على التحديد فى عام ١٩٧١م ، ليقوم المعهد العـربـــي الأسباني فى مدريد بطبعها بعد ذلك بثلاث سنوات .

تضمنت الترجمة معلقات : أمريء القيس ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن ابى سلمى ، ولبيد ابن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة العبسي ، والحارث بن حلزة اليشكري ، وهم شعراء المعلقات السبع الذين تتفق عليهم كل الروايات.

وسبق الترجمة مقدمة ، ودراسة ادبية واخرى تاريخية ، ففى المقدمة أبان بايجاز عن تاريخ اهتمامه بالمعلقات ودوافعه ، وعن منهجه فى الترجمة وطريقته ، وانه حاول ان يجمع بين الدقة والوضوح ، ليرجع اليها المتخصص والدارس ، ويتذوق فنها القارىء العادى المثقف ، والفضولي الذى يريد ان يدس عقله بين العديد من الثقافات .

وتلا هذه المقدمة دراسة الجانب الأدبي فى المعلقات ، وارتأى ان الاهمية الأولى لدراسة هذه القصائد تكمن بدءاً فى انها صورة صادقة لقيم عصرها وحقائقه ، وما لدينا عنها يسمح لنا بالوصول الى نتائج طيبة عن اسلوبها وجمالها ، وانتهى الدكتور فيدريكو الى ان البدوى العربي توصل بطريقة عفوية ، تدعمها الدراسات الجمالية الحديثة ، الى حل قضية الشكل والمضمون ، لأن كلمة « شعر » تعني المعرفة والشعور ، او إن شئت المعنى والاحساس به ، وقد اوجز عربي هذه الفكرة حين سئل : ماالشعر ؟ ، فقال : « شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا » .

وهذا المفهوم الدقيق لطبيعة الشعر ما لبث ان انتشر وتعمق ، واخذ شكلا علمياً متميزاً ، واحتل مكانة مهمة ، وتحول الى قواعد طاغية ، وفرض نفسه على كل مظاهر الابداع الشعري ، الأدبي والشعبي منه ، وهى سيطرة جعلت ابن خلدون يعرف الشعر بعد ذلك بعدة قرون ، على نحو ما فعل ارسطو بين الأغريق ايضاً ، وقبل ذلك بقرون ، وفي عبقرية ليست دونه ، بانه : « كلام مفصل قطعاً قطعاً ، متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الاخير من كل قطعة من هذه القطعات ، ويسمى عندهم بيتاً ، ويسمى الحرف الاخير الذى تتفق فيه رؤياً وقافية ، ويسمى جملة الكلام الى اخره قصيدة وكلمة ، وينفرد كل بيت منه بافادته فى تراكيبه حتى كانه كلام وحده ، مستقل عما قبله وما بعده ، وإذا افرد كان تاماً فى بابه .. » ، وهو تعريف ابقى من الشعر قليلا ، او لم يبق شيئاً ، كتعبير عن المشاعر ، مستقل عن الشكل الخارجي ، ودفاعاً عن ابن خلدون ، يمكن ان اقول (والضمير يعود على فيدريكو) انه لم يكن اول من اعلن هذا المبدأ ، وإنما كان يسجل رأياً شائعاً ، وإحساساً عاماً ، كان قد اتى على الجانب الأكبر من الأصالة فى الشعر ، وعلى نضارته وخصوبته ، قبل ذلك بزمن طويل ، حين حاصره هذا الشكل الطاغى المسيطر ، وذهب بروعته التقليد الاعمى ، وغياب التجديد كلية .

وبين اقدم قصائد نعرفها للشعر الجاهلى ، وتعود الى أواخر القرن الخامس الميلادى ، وبين احتضار الشعر العربي واخذ شكلا متميزاً مع نهاية الدولة العباسية ، عرفت القصيدة العربية فترة عريضة من الأزدهار والتوهج والتطور ، بلغت القمة ، بعدها اخذت طريقها الى الانحدار ، لتصبح فى مرحلة الاحتضار مجرد لهو وتسلية وتلاعب بالألفاظ .

السجع بداية الشعر

ويرى صديقنا الأسباني ان السجع كان بداية الشعر ، ومن ثم فهو يرى ، على غير الشائع ، ان النثر الفنى سابق فى الوجود على الشعر ، وانه اخذ مع الممارسة يخضع للون من القواعد العروضية بلغت مع الزمن النهاية فى الدقة ، ولكن الفترة التى شغلتها هذه المرحلة لم يصلنا منها اى انتاج ، ولذلك يميل اليها ظناً راجحاً ، واستنتاجاً تدعمه الشواهد فى لغات اخرى ، دون أن يملك على ذلك اى دليل مادى ، وفقدان الشواهد يمتد ايضاً الى المرحلة التى قطعها الشعر العربي طفلا ينمو ، قبل ان يصل الينا في صورته الدقيقة فناً محكم القواعد ، وهذا الشعر الراقي أتى على ماسبقه من شعر غير محكم ومحاه من ذواكر الناس .

وغياب الصلة المؤكدة بين السجع الذى يستخدمه الكهان فى الطقوس الدينية ، والشعر الموزون المقفي يعبر به القائل عن مشاعره ، اتعب الباحثين والعلماء ، واوجد هوة عميقة حاولوا ان يملؤوها بالفروض : راى بعضهم أن هناك صلة نسب بين العروض الاغريقي اللاتيني وبين العروض العربي ، عن طريق الأدب السرياني ، أو حتى عن طريق الأدب السنسكريتي ، اعتماداً على الصلات القديمة بين الهند وأنحاء من الجزيرة العربية ، وهى

ثابتة تاريخيا ، ولكن التحليل المقارن للعروضين لا يسمح بمثل هذه النظرية ، ولا تساعد الظروف التاريخية على هذا الافتراض الأدبي . وفى غيبة حل افضل ، واكثر اقناعا ، لا مناص من التسليم باننا امام عروض عربي حقا ، أصيل وضعه العرب انفسهم .

ويعرض المترجم لنشاة هذا العروض ، ويرتضي النظرية العربية القائلة بان النثر أصبح سجعاً وأن السجع أصبح رجزاً ، وان الشعر انتقل « من المعابد الى الصحراء ، ومن الدعاء الى الحداء ، فاجتمع الوزن والقافية ، ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان .

لماذا سميت بالمعلقات ؟

لماذا سميت هذه القصائد بالمعلقات ؟ .. يرى الدكتور فيدريكو ان هذه مشكلة ليست بذات اهمية ، وقد شك بعض النقاد العرب فى الرواية التى تقول إنها علقت فى الكعبة إجلالا ، ويقول ابى جعفر النحاس ، وهو احد شراحها ، « فاما قول من قال انها علقت فى الكعبة فلا يعرفه احد من الرواة » . وهو راي ياخذ به المستشرقون جميعا ، رغم تسليمهم بان هذه القصائد من الروعة بمكان لغياب الشواهد التاريخية ، ولان الرواية تعود الى العصور الاسلامية المتاخرة ، ويدعمون رايهم بان دراسة الخط العربي وتطوره ، وما اكتشف من صوره فى عصر المعلقات يجعل من الصعب كتابة او نحت مثل هذه القصائد الطوال على الجدران ، وفى وقت لم يستطع فيه ملك مثل امريء القيس بن عمرو ان يخص نفسه فى نقش النمـارة الذى وصلنا باكثر من خمسة سطور يفخر فيها بامجاده ، ويسجل انتصاراته ، ويضيف المترجم الى هذه الأسباب ان الصراع كان قائما وقويا فى الجاهلية بين الشعراء والكهان ، مما يجعل من الصعب ان يسمح هؤلاء ، وهم سدنة الكعبة ، بان تعلق فيها قصائد لا تشيد بالهتهم ولا يرضون عنها .

ولا يقف الباحث الاسباني عند النفي وحده وإنما يعطي التسمية مدلولا اخر ، اوافقه فيه ، وسبق ان قلت به قبل عشر سنوات خلت ، فى دراستي لامريء القيس : حياته وشعره ، وهو ان لفظ « المعلقات » ماخوذ من « التعليق » بمعنى التفسير ، لان هذه القصائد ذاعت وشاعت واضحت موضع تعليق وتفسير كثيرين

ويعرض لتوثيق هذا الشعر وصحته ، ويرى فى ضوء تحليل المعلقات معنى ولغة واسلوبا انها جاهلية تماما ، ولا سبيل الى الشك فى صحتها ، وان نكرانها كان هواية بعض صغار المستشرقين فى نهاية القرن الماضى ، ومطلع هذا القرن ، وان الدكتور طه حسين سار على دربهم دون ان يتبين طريقه ، فلم يدرك انهم واهمون .

وتناول اجزاء المعلقة ، وانها تبدا بالنسيب ، وما اوثر ان اسميه انا المقدمة الطللية ، ثم الرحلة ، وياتي الغرض اخيرا ، وهو المديح غالبا ، مدح رئيس القوم ، او القبيلة ، او الفخر ، ويختمها الشاعر بشيء من تجاربه تاخذ طابع الحكمة ، وكان عمرو بن كلثوم وحده الذى بدا معلقته بالخمر ، ومباكرة شربها فى الصباح ، ووصف ما تفعل بشاربيها إذا كانوا كراما ، او شحاحا ، بما تبعث فيهم من الارتياح الى البذل والسخاء .

ويغلب الوصف فى المعلقات ، ونلتقى به فى كل اجزاء المعلقة ، وفي هذا يختلف الشعر العربي عن الذوق الغربي ، الذى يرى فى الشعر تعبيرا عن المشاعر فحسب ، ولكن العربي قريب من الطبيعة دائما ، ومتجاوب معها ، فهو يشعر حتى حين يصفها ، وهى بتقلباتها تخلق منه شاعرا وتدفعه الى القول ، ويصف الشاعر كل ما يقع عليه بصره ، الحبيبة ، والصحراء ، والراحلة ، والبرق والرعد والمطر ، وياتي الوصف فى احايين كثيرة دقيقا ومفصلا ، مما يعنى ان الشاعر عايش ما يصف عن قرب ، والم بكل دقائقه .

وتمتزج المعلقات بالحكم ، تجىء متناثرة خلال الأبيات او يختم بها الشاعر القصيدة ، والحكمة امر شائع فى الادب العربي ، وتجيء كثيراً على لسان لقمان ، وربما كان هذا ترجمة عربية لايسوب اليوناني عبر السريانية ، غير ان الحكمة التى يعرفها الشعر العربي تجيء مستقلة عن كليهما ، عن السريانية واليونانية على السواء ، وإنما تستمد عناصرها من النصائح الخلقية التى يرسلها شيخ الجماعة او القبيلة ، ومن تجارب كبار السن ، ولا عجب إذن أن يكون الشيوخ موضع التقدير والاحترام من الجميع .

الافكار والاسلوب فى المعلقات

والمح الباحث الى موضوع اسر النساء فى الحرب ، وقدمه لنا عنترة ، واستشهد له بابيات من معلقة امريء القيس ، واصاب فى اشارته لمعلقة عنترة ، وخانه التوفيق فيما يتصل بامريء القيس ، لأن هذا لم يكن يتحدث عن غارة او اسر ، وإنما يعرض لاحدى مغامراته عاشقا ، مع امراة فى حي اخر ، ذهب اليها متلصصا ، وخرج من عندها متخفيا ، وهو تصوير فني رائع ودقيق ، وليس صدى لواقع حدث فعلا بالضرورة ، وارجح انه كان الى حي حيث القيان والبغايا ، ولامريء القيس حديث معهن لما يلتفت الى النقاد ، ومهما يكن فنحن نفهم من معلقة الحارث بن حلزة ان النساء كن يحضرن المعارك ، ويعاون الرجال ، ويثرن فيهم الحماسة والحمية .

ويعرض لخصائص المعلقات الأسلوبية ، فيراها غنائية واضحة ، ذات نسيج شاعرى عميق ، وقيمة جمالية عالية ، ويلحظ ان أصحاب المعلقات يختلفون فى طريقة انتقالهم من موضوع لآخر ، فامرؤ القيس يتميز بمهارته الرائعة فى الانتقال التدريجي ، عبر ابيات عديدة ، يمضي معها شيئا فشيئا ليدخل فى الموضوع الجديد ، اما زهير مثلا فيغير الموضوع فجاءة ، فينتقل مثلا من النسيب الى المديح .

وبعض كلمات المعلقات صعبة بالنسبة للعربي المعاصر ، الذى يعيش بعيداً عن اجواء المعلقات ، ويستخدم معجما مختلفا ، يحكمه الواقع المعاصر ، ولكن ذلك لا يعني ابداً ان هذه الالفاظ كانت صعبة او غريبة فى اللحظة التى قيلت فيها ، مع تسليمنا بداهة بان الشاعر كان يختار معجمه ، وينتقى الفاظه ، وبعض الافكار تتكرر عند كل الشعراء ، واحيانا نلتقي في صورتها نفسها ، وقد يكون مرد الأمر وهماً من الراوى .

واعقب الدراسة الادبية فصل درس فيه المعلقات بوصفها وثيقة تاريخية واجتماعية بالغة الاهمية ، عظيمة القيمة ، غنية بالاشارات والافكار ، وتناول فيها ظهور الجزيرة العربية الى الحياة ، والفارق بين البادية والحاضرة ، وحياة البدوي ومثله العليا فى ضوء نظرية ابن خلدون ، وخصائص الحياة فى الشمال والجنوب ، والم سريعا بالتاثيرات الخارجية ، وراها واهية او معدومة ، وكنت اود له فى هذا ان يعود الى كتابين عظيمين وهما : تاريخ العرب للدكتور جواد علي ، وفجر الإسلام للاستاذ احمد امين ، فسيجد ان الامر على غير ما ارتاى ، وقد تكون الفرصة مواتية الآن لأشير إلى أن كتب جورجي زيدان ، فيما يتصل بتاريخ الأدب العربي ، وتاريخ العرب والاسلام ، يجب أن تؤخذ بحذر فيما يتجاوز التاريخ للأشخاص والاحداث ، لان الزمن تجاوزها فقد ظهرت بعدها مخطوطات ، ونشرت وثائق ، وجدت مناهج ،

وتغير كثير مما كان على ايامه .

الاقتصاد والعلوم في المعلقات

ودرس التجارة فى المعلقات ، وانها كانت ناقصة. وبخاصة تجارة النسيج ، وازدهرت فى اليمن ، وتجارة الخمور ، وتجيء هذه من سورية ، تركز على الطريقة الاغريقية ليسهل نقلها ثم يضاف اليها الماء عند شربها ، ونجد ذلك واضحاً فى معلقات طرفة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة .

وترتبط البحارة بالتجارة ، وكانت متقدمة فى نهري دجلة والفرات والخليج ، وهو ما ينفى الفكرة الشائعة بان العرب رجال ارض ويخافون البحار ، وكان فن البحارة عند العرب متقدما ، ويمكن القول ان مجال نشاطهم امتد الى المحيط الهندي .

ويمكن ان نستنتج ان اقتصاد الجزيرة العربية فى الفترة التى قيلت فيها المعلقات كان راسخ الدعائم ، وتجاوز مرحلة البداوة وان جانبا من السكان كان يعيش فى مستوى عال ، وان نمو التجارة بعامة ، والدور الذى لعبته الجزيرة فى مجالها وسيطا بين الشرق والغرب ادى الى الازدهار ، ومزيد من الترف بين طبقة معينة من الشعب على الاقل ، وان العملات المالية ، من اصول مختلفة ، دخلت دائرة التعامل ، ولو ان المقايضة بالمواد المتنوعة ظلت قائمة ايضا ، وبداهة كان التقدم والترف فى المدن اكثر شيوعا ووضوحا عما كان عليه فى البادية .

وتعكس المعلقات معرفة علمية الى حد ما ، ذات طابع عملي ، بفن المعمار ، وإذا كان البدو يفضلون ان يتخذوا الخيام بيوتا ، مترفه او متواضعة بحسب مكانة صاحبها ، فسكان المدن شيدوا بيوتا ذات طابع معماري راق ، ربما كان مستورداً ، وبعضها شيد من حجارة ، واخذ شكل حصون يحتمي بها أصحابها ، لم يستطع المطر العنيف فى معلقة امرىء القيس ان ياتي عليها ، رغم انه اقتلع النخيل ، واغرق الوحش ، او قنطرة الرومي التى شيدت بقرمد فى معلقة طرفة . وكان فن الزخرفة بالوانه المختلفة ، وتقنياته المتعددة شائعا بين البدو ، ويشبه زهير الصوف المصبوغ زينت به ابل راحلة ، وقد تناثر فتاته فى كل موقف ابطات به، بحب الفنا لم يحطم ، وحب الفنا احمر اللون ، وفيه نقط سوداء ، ويصف الماء المتجمع كثر قدره ، وعمق حجمه ، وصفا لونه ، بانه ازرق .

وكانت الكتابة معروفة عند البدو ، على الاقل جنساً إن لم تكن ممارسة ، ولكن القراءة قليلة الشيوع ، ومرد ذلك ان العرب كانوا يستخدمون فى البدء الأبجدية الجنوبية ثم تركوها واستخدموا النبطية لأسباب سياسية ، تتصل بالسيطرة على الطرق التجارية ، وبين نهاية مرحلة سقطت ونسي الناس ابجديتها ، واخرى بدات ولما تزدهر ، عرفت الجزيرة مرحلة من الامية الواسعة .

وادى التعايش مع الطبيعة الى نمو المعرفة بالفلك وتلمح فيها اثارا اكادية ، وكان الفلك عند هؤلاء علما متقدما ، ويملك البدوى تجربة وممارسة ومعرفة واسعة بجسم الحيوان ، ويتجلى ذلك واضحا فى وصفه ، وحديث طرفة عن الناقة شاهد مؤكد ، وإلماما واسعا بجغرافية الجزيرة ، مطرا وعواصف ورعودا ، واسماء امكنتها وعيونها ، وخصائص كل جانب منها .

تقاليد العرب وعاداتهم

واما تقاليد العرب التى تعكسها المعلقات فيمكن للمرء ان يكتب فيها كتابا ، فالتعصب للقبيلة واضح ، والثار واجب مقدس ، ويحس البدوي بانه اسمى من الآخرين ، ويرتبط نقاء الدم بالابوة وحدها ، ولكن الامومة لا تقل احتراما ، ولا المراة تقديرا عن الرجل ، واية ذلك ان اللغات السامية وحدها تملك لفظا مستقلا يومىء الى صلة الأم ، وهو الخئولة ، واخر يشير الى صلة الأب ، وهو العمومة ، وانهما بمنزلة واحدة ، على حين لا تملك اللغات الاخرى لكلا الصلتين غير لفظ واحد .

ويابى العربي الضيم ، ويحمي اللاجىء ، ويزهو بنسبه ، ويساعد المحتاج ، ويثبت عند اللقاء ، ويناضل دون عقيدته ، وهناك الصعلوك، رفض المجتمع ، وانعزل عن القبيلة ، واعلن نفسه عالما مستقلا ، ووهب نفسه لاقامة العدل الاجتماعي ، يغير على الاغنياء لصالح الفقراء ويقف الى جانب المستضعفين ، وكان عدد الصعاليك فى المجتمع الجاهلي كبيرا ، وبلغ بعضهم شهرة غامرة كشعراء ، ولكن ليس بين اصحاب المعلقات من ينتمي الى هذه الطبقة ، وهي ظاهرة جديرة بالتسجيل .

وتقدم لنا المعلقات الوانا من الملابس التى تستخدمها النساء ، ونلحظ انها تختلف طبقا لواقع المراة ، فتاة او متزوجة ، ولتقاليد القوم فى تناول الطعام ، واتخاذ التمائم ، والحزن الصاخب على الموتى ، وما يصحبه من البكاء والعويل وشق الجيوب ، وان النساء كن يستخدمن الوشم فى سواعدهن للزينة ، والوانا من الرياضة تجيء الفروسية فى مقدمتها ، ومن اللعب واهمه الميسر ، ولم تنس الاطفال ، فنعرف من خلالها انهم ، حتى سن معينة ، كانوا يحملون فى رقابهم تمائم تحميهم من العين والأذى ، وانهم كانوا يتزينون بالعقـود .

وفي مجال الصلات بين الرجل والمراة يرى الباحث ، معتمداً على المعلقات ، انها كانت متفاوتة ، تختلف من مكان الى آخر ، دون ان تبلغ حد التطرف الذى يجعل من المراة مخلوقا نجساً ، او يجعل منها متعة متاحة بلا ضوابط ، وعرف العربى فى عصر المعلقات الحب بمفهوم متميز ، ليس رومانسياً ، ولا افلاطونيا ، ولا عذرياً ، ولا ماديا خالصا ، ولكنه حب الفارس ، يرغب فى المراة ، ولكنه يجلها ويحترمها ، ويعمل على ارضائها ، وعلى حين يرى عنترة ان الحب يقاوم البعد ، ويتغلب عليه ، فان لبيدا يجعل الحب معه مستحيلا .

تلك هي الخطوط لدراسة فـذة هى الاولى فى اللغة الاسبانية التى تدرس شعرنا الجاهلي ، والمعلقات من بينه بخاصة ، وهي شاهد على ان الفن السامي وحده يستطيع ان ياخذ طريقه الى كل اللغات وكل الأذواق ، مهما حمل من صفات المحلية فى تراكيبه وفى عناصره .

وتلي هذه الدراسة ترجمة المعلقات نفسها ، ولست ازعم لنفسي انني مهيا للحكم عليها من حيث ايقاعها الاسبانى شعرا ، بلى ، ولكني اقرر صادقا وعلى وعي ، انها من ادق التراجم التى نقل اليها شعرنا فى اللغات الاجنبية ، وقد سبق كل ترجمة تعريف موجز بصاحبها ، والحق بكل بيت تتطلب طبيعته هامشاً يفسر ما قد يضم من اشارات جغرافية ، او طبيعية ، او تومىء الى شيء من عادات القوم وطباعهم ، مما يضيف الى متعة القراءة متعة الفهم والفائدة .

وكاي بحث علمي يحترم صاحبه القارىء ويحاول ان يكسب ثقته ، فقد الحق به قائمة وافية بالمصادر التى عاد اليها عربية واوربية ، قديمة وحديثة ، ولي عليها ملاحظة ، وهي ان حظ الدراسات العربية الحديثة منها قليل ، ولو عاد اليها الدكتور فيدريكو لربما اضاف جديداً ، واكيداً كانت ستهديه الى خير كثير .

د. الطاهر أحمد مكي

أزمة العلم في العصر الحديث



بقلم
فؤاد كامل

نشأت العلوم جميعاً فى حضن الفلسفة .. وكلما شب عن الطوق علم ، انفصل عن صدر الأم ، واستقل بحياته ، واتخذ له منهاجاً وطريقاً .

وكان علم الطبيعة (الفزياء) أسرعها إلى الاستقلال ، وأسبقها إلى الانفصال ، بدأ ذلك منذ أربعة قرون أو يزيد قليلا بفضل كوبرنيكس وتيكوبراهي وكيلر وجاليليو وفرنسيس بيكون . واعتمد نيوتن هذا الانفصال نهائياً بكتابه فى الميكانيكا الذى أطلق عليه اسم «المبادىء الرياضية للفلسفة الطبيعية» (١٦٨٧) ، والعجيب أن هذا الكتاب الذى يؤرخ لانفصال علم الطبيعة عن الفلسفة ظل محتفظاً باسم الفلسفة وكأنما يريد أن يحتفظ باثارة من وفاء وبقية من العرفان بصلة الرحم .

وتوالى بعد ذلك انفصال العلوم التجريبية عن الفلسفة ، فانفصل علم الكيمياء على يد لافوازييه ، وعلم الحياة على يد كلود برنار . وفى مطلع القرن العشرين انفصل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا .. الخ .
ولم يكتف الأبناء بهذا الاستقلال والانفصال عن أمهم الفلسفة ، بل راحوا يحاولون إخضاع الفلسفة لمنهجهم العلمى فى البحث والتفكير ، فأصبحنا إزاء تيارات فلسفية تهدف إلى انشاء فلسفة علمية ، وهى التيارات المعروفة فى الفكر الغربى الحديث باسم «النزعة العلمية فى الفلسفة» ، ومن اهم دعاتها هانز ريشنباخ .

ومع اختلاف العلوم التى انفصلت عن الفلسفة من حيث الموضوع ، فقد كانت تشترك فى سمات واحدة بعينها اهمها : الحتمية والسببية والتعميم والتحديد والموضوعية ، ونقول «كانت» لأن هذه الدعاوى العريضة اخذت

أزمة العلم
في العصر الحديث

تتهاوى واحدة إثر الاخرى حتى لم يبق للعلم منها شيء إلا الذكرى والتاريخ .

أما الصياغة الشهيرة للدعوى الأولى واعنى بها الحتمية فهى الصياغة التى وضعها «لابلاس» وهى : انه إذا كانت لدينا معرفة بحالة الكون فى وقت معين ، ففى إمكاننا من حيث المبدأ أن نتنبأ بكل ما يتلو ذلك الوقت من تاريخ الكون . وهذه دعوى لا نستطيع ان نثبت صحتها أو ندحضها من الناحية المنطقية النظرية البحتة : لا نستطيع أن نثبتها لأن إثباتها يقتضى أن نقدم تفسيراً حتميا لكل الأحداث ، كما لا نستطيع ان ندحضها ، لأنه إذا حدث واخفقنا فى ان نجد تفسيرا حتمياً لحادثة ما ، فمن الممكن أن يعد هذا الاخفاق ــ ومن المألوف أن يعد ــ ثغرة مؤقتة فى المعرفة العلمية .

وترتبط دعوى الحتمية بالصورة التى رسمتها قوانين نيوتن للطبيعة وللكون ابتداء من اواخر القرن السابع عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر . وهى صورة اشبه بالساعة الدقيقة المنتظمة التى لا يعتريها خلل او انحراف . هذه الصورة قد تحطمت إلى غير رجعة وحلت محلها صورة اخرى رسمتها نظرية النسبية من جهة ، ونظريات هيزنبرج فى اللاتحدد وماكس بلانك فى الكم (الكوانتم) ، ودى بروى فى الضوء والمادة من جهة أخرى .

ففى اوائل القرن التاسع عشر اخذ البناء العلمى الذى شيده نيوتن فى التصدع ، ذلك أن القوانين التى وضعها نيوتن وقفت عند ظواهر محدودة الحركة هى التى يمكن أن تنطبق عليها تلك القوانين لتحديد مواضعها وسرعاتها الأصلية كشرط للتنبؤ باتجاهاتها المستقبلة . ثم برزت إلى الوجود ظواهر جديدة لم يكن فى الامكان ان تنتظم فى نطاق التفسير الآلى . ومن هذه الظواهر التجربة التى أجراها «رولند» وانتهى منها إلى ان القوة تعتمد فى شدة تأثيرها على السرعة وليس على المسافة فقط .

وهذه النتيجة تتابى على أساس هام فى الصورة الآلية . وجاءت النظرية النسبية التى وضعها أينشتين لتقرر ان ميكانيكا نيوتن مشروعة فى نطاق التجارب العادية ، اى فى الكميات المحددة والسرعات البطيئة كسرعة السيارات والعربات ، ولكنها ليست مشروعة فى غير هذا النطاق . ومن اجل هذا كانت الفيزياء النسبية ذات قوانين تنطبق على الصعيد الأعلى من العالم هناك حيث تتحرك الأجسام بسرعة الضوء او ما يزيد .

اضف إلى ذلك مفهوم «المجال الجاذبى» الذى احله اينشتين محل قانون نيوتن للجاذبية ، وهو المفهوم الذى احدث ثورة فى علم الفزياء ، وخلاصته ان وجود مادة فى الفضاء ذات كتلة معينة من شانه ان ينقر فى هذا الفضاء انحناء معينا يجعل الأجسام الأخرى تنزلق وتنحرف تبعا له . وكانت تجربة ميكلسون ومورلى متممة لهذه الثورة إذ برهنت على ان الأثير لا وجود له ، وانه مجرد مسلمة ادخلها فى نطاق العلم علماء الفزياء الذين سلموا بان كل شيء لابد أن يفسر تفسيراً آلياً .

وتدعو نظرية الكم (الكوانتم) ونظريات الانفصال فى الفزياء الحديثة إلى «اللاحتمية» ، وتنكر الصورة الحتمية التى رسمتها القوانين الطبيعية حتى بداية القرن

كيف تسللت المصادفة إلى مجال العلم الحديث وانهارت الأسس التي تقوم عليها الصورة القديمة ؟

التاسع عشر . فاليوم تلعب «المصادفة» دوراً عظيم الأهمية ، ولا تستطيع المصادفة بطبيعة الحال أن تتلاءم مع اية نتيجة محددة ، فهى اقرب إلى الحرية بصورة لا متناهية من القوانين الطبيعية .

وبعد ان كان منطق العلم لا يحتوى إلا على قيمتين فحسب هما : الصدق او الكذب بمعنى أن تكون القضايا إما صادقة أو كاذبة ، اصبح من الممكن الآن تكوين منطق ثلاثى القيمة ، فيه قيمة متوسطة هى «اللاتحدد» ، وفى هذا المنطق تكون القضايا إما صادقة ، وإما كاذبة ، وإما لا محددة . ويبدو ان مثل هذا المنطق هو الصورة النهائية لفزياء الكوانتم حتى هذه اللحظة .

وهكذا تسللت «اللاحتمية» و «المصادفة» و «الاحتمالية» و «الاحصائية» إلى مجال العلم الحديث . وبعد أن كان العلم يلجا إلى التفسير الاحصائى لقوانين الطبيعة ليطامن من كبريائه فى الاخذ بمبدا التعميم او التفسير الكلى المطلق ، اصبحت الطبيعة نفسها إحصائية واحتمالية بطبيعتها إن صح هذا التعبير . ومعنى هذا اننا لم نعد مختارين فى وصف حوادث الطبيعة على أساس إحصائى ، بل إن هذه «الاحصائية» اصبحت من طبيعة هذه الحوادث نفسها . وفضلا عن ذلك برهنت أبحاث ميكانيكا الكم الحديثة على أن الحوادث الذرية المنفردة لم تعد تقبل تفسيراً سببيا ، بل تحكمها قوانين الاحتمال فحسب . وقد صيغت هذه النتيجة فى مبدا «اللاتعين» المشهور عند هيزنبرج ، ولم يعد هناك مفر عن التخلى عن فكرة السببية الدقيقة ، واستبدالها بقوانين الاحتمال والاحصاء التى تصاغ على هذا النحو : «إذا حدث كذا .. حدث كذا فى نسبة مئوية معينة» .

وهكذا انهارت الاسس التى تقوم عليها الصورة القديمة للعالم وهى :



جاليليو



فرانسيس بيكون

الحتمية والسببية والتعميم والتحديد .. ولم تبق إلا «الموضوعية» . فما هو تعريف «الموضوعية» فى العلم ؟ وما معنى أن يعنى العلم بما هو موضوعى فقط دون ما هو ذاتى خاص ؟

الموضوعية هى العلاقات القائمة بين أجزاء الأشياء المدركة بحيث يستطيع الناس جميعاً أن يدركوا هذه العلاقات .. لو تهيأ لهم الموقف الصحيح لادراكها . وتعريف الموضوعى إذن هو «ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد المشاهدين» . وقد كانت هذه «الموضوعية» هى أساس انفصال العلوم عن الفلسفة كما أشرنا إلى ذلك فى مستهل هذا المقال . فالفلسفة ذاتية لأنها ترتبط بشخصية الفيلسوف الذى ابتدعها ، أما العلم فموضوعي لأنه مشترك بين الناس كافة .

وكما كانت الرياضة مثلا أعلى للعلوم الطبيعية من حيث الدقة واليقين ، فقد كانت أيضاً المثل الأعلى من حيث الموضوعية ، إذ لا مجال فيها للفردية أو الشخصية أو الذاتية . بيد أن هذا المثل الأعلى قد تحطم فى عصرنا الراهن كما تحطمت غيره من المثل العليا ، وأصبحت الرياضة مجالا للابداع الفردى لا يقل عن مجال الفنون .. ووجدت «هندسات» ــ لا هندسة واحدة ، تنسب إلى أصحابها المبتدعين : فهذه هندسة «ريمان» ، وتلك هندسة «لوبا تشفسكى» ، وهناك هندسة «جاوس» ، كل هذا بالاضافة إلى هندسة إقليدس القديمة التى تتخذ من المكان المسطح أساساً تبنى عليه نظرياتها ، على حين تتخذ كل من تلك الهندسات اللاإقليدية مكاناً مختلفاً لبناء نظرياتها ، فاحداها تتخذ المكان على شكل اسطوانة والأخرى تتخذه على شكل كرة .. وهلم جرا .

وما دامت «الذاتية» و «الابداع الفردى» و «الشخصية» قد تسربت إلى المثل الأعلى للعلوم الطبيعية ، ألا يكون من الممكن أن تغزو هذه العلوم نفسها ؟ وهذا هو ما حدث بالضبط للعلوم فى العصر الحديث .

● ● ●

ـ كان العلم الطبيعى يتمتع بأعلى درجات الموضوعية فى نظر الفزيائى القديم ، فهذا العلم منفصل عن وجود الانسان الوثيق ، ولا صلة له بالذات الانسانية من قريب أو بعيد . وجاءت نظرية أينشتين النسبية فجعلت المقاييس التى نتخذها فى قياس المدد والأطوال تتوقف فى نهاية الأمر على وجهة نظر الراصد وإطار الاشارة الذى يوجد فيه ، مما يضفى على مقاييسنا طابعاً «ذاتياً» .

كانت هذه أولى الضربات التى تلقتها «الموضوعية» فى العلم الحديث . وهى ضربة ليست هينة ، لأنها أصابت معقلا ومقتلا . وهى من القوة بحيث أن العلماء المكتشفين الذين وجهوها كانوا أول من أصابتهم المفاجأة بالذهول ، ذلك أنها قلبت مفاهيمهم التقليدية عن الطبيعة رأساً على عقب ، وصار الكون الذى كانت صورته واضحة فى الأذهان حتى ديسمبر سنة ١٩٠٠ عندما اكتشف بلانك نظريته الكوانتم ــ لغزاً محيراً ، وأصبحت الطبيعة التى تسير وفقاً للأسباب والمسببات تقفز فى طفرات ، وتنتقل فى حزم . ولم يعد من الممكن بعد الثورة التى أحدثها بلانك وأينشتين ومدام كورى وزوجها ونيلز بور ، ودى بروى وشرودنجر وهيزنبرج ــ لم يعد من الممكن أن تحتفظ الفزياء بموضوعيتها ، بعد أن أصبح الفصل بين الملاحظ وموضوع الملاحظة أمراً مستحيلا . وبذلك تغيرت الأسس نفسها التى يقوم عليها العلم ، وكأنما ترفض الطبيعة الجهود التى تبذل لفض مكنوناتها وأسرارها وذلك على نحوين لا تنقصهما الفعالية : الأول لأنه باعتماد الملاحظة لا على الموضوع الملاحظ فحسب ، بل على الشخص الملاحظ أيضاً ، لم يعد الانسان يرى الطبيعة فى ذاتها ، بل الطبيعة الملحوظة ، وهكذا لا يكشف العلم الحديث للانسان الماهية الموضوعية

أزمة العلم
في العصر الحديث

للطبيعة ، وانما وجها واحداً من وجوهها والنحو الثانى الذى تفلت به الطبيعة من الشباك العقلية التى يحاول بها الانسان اقتناصها ــ هو قانون «اللاتعين» الذى وضعه هيزنبرج . إذ يحدد لنا هذا القانون المكان الذى ينبغى أن نقف عنده ولا نتعداه . ولم يعد ثمة مجال للشك فى الحدود الفاصلة بين الشك واليقين أو بعبارة اخرى اصبحنا على يقين من عدم اليقين .. وأصبحنا على يقين لا يعتريه الشك وهو ان الكون الذى نعيش فيه اوسع كثيراً مما يستطيع العلم او الحس ان يكتشفه .

والشيء المأساوى حقا هو أن الفزياء التى كانت علماً دقيقاً مضبوطا حتى نهاية القرن التاسع عشر ، قد أصبحت اليوم معرضاً لتضارب الآراء ، ومجالا للمذاهب المتناحرة ، فلم يعد اينشتين يخفى استنكاره لأفكار نيلز بور ، كما كان هو نفسه هدفاً لانتقادات قاسية . ومن نقاده الألداء هنرى برجسون وجاك ماريتان .

وكان هذا «المناخ» العلمى الجديد الذى ساد القرن الحالى ، والحيرة التى صاحبته دافعاً لانعقاد مؤتمر من علماء الفزياء فى كوبنهاجن سنة ١٩٢٦ . وفى هذا المؤتمر دارت مناقشات حامية بين نيلز بور الدنماركى وفرنر هيزنبرج وشرودنجر الالمانيين . ولم يكن الاجماع من نصيب اى توضيح من التوضيحات المقدمة للمؤتمر . ومعنى ذلك أن المجال اصبح متسعاً للآراء المختلفة فى علم كان يظن انه مضبوطاً .

ولنا أن نتساءل : ما هى الآفاق المفتوحة امام هذا العلم الجديد؟ إنه كلما تقدم فى مسيرته ، ازدادت رؤيته تعقيداً ، وقل فيها الوضوح ، وهذا ما يمكن أن ننتهى إليه من الكشف عن جزئيات جديدة جعلت من الذرة عالماً حقيقيا من الحوادث ، وعالما تولد فيه شرارات الطاقة او المادة ثم تموت بعد حياة قد تستغرق احقاباً او قرونا أو اعواماً أو أياماً او ساعات او دقائق أو ثوان ، أو اجزاء على الف من الثانية ، عالماً مبهما إلى اقصى درجة ، لم تكن فيه من قبل غير شمس واحدة غاية فى الصغر تدور حولها كواكب اصغر منها الاف المرات . وليت الأمر يقتصر على الابهام والغموض والتعقيد ، بل إنه شيء لا سبيل إلى تفسيره ، وقد علقت عليه لافتة ضخمة كتبت عليها هذه العبارة : «اللاتحديد» .

وقد آن لنا أن نتعرض بشيء من التفصيل لفكرة «اللاتحديد» هذه . ونبدأ قصتها والقرن التاسع عشر يقترب من نهايته . كانت الفكرة السائدة عن المادة انها مركبة من ذرات وعن الضوء انه مؤلف من موجات . ومن المعروف إن الضوء والمادة هما أعظم مظهرين للواقع الفزيائى . وكان تفسير الظواهر الطبيعية على هذين الاساسين يبدو ناجحاً منذ أن تمكن دالتون من قياس نسب الأوزان التى تدخل بها العناصر الكيميائية فى مركبات ، واكتشف أن هذه النسب ثابتة تعبر عنها أعداد صحيحة بسيطة. اما عن الضوء ، فقد تم اخيراً الربط بين النظرية التموجية فى الضوء التى ابتدعها كريستيان هويجنز وبين النظرية الكهربائية فى أعمال جيمس ماكسويل ، وكان ذلك على يد هينريشن هوتس الذى قدم الدليل التجريبى على وجود موجات كهربائية .

وفى ختام القرن الماضى طرات تحولات جذرية على فهمنا للواقع الفزيائى ، وذلك باستحداث بلانك لنظرية الكم (الكوانتم) . وقد وضعت هذه النظرية اساساً لتفسير صدور الاشعاع عن الأجسام الساخنة . وتقول هذه النظرية إن الاشعاعات الضوئية وغيرها عبارة عن ذرات من الطاقة ، وهذه الطاقة مؤلفة من وحدات أولية هى ما اطلق عليه بلانك اسم «الكمــــات» وتنتقل هذه الوحدات تبعاً ١ ، ٢ ، ٣ لأعداد صحيحة ، فلا يوجد ابداً جزء او كسر من الكوانتم . وحجم الذرة ، اى كمية وحدة الطاقة ، تتوقف على طول موجة الاشعاع الذى ينقل به الكوانتم ، فكلما كان طول الموجة اقصر ، كان الكوانتم اكبر .

وتوالت بعد ذلك تطبيقات نظرية الكوانتم فى مجالى الذرة والأشعاع وبخاصة على يد نيلز بور الذى وحد بين اتجاهى التطور فى كلا المجالين فاستغل الكشف الذى توصل إليه مندلييف الروسى من ان للذرة تركيبا داخليا ، وأنه إذا رتبت ذرات العناصر الكيميائية حسب الوزن ، فان خواصها الكيميائية تتخذ ترتيباً دائرياً . كما استغل النموذج الكوكبى للذرة الذى وضعه رذرفورد الانجليزى حين ربط بين هذه الكشوف الكيميائية وبين كشف الالكترون . وفى عام ١٩١٣ وضع نيلز بور نظريته التى وحد بها بين نموذج الذرة عند رذر فورد وفكرة «كم الطاقة» عند بلاك .

غير ان نظرية بور وضعت الفزياء فى مازق حرج ، فقد كان بعض الظواهر يقتضى تفسيراً جسيميا للضوء ، وبعضها الآخر يقتضى تفسيراً تموجياً .

ومن هذا المازق خرج لون دى بروى الفرنسى بفكرته التى أعلنها بان الضوء مؤلف من جزئيات ومن موجات معاً . ونقل هذه الفكرة إلى ذرات المادة ، فقال إن كل جزىء صغير من المادة مقترن بموجة ، وان الموجات تسير مع الجزىء

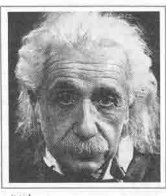
لماذا اعادت الفيزياء
إلى التفكير الفلسفي
بعد انقطاع ثلاثة قرون ؟

وتتحكم فى حركته . فجاء شرودنجر وقال إنه يستطيع الاستغناء عن الجزئيات ، وأنه لا توجد إلا موجات تتجمع فى بقاع صغيرة معينة ، فينتج عنها شىء يشبه الجزىء ، ووضع معادلة تفاضلية هى الأساس الرياضى للنظرية الحديثة فى الكم ، ويطلق عليها عادة اسم ميكانيكا الكوانتم .

ولما استحال الجمع بين الرايين اقترح ماكس بورن الفكرة القائلة بأن الموجات ليست شيئاً مادياً على الاطلاق ، وإنما احتمالات ، حقيقتها رياضية فحسب . وسار هيزنبرج فى هذا الطريق ، فبين أن هناك قدراً محدداً من «اللاتحدد» فيما يتعلق بالتنبؤ بمسار الجزىء ، مما يجعل من المستحيل التنبؤ بهذا المسار بدقة . وأخيراً جمع بور بين نتائج هيزنبرج فوضع مبدأ التكامل القائل بأن تفسير بورن لا يقدم إلينا الا وجها واحداً للمشكلة ، فمن الممكن أن ننظر إلى الموجات على أنها ذات حقيقة فزيائية فلا يكون للجزئيات حينئذ أى وجود . ومعنى هذا أن الواقع الفزيائى يقبل تفسيرين ممكنين ، كل منهما يماثل الآخر فى صحته ، وإن يكن من غير الممكن الجمع بين الاثنين فى صورة واحدة ، لأن قانون اللاتحدد يجعل من المستحيل القيام بأية تجربة فاصلة تحدد أى التفسيرين هو الصحيح وأيهما الباطل .

وهكذا فان سؤالنا : ما المادة ؟ لا يمكن الاجابة عنه بالتجارب الفزيائية وحدها ، وإنما يحتاج إلى تحليل فلسفى للفزياء .

وبعد أن كانت الفزياء قد انفصلت عن التفكير الفلسفى خلال القرون الثلاثة الماضية ، فانها تعود اليوم إلى البحث الفلسفى مرة أخرى بعد أن وصل البحث إلى مرحلة من التعقيد تقتضى هذه العودة . وعلينا الآن أن نصغى الى الفلاسفة بعد أن كنا نصغى إلى العلماء



اينشتاين

ويقول هؤلاء الفلاسفة إن علينا أن نضع نسقين مختلفين للقوانين الفزيائية ، أحدهما للموضوعات الملاحظة والآخر للموضوعات غير الملاحظة . والطبيعة لا تملى علينا وضعاً واحداً بعينه ، والحقيقة لا تقتصر على لغة واحدة ، وفى استطاعتنا أن نصف العالم الفزيائى بهندسة إقليدية أو بهندسة لا إقليدية . فهناك طرق كثيرة لقول الصدق وكلها متكافئة بالمعنى المنطقى . والواقع الفزيائى يقبل فئة من الأوصاف المتكافئة ونحن نختار أحدهما على سبيل التيسير على أنفسنا ، وهذا الاختيار لا يرتكز إلا على عرف أو اصطلاح ، أى على قرار إرادى . فها نحن نعود مرة أخرى إلى «الذاتية» .

وهناك فى عالم الذرة أشياء يمكن أن نلاحظها وأشياء لا يمكن أن نلاحظها . فما يمكن ملاحظته هو الصدمات بين جزئين ، أو بين جزىء وشعاع ضوئى . أما ما لا يمكن ملاحظته فهو ما يحدث خلال الفترة الواقعة بين صدمتين ، أو فى الطريق مذ مصدر الاشعاع إلى الصدمة . ولكن ، ما السبب الذى يجعل هذه الملاحظة مستحيلة ؟ المشكلة هى أنه من الضرورى لكى نرى جزيئاً أن نضيئه واضاءة جزىء شىء يختلف كل الاختلاف عن إضاءة بيت . ذلك لأن الشعاع الضوئى عندما يقع على جزىء يخرج به عن طريقه . ولكى يكون وصفنا

لمسار الجزىء كاملا فينبغى أن نحدد مكانه وسرعته معاً . بيد أن التغيير الذى يحدثه الملاحظ ـ بفعل الاضاءة ـ يجعل من المستحيل قياس القيمتين معاً فى نفس الوقت . ففى استطاعتنا أن نقيس موقع الجزىء «أو» سرعته ، ولكنا لا نستطيع قياسهما معاً . هذا هو معنى مبدأ اللاتحدد الذى وضعه هيزنبرج .

والمهم فى هذا كله هو أن الصورة التى نرسمها للكون قد أصبحت اختيارية ، أى ذاتية ، وأن ظواهر الطبيعة نفسها أصبحت لا حتمية بمعنى أننا لو وضعنا ذرتين من الراديوم جنباً إلى جنب ، وكانت إحداهما تنفجر فى وقت محدد ، فانه من الممكن ألا يبدو على الذرة الأخرى أية علامة تشير إلى أنها ستفعل نفس الشىء . فكيف يمكن أن تتصرف الأشياء المتطابقة فى الظروف الواحدة تصرفاً مختلفاً؟ وإذا كنا نستطيع أن نقول بثقة أن نصف أى عدد كبير من ذرات الراديوم سينفجر فى الـ ١٦٠٠ سنة القادمة . فاننا لا نستطيع مطلقاً أن نحدد أى الذرات ستنفجر بعد ذلك ، أو متى ، بل يبدو إن الطبيعة نفسها لا «تعلم» شيئاً هى أيضاً . فقوانين النشاط الاشعاعى إحصائية بحيث تختلف تمام الاختلاف عن قوانين نيوتن الحتمية للحركة .

لقد أصبح العنصر الذاتى مغروساً فى تصورنا للطبيعة . ويتوقف الأمر فى هذا التصور على الكيفية التى ننظر بها إلى الكون ، أى على وجهة النظر الذاتية

فلا يمكن أن يرسم صورة متسقة للطبيعة إلا مصور فردى ، أيا كانت كمية المعلومات التى استمدها من الآخرين . ذلك أن هذه الصورة لا تكشف عما نعرفه أو عما نظن أننا نعرفه ، بل عن «فهمنا» لما نعرفه . هذا الفهم هو من «إبداعنا» الخاص ، إنه تفسير تخيلناه للمعرفة نحاول أن نمزج فيه كل شذرات الحقائق

ازمة العلم
في العصر الحديث

المنفصلة فى صورة واحدة منسجمة . وكثيرون هم العلماء الذين مهدوا لظهور اينشتين ، ولكن لا يوجد غير اينشتين واحد .

وهنا نصل إلى مازق آخر يقف إزاءه العلم حائراً . فان محدودية العقل البشرى من ناحية ، وتكدس المعلومات والحقائق العلمية من ناحية اخرى قد جعل من العمل الجماعى التعاونى ضرورة لا محيد عنها فى مجال البحث العلمى ، فى الوقت الذى لا يمكن فيه للكشف العلمى الا أن يكون فردياً . وهذه هى المعادلة الصعبة : فرد واحد لا يستطيع ان يستوعب نتائج العلوم لكثرتها وتشعبها ، وفرد واحد هو الذى ينبغى أن يتوصل إلى كشف علمى أو نظرية واحدة ـ كنظرية النسبية ـ لتفسير النتائج التى توصلت إليها العلوم المختلفة .

وما يزيد من حدة هذه الأزمة هو ان معظم العلماء على درجة كبيرة من الفردية بحيث تراهم لا ياخذون مبدا البحث الجماعى التعاونى ماخذ الجد . ويقال إن أينشتين أعلن ذات مرة أنه لا يستطيع أن يتخيل كيف كان من الممكن أن تتصور نظرية النسبية جماعة من العلماء .

أضف إلى هذا أن التحليل الدقيق الذى قام به بوانكاريه لطبيعة الكشف الرياضى أثبت أن وعينا الحدسى بالحقائق يختلف كل الاختلاف عن تفكيرنا الذى يتم فوق سطح الوعى ، فهو لا يتم فى كلمات ، وإنما يحدث فى مكان ما من اللاشعور بحيث لا يدرك المفكر عادة ما يدور داخل نفسه . ودور التفكير اللاواعى مهم ايضاً فى العلوم الأخرى ، بل قد يكون حاسماً فى حل بعض التفاصيل الفنية التى قد تبدو تافهة .

والأمل معقود فى حل هذه الأزمة المستحكمة على ايجاد طريقة أعمق فى الاتصال الحميم بين العلماء .. نوع من التواصل الوثيق ، ووسيلة مبتكرة لنقل الأفكار إذا كان لابد للبحث الجماعى أن يكون فعالا . ولهذا كله نحتاج إلى فهم أعمق كثيراً مما نعرفه الآن للطريقة التى يعمل بها العقل البشرى . وليس هذا أمراً مستحيلا على كل حال .

وعلينا فى البحث الجماعى أن نتجنب كبت التفكير اللاواعى للفرد ، وأن نقدم له كل ما يتطلبه من معلومات ، بل وكذلك الأفكار التى لم تكتمل بعد عند زملائه المتعاونين معه بصورة أو باخرى

والمخرج الثانى من هذه الأزمة هو أن يلجأ العلم إلى الفلسفة ، وبذلك يدور الزمن دورة كاملة ، ويعود الابناء إلى حضن امهم الدافىء الحنون . ولا يتوهمن القارىء اننا ندعو إلى وضع فلسفة علمية فهذا النوع من الفلسفة ـ كما يقول برديائف ـ من اختراع مفكرين محرومين من أية موهبة فلسفية صادقة ، أو الشعور بأن لهم رسالة معينة ، إنهم هؤلاء الذين لا يضيفون شيئاً إلى الفلسفة . والنزعة العلمية ليست فى مركز يسمح لها بتقدير دلالة العلم نفسه وتقدير امكانيات الانسان العقلية ، إذ أن وضع المشكلة نفسه يتعالى على حدود العلم ، والنزعة العلمية تعالج كل شيء من حيث هو موضوع ولا تعفى من ذلك الذات نفسها .

وليست مهمة الفلسفة أن تستريب بالعقل ، وإنما أن تميط اللثام عن متناقضاته ، وأن توضح له حدوده . وعلينا الا نلتمس معيار الحقيقة فى العقل أو الذهن ، وإنما علينا أن نلتمسه فى الروح المتكامل .

ومن التحيز البين الاعتقاد بأن المعرفة عقلية دائماً ، وأنه لا وجود مطلقا لمعرفة لا عقلية . ذلك أننا نفهم عن طريق الوجدان أكثر مما نفهم عن طريق العقل .

ومن الخطأ الجسيم أن نعتقد أن العاطفة لا يمكن الا أن تكون ذاتية وحسب ، بينما الفكر هو وحده الذى يتسم بالموضوعية ، وأن الذات العارفة لا تستطيع أن تدرك الوجود الا عن طريق العقل ، بينما تقتصر العاطفة على العالم الذاتى وحده .. والواقع أن عكس ذلك هو الصحيح ، فالعاطفة الانسانية ليست ذاتية اللهم إلا فى فضلة فردية ضئيلة ، وهى فى شطرها الأعظم قد أحالها المجتمع إلى شكل موضوعى . وعلى العكس من ذلك يمكن أن يكون العقل ذاتياً إلى حد كبير ، بل هو فى أغلب الأحيان أكثر فردياً من العاطفة ، وأقل خضوعاً للاحالة الموضوعية التى يقوم بها المجتمع .

والمعنى نفسه الذى يفهم من كلمة «ذاتى» و «موضوعى» فى حاجة إلى مراجعة بالغة الدقة ، فان مسألة تحديد هل ادراك الحقيقة ذاتى أو موضوعى على جانب كبير من الخطورة . وأيا كان الحل ، فاننا على يقين من أمر واحد ، وهو أن الادراك الفلسفى فعل روحى لا يقوم به العقل وحده ، وإنما تتركز فيه مجموع القوى الروحية للانسان ، سواء ما ينتمى منها إلى وجوده الارادى ، أو إلى وجوده الشعورى .

وما أبلغ قول الشاعر المعاصر إزرا باوند : «الفنون ، والأدب ، والشعر ، علم تماما مثلما أن الكيمياء علم . إن موضوعها جميعاً واحد ، هو الانسان ، والجنس البشرى ، والفرد» .

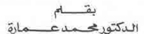
وليس غريباً أن يتجه العلماء لنفسهم ـ وقد أعوزهم اليقين فى العلم ، واقتنعوا بقصوره عن إشباع شوق الانسان الفطرى إلى المطلق ـ ليس غريباً أن يتجهوا إلى الفن والأدب فى فهم «الانسان» فها هو واحد من العلماء الأفذاذ فى عصرنا الحاضر هو آلان كوتريل يهتف بتلك العبارة التى أوردناها للشاعر إزرا باوند فى ختام كتابه «صورة الطبيعة» بعد أن يقول : «.. ولمزيد من الفهم فى هذا المجال (مجال الانسان) علينا أن نتجه إلى الفنون والآداب ، إلى الروائيين العظام ببصيرتهم النافذة إلى الطبيعة الانسانية .. إلى رمبرانت وميكلانجلو ، وإلى الموسيقيين الذين عبروا عن المشاعر الانسانية تعبيراً مباشراً . ومع أن هذا النوع من الفهم لا يصاغ فى مصطلحات علمية ، إلا أنه إدراكى مكثف ومضبوط ، كما نعلم ذلك جميعاً من خبرتنا الشخصية باثاره» .

ولا نجد لختام هذا المقال كلاماً أبلغ من هذا الكلام ..

فؤاد كامل

الشيخ محمد رشيد رضا

١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ - ١٨٦٥ - ١٩٣١م



هو «السيد» محمد رشيد بن على رضا ابن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة .. القلمونى ، نسبة إلى بلدته «القلمون» ، إحدى قرى نواحى «طرابلس» الشام .. ولقد نزحت أسرته إلى «القلمون» من بغداد ، فهو بغدادى الأصل .. ويلقب «بالسيد» لأن أسرته «شريفة» ، يرتفع نسبها إلى الامام الحسين بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهما .

ولد بقريته «القلمون» ـ والمشرق العربى خاضع للدولة العثمانية وجزء من امبراطوريتها ـ وكان مولده فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ هـ ١٨ اكتوبر ١٨٦٥ م ..

وفى المحيط المتدين للأسرة بدأ رشيد رضا يتلقى دروس تعليمه الأولى بقريته على عادة عصره ، فحفظ القرآن ، وأخذ بأسباب التعليم التى تؤهله كى يكون عالماً من علماء الاسلام .. وفى «طرابلس» التحق بالمدرسة الوطنية الاسلامية .. كما درس فى بيروت .. وانتهى به المطاف بعد أن درس علوم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، واللغة ، والفقه ، إلى نيل شهادة (العالمية) من طرابلس ، بعد أن حصل ما يشابه علوم الأزهر الشريف فى مصر .. ولقد تتلمذ فى تعليمه هذا على نفر من علماء سوريا وأدبائها البارزين ، مثل الشيخ حسين الجسر (١٨٤٥ ـ ١٩٠٩ م) والشيخ عبد الغنى الرافعى (١٨٢١ ـ ١٨٩١ م) ..

كان تحصيله ثمرة لمنهج دراسته ، يغلب عليه الطابع السلفى ، الذى يهتم أكثر ما يهتم «بالمنقول» وينحو نحو اعلاء شأن النصوص والمأثورات ، مع فضيلة التدقيق فى أسانيد هذه النصوص ، دينية كانت أو تاريخية ..

ومن الكتب التى طبعت فكره وسلوكه بطابع متميز فى المرحلة الأولى من حياته كتاب (احياء علوم الدين) للامام الغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) فلقد مال به إلى الزهد ، وسلكه فى سلك الصوفية ، فأصبح واحداً من المريدين فى «الطريقة النقشبندية» ، واشتغل بالوعظ والارشاد فى قريته والقرى المجاورة لها ، حتى لقد كانت نزهاته التى يروح بها عن نفسه فى القرى المجاورة مجالا لعظات يلقيها ، مستعيناً بكتب المواعظ السلفية من أمثال كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) (١) ! .

ولقد تهيأ له فى هذه الفترة أن يتدرب على الخطابة الدينية فأجادها .. كما طمح إلى الكتابة ، فألف كتاباً عن (الحكمة الشرعية) ، ونشر فى احدى الصحف مقالا طويلا عن الأخلاق ، وكيف أنها هى والوجدان مصدر عمل الانسان .. كذلك صاغ بعض أفكاره شعراً منظوماً .

ولقد تصادف ان ولت الدولة العثمانية على طرابلس «متصرفاً» كان من انصار الحرية ، هو حسن باشا سامى وفى أحد الاجتماعات التى حضرها خطب الشيخ رشيد خطابا تحدث فيه عن طبقات الأمة ، حاكمين ومحكومين ، وحبذ أن يكون العمل هو معيار التمايز بين الطبقات .. وهو فكر استاء منه البعض ، وخشى عليه أصدقاؤه مغبته .. لكن «المتصرف» التركى اعجب به ، فعينه عقب ذلك عضواً فى «شعبة المعارف» (٢) ! .

وفى سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ ـ ١٨٩٣م) ـ وكان فى الثامنة والعشرين من عمره ـ حدث لفكره وسلوكه تحول عظيم .. فبينما هو يقلب الأوراق فى محفوظات والده ، إذ به يعثر على بعض من اعداد مجلة (العروة الوثقى) التى اصدرها فيلسوف الاسلام وموقظ الشرق جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ ـ ١٣١٤ ـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) وتلميذه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٨ ـ ١٩٠٥ م) من باريس سنة

١٨٨٤ م ، والتى توقفت بعد ثمانية عشر عدداً .. فقرأ هذه الأعداد التى أحدثت مقالاتها فى عقله ووجدانه انقلاباً شاملاً .. فاخذ يبحث عن بقية أعداد المجلة ، فوجدها كاملة فى مكتبة شيخه حسين الجسر ، فنسخها واكب على مطالعتها وفقهها مرات ومرات ، فتغيرت صورة الاسلام فى فكرة ، ومن ثم تغيرت صورة المسلم النموذجى ، فلم يعد الاسلام هو زهد (احياء علوم الدين) المغرق فى ادارة الظهر للدنيا ، ولم يعد المسلم هو السلفى العاكف على اصلاح العقائد وحدها .. وإنما تبدى له الاسلام الذى يوازن بين الدين والدنيا ، والحضارة والشعائر ، والتمدن وتطهير القلوب ، الاسلام المجاهد فى سبيل اصلاح دنيا المسلمين ، التى هى السبيل لاصلاح اخراهم ! .

ويتحدث الشيخ رشيد عن هذا الانقلاب الذى أصاب حياته ، وهو لما يزل طالباً للعلم فى طرابلس ، فيقول : «.. ثم إننى رأيت فى محفوظات والدى بعض نسخ (العروة الوثقى) فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء ، اتصل بى فاحدث فى نفسى من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بى من طور إلى طور ومن حال إلى حال .. كان الأثر الأعظم لتلك المقالات الاصلاحية الاسلامية ، ويليه تأثير المقالات السياسية فى المسألة المصرية . والذى علمته من نفسى ومن غيرى وفن التاريخ انه لم يوجد لكلام عربى فى هذا العصر ولا فى قرون قبله بعض ما كان لها من إصابة موقع الوجدان من القلب ، والاقناع من العقل . ولا حد للبلاغة إلا هذا!؟» (٣) .

لقد تعلم من (العروة الوثقى) «ان الاسلام ليس روحانيا اخرويا فقط ، بل هو دين روحانى جسمانى اخروى دنيوى من مقاصده هداية الانسان إلى السيادة فى الأرض بالحق ، ليكون خليفة الله فى تقرير المحبة والعدل» .

وهو يمضى مصوراً معالم ذلك الانقلاب الذى حدث له ، فيقول : ولقد «احدث لى هذا الفهم الجديد فى الاسلام رأيا فوق الذى كنت أراه فى ارشاد المسلمين ، فقد كان همى قبل ذلك محصوراً فى تصحيح عقائد المسلمين ، ونهيهم عن المحرمات ، وحثهم على الطاعات ، وتزهيدهم فى الدنيا .. فتعلقت نفسى بعد ذلك بوجوب ارشاد المسلمين عامة إلى المدنية ، والمحافظة على ملكهم ، ومباراة الامم العزيزة فى العلوم والفنون والصناعات ، وجميع مقومات الحياة . فطفقت استعد لذلك استعداداً ..» (٤) .

ومنذ ذلك التاريخ تاقت نفسه لاقامة الصلة بينه وبين جمال الدين الافغانى ـ الذى كان يعيش فى الآستانه ـ والامام محمد عبده ـ الذى كان قد عاد إلى مصر ـ فكتب للأفغانى كتاباً بليغاً ، امتلأت عباراته بشحنات الاكبار والاعجاب والتمجيد(٥) .. ثم سنحت له الفرصة فلقى الشيخ محمد عبده مرتين ، لقاء عابراً ، اولاهما عندما ذهب الامام لزيارة «المدرسة الخاتونية» بطرابلس .. والثانية عند زيارته لطرابلس ، مصطافاً وبصحبته القانونى المصرى البارز احمد فتحى باشا زغلول ، وفى هذين اللقائين عبر الشيخ رشيد للأستاذ الامام عن اعجابه به وبالأفغانى ، وعن تأثير (العروة الوثقى) فى التحول الذى حدث له، وكيف انتقلت به من طور إلى طور ، فاخرجته من قوقعة «التنسك الصوفى» إلى رحاب «الاسلام المصلح» (٦) ، على نحو ما صنع الأفغانى بالشيخ محمد عبده عندما تقابلا ، بمصر ، فى مطلع سبعينات القرن التاسع عشر.؟! ..

ولم يفكر رشيد رضا فى السفر إلى «الآستانة» ليتتلمذ على الافغانى ، فلقد كان يعلم أن المناخ هناك قاتل للابداع والطموح .. فلما توفى الافغانى سنة ١٣١٤ هـ سنة ١٨٩٧ م نشأت لديه فكرة الهجرة إلى مصر ، كى يتخذ من الشيخ محمد عبده أستاذاً ، وليكون موقعه منه كموقع محمد عبده من جمال الدين ! .. فاخــذ يعد عدته للسفر ، فادخر من تحرير «الحجج» و «العقود» نفقات رحلته ـ كما يقول ـ ثم تسلل إلى احدى السفن الذاهبة إلى الاسكندرية فوصلها مساء الجمعة ٨ رجب سنة ١٣١٥ هـ اول يسمبر سنة ١٨٩٧ م .. ومنها قام برحلة إلى «طنطا» «فالمنصورة» «فدمياط» «فطنطا» ـ ثانية ـ ثم وصل القاهرة يوم السبت ٢٣ رجب سنة ١٣١٥ هـ ـ ١٥ يناير سنة ١٨٩٨ م .. وفى اليوم التالى ذهب لزيارة الأستاذ الامام (٧) ..

وفى القاهرة وضع الشيخ رشيد قدمه على طريق تحقيق ما بنفسه من طموحات وآمال .. وكما يقول : «فلقد كنت اعتقد أن استعدادى كله يبقى ضائعاً إذا بقيت فى سوريا ، وانه لا يمكن أن يظهر هذا الاستعداد بالعمل إلا فى مصر لما فيها من الحرية المفقودة فى البلاد العثمانية (٨)» ..

وفى طموحات الشيخ رشيد ومشروعاته الاصلاحية كان الحدث الذى هز كيانه وحول اتجاهه وهيا له الاكتشاف الصادق لحقيقة الاسلام ـ حدث (العروة الوثقى) ـ ماثلا فى ذهنه .. فهذه المجلة ، التى احدثت فى المسلمين اثرا غير مسبوق فى زمنها وما تقدمه من قرون ، قد جاءت ثمرة لصحبة محمد عبده للافغانى ، وتتلمذه عليه وزمالته له .. فلتكن (المنار) ـ وهى المجلة التى يطمح فى إصدارها ـ هى (العروة الوثقى) الجديدة ، وليكن هو «ترجمان افكار» الأستاذ الامام .. فلابد للاصلاح الاسلامى من زعيم تثق به الامة ، وهو الآن محمد عبده ، ولابد لهذا الاصلاح من ترجمان ، فليكن هو هذا الترجمان ، ولتكن (المنار) هى الامتداد الجديد ، والمعدل ، (للعروة الوثقى) ! ..

وفى لقائه بالأستاذ الامام ـ فى ٦ شعبان سنة ١٣١٥ هـ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٧ م ـ عرض عليه مشروعه ، فباركه ، بعد أن استوثق أن المجلة «ستبحث فى موضوع مرض الأمة وضعفها ، وفى معالجتها بالتربية والتعليم ونشر الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والأفكار الفاسدة التى فشت ، كالجبر والخرافات» .. وان لدى صاحب المشروع القدرة المالية على الانفاق عليه عاما أو عامين حتى يستقر ويجلب الأرباح التى تضمن له الاستمرار .. لقد قال له الأستاذ الامام ـ إن كان هكذا فهو حسن . وهذا أشرف الأعمال وأفضلها . وأنا إذا كنت

على ثقة من مشرب هذه الجريدة فانى أساعدها بكل جهدى .

فاجابه الشيخ رشيد :

ــ إنى أعاهدكم على أن أكون معكم كالمريد مع أستاذه ــ على نحو ما يقول الصوفية ــ ولكنى احفظ لنفسى شيئاً واحداً أخالفهم فيه ، وهو : أن أسأل عن حكمة ما لا أعقله ، ولا أقبل إلا ما أفهمه ، ولا أفعل إلا ما أعتقد فائدته .

فقال له الامام :

ــ هذا ضرورى لابد منه ! » ..

وفى لقاء تال ــ فى ٦ شعبان سنة ١٣١٥ هـ ٦ يناير سنة ١٨٩٨ م ــ طلب الامام من الشيخ رشيد :

(١) أن لا تتحيز الجريدة لحزب من الأحزاب .

(٢) ولا تهتم بالرد على ذام أو منتقد

(٣) ولا تخدم أحداً ممن يسميهم الناس «كبراء» .. تستخدمهم ، نعم .. لكنها لا تكون فى خدمتهم ! ..

ووافق الشيخ رشيد .. وصدر (المنار) فى ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ هـ ١٧ مارس سنة ١٨٩٨ م .. ليواصل رسالة (العروة الوثقى) .. مع مراعاة الزمان والمكان والظروف والملابسات .. وليركز على الاصلاح الدينى ، وربط الشريعة بالواقع المتطور ، وتطهير العقيدة من الخرافة ، وتحرير العقل من جمود التقليد ، وعقد المصالحة والاخاء بين الدين والعلم ، والعقل والنقل ، والاسلام والتمدن .. الخ .. الخ .. وبلغ فى ذلك ، على امتداد عمره الذى امتد حتى سنة ١٣٥٤ هـ سنة ١٩٣٥ م ، ما لم يبلغه منبر اسلامى شهدته الأمة فى ذلك التاريخ .. لقد كان، بحق ، «ترجمان أفكار» الأستاذ الامام ، أى المنار لأعظم تيارات التجديد الاسلامى فى العصر الحديث ، وكان «المشكاة» الذى أضاءت من خلالها أنوار العبقرية التجديدية للشيخ محمد عبده ، ولولاه لخبت فى عقل الرجل نيرانه وأنواره على حد سواء ! .. ففضل الشيخ رشيد يتعدى حدود التعبير عن حركة التجديد التى مثلها الامام محمد عبده ، ويتمثل ، أيضاً ، فى قدح زناد هذا الفكر المجدد للامام ، وتفجير ينابيعه ، وتهيئة السبل والمناسبات وخلق الدواعى لاستمرار تدفقه .. هذا إلى الاسهام الجاد والخلاق فى هذا التجديد ..

ولقد كان طبيعياً أن يحارب (المنار) معارك الأستاذ الامام ضد خصومه .. وأن تصيب صاحبه السهام المصوبة للأستاذ .. فحاولوا التفريق بينه وبين الامام ، فلما فشلوا هموا بإخراجه من مصر ، حتى لقد أوعزوا إلى الدولة العثمانية أن تستدعيه بحجة أنه متخلف عن تأدية الخدمة العسكرية ؟! .. وكادوا ينجحون لولا أن أثبت الرجل بالوثائق أنه قد تمتع بالاعفاء لطلبة العلم أولا ، ثم لبلوغه مرتبة العلماء المشتغلين بتدريس العلم بعد ذلك ! ..

وعندما حانت منية الأستاذ الامام سنة ١٣٢٣ هـ سنة ١٩٠٥ م كانت قد رسخت فى الأذهان حقيقة سلم بها الجميع ، وهى : أن مكانة الشيخ رشيد من الأستاذ الامام هى مكانة الامام من أستاذه الأفغانى ، وأنه هو رأس حركة الاصلاح الدينى من بعده ، وأبرز تلاميذه العاملين فى هذا الميدان .. بل لقد عبر الأستاذ الامام ، تلميحاً ، عن هذه الحقيقة فى الأبيات التى نظمها وهو على فراش الموت ، عندما صور رسالته الاصلاحية ومكان الشيخ رشيد ، باعتباره «مرشداً رشيداً» يأمل الامام أن يواصل السير بعده على طريق الاصلاح الدينى .. فقال :

ولست أبالى أن يقال محمد
بل أو اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه
أحاذر أن تقضى عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها
إذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيارب إن قدرت رجعى قريبة
إلى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً
رشيداً يضىء النهج والليل قاتم
يماثلنى نطقاً وعلماً وحكمة
ويشبه منى السيف ، والسيف صارم(٩)

مضى الشيخ رشيد ، بعد وفاة الأستاذ الامام ، ناهضاً بالريادة فى ميدان الاصلاح الدينى .. وكانت علاقاته قد توثقت بتلاميذ الامام محمد عبده من أقطاب الفكر والصحافة والسياسة بمصر .. وأيضاً بكوكبة من أبرز الزعماء والمفكرين العرب والمسلمين الذين اتخذوا مصر موطناً لنضالهم بعد أن لجأوا إلى الهجرة فراراً من اضطهاد آل عثمان ، بالمشرق ،والاستعمار الفرنسى ، بالمغرب .. وواصل (المنار) دوره كساحة للفكر التجديدى الاسلامى .. لكن انفراد الشيخ رشيد بالعمل فى الحقل الاسلامى بعد وفاة أستاذه ، قد طبع فكره وممارسته بسمتين لم تكونا ملحوظتين عندما كان يعمل فى ظل شخصية الشيخ محمد عبده وفكره ..

● فالتكوين السلفى النصوصى المبكر للشيخ رشيد ، والذى يهتم أصحابه «بالمنقول» أكثر مما يهتمون «بالمعقول» ــ وهو الذى تربى عليه الشيخ رشيد مبكراً ــ والذى كان قد توارى ، مفسحاً المجال للموقف المتوازن الذى يوازن بين «المنقول» و «المعقول» والذى يجعل العقل حكماً وحاكماً فى فقه المأثورات والفصل فى تناقضاتها ــ هذا التكوين السلفى النصوصى القديم عاد فبرز فى فكر الشيخ رشيد عندما تحررت أفكاره من تأثير الأستاذ الامام ! .. وبرز ذلك فى الأجزاء التى فسرها من القرآن الكريم بعد وفاة الأستاذ الامام .. فالذين يقارنون ، فى (تفسير المنار) بين ما للامام محمد عبده وما للشيخ رشيد يرون الفرق واضحاً وجلياً بين التفسير «بالمعقول» و «الدراية» ، عند الامام ، وبين التفسير «بالمنقول» و «الرواية» ، عند الشيخ رشيد .. ! ..

وكذلك الحال فى المعارك الفكرية التى خاضها صاحب (المنار) .. لقد تحول يميناً ــ إذا جاز التعبير ــ بعد وفاة أستاذه .. ويكفى أن نتذكر أنه ــ فى حياة الامام ــ وقف مع دعوة قاسم أمين (١٨٦٥ ــ ١٩٠٨) لتحرير المرأة .. على حين اتخذ من كتاب الشيخ على عبد الرازق (١٨٨٨ ــ ١٩٦٦ م) عن الاسلام وأصول الحكم) موقفاً حاداً وشديد العداء ! ..

● والسمة الثانية التى تميز بها

فكرة وطبعت ممارساته ، بعد وفاة أستاذه ، هى الميل الملحوظ للانغماس فى العمل السياسى .. فلقد أفاض فى معالجة قضايا «الخلافة» ، و «علاقة العرب بالأتراك» و «المسألة الشرقية» ، و «التدخل الاستعمارى الغربى فى الشرق العربى والاسلامى» ، كما كان له موقف بصير من الخطر الصهيونى» على فلسطين والوطن العربى ..

وفى الممارسة السياسية وجدناه قطباً من أقطاب (حزب اللامركزية) الذى تألف من مجاهدى المشرق العربى لابراز الكيان العربى فى الاطار العثمانى ، وهو الحزب الذى تألف بالقاهرة أواخر سنة ١٩١٢ م .. ووجدنا العلاقات الوثيقة بينه وبين حركة الشريف حسين بن على (١٨٥٦ ــ ١٩٣١ م) لتأسيس دولة عربية مستقلة عن العثمانيين .. حتى لقد ذهب الى سوريا عندما أعلن أهلها استقلالها تحت حكم الملك فيصل بن الحسين (١٨٨٣ ــ ١٩٣٣ م) وانتخب رئيساً للمؤتمر السورى فيها ، ولم يغادرها إلا عندما أجهض الاحتلال الفرنسى هذا الكيان العربى سنة ١٩٢٠ م .

ووجدناه ، كذلك ، داعية من دعاة الاصلاح الدستورى للدولة العثمانية ، يزور الشام ، ويخطب للاصلاح من فوق منبر الجامع الأموى بدمشق عقب اعلان الدستور العثمانى سنة ١٣٢٦ هـ سنة ١٩٠٨ م ، حتى لقد فجرت خطبة الصراع بين أعداء الاصلاح وأنصاره ، الأمر الذى اضطره للعودة إلى مصر ! ..

كما رأينا رحلاته إلى الحجاز ، والعراق ، والهند وثيقة الصلة بالاصلاح السياسى ممزوجاً بالاصلاح الدينى .. وذلك غير رحلته التى حج فيها إلى بيت الله الحرام سنة ١٣٣٤ هـ سنة ١٩١٦ م .. ناهيك بعلاقاته الوثيقة بالحركة الوهابية وزعيمها الملك عبد العزيز بن سعود (١٨٨٠ ــ ١٩٥٣ م) وكتابه عن (الوهابيون والحجاز) شهير ! .

لقد برز الطابع السياسى فى دعوته الاصلاحية ، وأخذت السياسة الدولية ، بصراعاتها وتوازنات قواها ، تجد لها مكاناً بارزاً على صفحات (المنار) .. من الثورة البلشفية ، إلى المسألة الليبية ! .. مروراً بالهند ومراكش والحجاز .. الخ .. الخ .. وهو طابع لم يكن بهذا الوضوح على عهد صحبته للأستاذ الامام .. بل إن الشيخ رشيد يكتب عن هذا التحول فى افتتاحية المجلد الثانى عشر من المنار سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٩ م ، اى بعد أربع سنوات من وفاة الأستاذ الامام ، فيقول : «سالمنا السياسة فساورت وواثبت ! واسلسنا لها فجمحت وتقحمت ! وكنائهم بها فى بعض الاحيان فصدف بها عنا الأستاذ الامام ؟! ولم ننل منها نهواه ، إلا بعد أن اصطفـــاه الله !!» (١٠) ..

فكما كان (المنار) أوسع ميادين الاصلاح الاسلامى ، دينيا وسياسيا ، فى عصره .. كذلك كان صاحبه علماً بارزاً فى هذا الميدان ، لفكره الأنصار ، وأيضاً الخصوم ، فى طول البلاد العربية الاسلامية وعرضها ..

لكن جهود الرجل الفكرية لم تقف عند هذا الانجاز العملاق ــ (المنار) ــ إذ قدم للمكتبة العربية الاسلامية العديد من الكتب ، تأليفاً ، وتحقيقاً وتصحيحاً وطبعاً ، فمن مؤلفاته :

(تفسير المنار) ــ فى اثنى عشر مجلداً فسر فيها اثنى عشر جزءاً من أجزاء القرآن .. وضمنه تفسير ما فسر الامام محمد عبده من القرآن الكريم ــ و (تاريخ الأستاذ الامام) ــ فى ثلاث مجلدات ــ و (الوحى المحمدى) . و (شبهات النصارى وحجج الاسلام) . و (عقيدة الصلب والفدا) . و (المسلمون والقبط والمؤتمر المصرى) . و (محاورات المصلح والمقلد) . و (الوهابيون والحجاز) . و (ذكرى المولد النبوى) . و (الخلافة ، أو الامامة العظمى) . و (نداء للجنس اللطيف) . و (يسر الاسلام وأصول التشريع) ..

كما أشرف على طبع الآثار الفكرية للأستاذ الامام ، وأعاد ، فى (المنار) ، نشر أغلب مقالات (العروة الوثقى) .. وكذلك أشرف على تحقيق وطبع العديد من الكتب التراثية ، من مثل :

(تفسير ابن كثير) ، و (تفسير البغوى) ، و (العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشايخ) للمقبلى ، و (شرح عقيدة السفارينى) لابن قدامة ، و (المغنى فى شرح مختصر الحرقى) ، و (دلائل الاعجاز) للجرجانى ، (انجيل برنابا) .. الخ .. الخ ..

لقد امتدت الحياة بهذا المصلح الكبير ثلاثة وثمانين عاماً .. منها خمسون عاماً امتلأت بالفكر والممارسة على طريق الاصلاح ، منذ أن جاء إلى مصر وصحب أستاذه الامام محمد عبده .. حتى إذا حان الأجل لبت نفسه الزكية نداء بارئها فى حادث سيارة ، كانت عائدة به إلى القاهرة من مدينة السويس ، ففاضت روحه فى ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥هـ ٢٥ ابرايل سنة ١٩٣٥ م ، وذلك بعد أن أدى حق الله ورسوله فى تجديد الدين وطلب القوة والمنعة والسعادة للاسلام والمسلمين ، وذلك حتى تتحقق «للانسان السيادة فى الأرض بالحق ، ليكون خليفة الله فى تقرير المحبة والعدل .. وينهض المسلمون ليحافظوا على ملكهم ، متسلحين بالمدنية ، مسابقين الأمم العزيزة فى العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة » ..

فذلك هو الاسلام ، كما كشفت (العروة الوثقى) عن وجهه المشرق للشيخ رشيد .. عليه رحمة الله ! ..

دكتور محمد عمارة

هوامش

(١) رشيد رضا (تاريخ الأستاذ الامام) جـ ١ ص ٨٤ ، ٨٥ ــ طبعة القاهرة سنة ١٩٣١ م .
(٢) المصدر السابق . جـ ١ ص ١٠٠١ .
(٣) المسدر السابق . جـ ١ ص ٩٩٦ ، ٣٠٣ .
(٤) المندر السابق . جـ ١ ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٥) المصدر السابق . جـ ١ ص ٨٥ ــ ٨٧ .
(٦) المصدر السابق . جـ ١ ص ٣٩٠ .
(٧) المصدر السابق . جـ ١ ص ٩٩٨ .
(٨) المصدر السابق . جـ ١ ص ١٠٠١ .
(٩) المندر السابق . جـ ١ ص ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ .
(١٠) المصدر السابق . جـ ١ ص ١٠٢٣ .



قال لي أبو البهاء ونحن نجلس في المقهى المطل على الشارع العام :

ـ لا تلمني على ما تسميه فضولي . ماذا أصنع إذا كان الناس هكذا ، يدفعهم الطمع الكاذب ، وأحيانا الفضول الذي لا طائل وراءه ، الى الانخداع ؟! تعال لأريك بعينك .

وجرني من يدي ، فطاوعته وأنا أضحك ، حتى أخرجني من المقهى ووقف معي على الرصيف أمام مدخله .

وأبو البهاء رفيق ظريف ، يناديه بعضهم بالدكتور لسابق عمله في وزارة الصحة ، وينعته بعضهم بالسلطان لنسبته الى سلطان قديم مشهور كان حظه البئيس لا يتناسب مع همته العالية . ويلحق آخرون باسمه لقب البكوية إشارة الى اقطاعية أسرته . وكانت شهرته الحقيقية بالفصول المضحكة التي يدبرها لبعض من يلقيهم سوء الطالع بين يديه . وكنت الومه على مقلب دبره لأحد أقربائي حين اعتذر لي بكلامه ذاك . قلت له حين وقف بي في العراء على الرصيف :

ـ ماذا تقصد من ايقافنا في حر الشمس هكذا ؟ .

قال : اصبر علي قليلا وافعل مثلما افعل . ارفع رأسك الى السماء مثلي وتطلع .

ورفعت رأسي الى السماء الصاحية في ضحى ذلك النهار القائظ ، وتطلعت . لم أر شيئا . كانت صفحة السماء أقرب الى البياض المتوهج منها الى الزرقة ، ليس عليها ذرة تعكر صفاءها . وفجأة رفع أبو البهاء ذراعه فوق رأسه مشيرا الى أعلى وهتف قائلا :

ـ تأمل ... انها هناك ! .

كان يشير بيده الى نقطة معينة في الجو فوقنا ، فحدقت في حيث اتجهت أصبعه فلم أتبين شيئا . فتحت فمي لأقول له هذا إلا أنه لكزني بمرفقه وقال بصوت خفيض :

ـ قلت لك قلدني فيما أفعل ، ولا تتكلم .

وسكت وقلدته بأن رفعت ذراعي مشيرا الى حيث كان يشير . ولاحظت أن بعض المارة الذين سمعوه يهتف ورأوه يبسط ذراعه الى أعلى ، قد وقفوا وراءنا ورفعوا رؤوسهم متطلعين في الاتجاه الذي امتدت إليه يدانا . وقف في الأول رجلان ، وتبعهما صبي . وحين أخذ أبو البهاء يحرك يده راسما في السماء أقواسا لدوائر وهمية ، وصائحا بكلمات متقطعة موحية بأنه يتابع بأصبعه حركة جسم ما في الجو البعيد توقف آخرون أمامنا ثم أحاطوا بنا من كل جانب . كان بعضهم يثبت نظره في السماء مظللا عينيه بكفه ليميز في وهج الضحى ما لم يكن موجودا ، بينما كان آخرون ينقلون أبصارهم بين السماء وبين شفتي أبي البهاء اللتين كانتا تطلقان بتعابير مثيرة في وصف ما كان يزعم أنه يراه . كتمت ضحكة كاد ينفجر بها حلقي لئلا أفضح اللعبة ، بل وجدتني اندمج فيها مقلدا بذراعي حركة ذراع صاحبي ، متمتما بكلمات غير مفهومة ولكنها موهمة بأني أرى مايراه وأتابع ما يتابعه .

وكانت في الواقع لعبة مضحكة . فقد تكاثر الجمع حولنا حتى امتلأ الرصيف بالواقفين وتعرقل السير عليه . كان قليل من المارة يتلبثون بقربنا فترة ، فيرفعون رؤوسهم الى الأعلى ، حتى إذا لم تتبين أبصارهم شيئا تباعدوا لا مبالين . ولكن كثيرين ، ومن بينهم نساء عجائز وصبايا ، ظلوا متحلقين حولنا ، أنا وأبو البهاء ، يدققون النظر الى حيث نشير دون أن يخطر لواحد منهم أن يستفسر منا عن ماهية ما نشير إليه . وسمعت واحدا يهتف بأنه يرى ذلك الشيء ، وأنه يتابع حركته . وأخذ بعض المتجمهرين يتناقشون في طبيعة ذلك المرئي وفي لونه وحجمه . وحين اشتدت الزحمة وعلا النقاش فيها أخذ أبو البهاء بيدي وجرى متسللا بخفة الى وراء حتى خرجنا من جمهرة الواقفين ، وسرنا مبتعدين إلى أن بلغنا ناصية الشارع . هناك أشار الى الجمع المتكاثر أمام مدخل المقهى ، الذي علت ضجته وارتفعت فيه الرؤوس الى أعلى وتقاطعت فيه الأيدي بالاشارات المتباينة ، وقال :



ـ ماذا تريدني أن أصنع إذا كان الناس هكذا يا صحبي ؟ لا تلمني على فضولي إذن ...

● ● ●

وكان ما لمت أبا البهاء عليه فدفعه الى ان يقوم امامي بتطبيق عملي لنظريته فى الناس وسهولة انخداعهم . هو فصل من فصوله مثله على قريب لي فى النهار الفائت وكاد يبلغ به التهلكة . جاءني علي ، وهو ذلك القريب . فى الصباح وكشف لي ساقيه وذراعيه عن اثار خدوش وسحجات فيها وقال :

ـ انظر الى ما فعله بي صاحبك الذى اسمه ابو البهاء .. كاد يقتلني ضحى امس .

قلت له : ماذا ؟ وهل وقعت فى حبائله مثل الآخرين ؟ كانك لا تعرفه .

فهز علي راسه واجابني : اول مرة لقيته فيها كانت امس . انه شيطان رجيم ، وأي الناس يسلم من حبائل الشيطان ؟

قلت لــــه : خبرني اولا بالحكاية .

قال : تعرف انى جئت من ضيعتنا الى هذه المدينة منذ ما يقرب من أسبوع زارني منذ ثلاثة أيام ، في فندقي ، ابن عمتي الاستاذ عبد الفتاح ، وهو يعمل هنا معلماً فى إحدى المدارس . وحدث أن كان فى الفندق بائع يانصيب ، فعرض علي عبد الفتاح أن اشاركه في شراء ورقة من ذلك البائع ، فلعل سعد احدنا يغلب نحس الآخر فنربح إحدى جوائز اليانصيب . قبلت العرض وأنا أضحك ، واشترينا ورقة اكتفيت بأن اسجل رقمها فى دفتري ، تاركا إياها عند ابن عمتى لأن السحب سيكون امس ، يوم الخميس ، وقد لا أبقى فى المدينة الى ذلك اليوم ...

قاطعت محدثي وانا ابتسم وقلت :

هذه حكاية طويلة ياعلي . ما دخل ابي البهاء بكل ما تتكلم به ؟

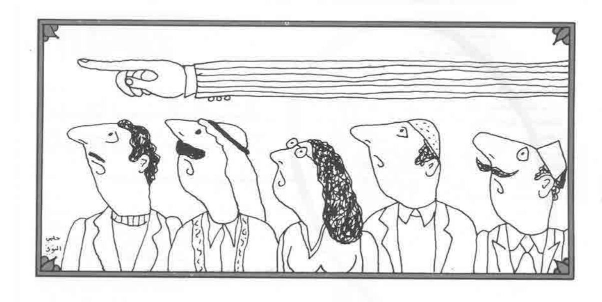
قال ، وبعصبية : الا تتركني اكمل ؟ قلت لك أن سحب اليانصيب الذى تعرف فيه الأرقام الرابحة مفروض ان يجرى الخميس ، اعنى البارحة . وفى صبح امس كنت أستقل احد اتوبيسات النقل الداخلي الى حي الخانات فى هذه المدينة لأصفي حساباً بينى وبين أحد عملائي قبل العودة الى الضيعة . لم يكن فى سيارة الاتوبيس ركاب كثيرون . كان امامي رجـل منهمك في قراءة جريدة كانت فى يده . فجأة رأيت الرجل يلتفت الى مجاوره فى المقعد وسمعته يقول بصوت عال : « تأمل اى حظ هذا ! معلم مدرسة ، لا يتجاوز راتبه خمسمائة ليرة فى الشهر ، تسقط عليه من السماء صرة فيها مائة وخمسون الف ليرة بالتمام والكمال » . فتحت أذني مصغياً بفضول الى كلام الرجل . لم اسمع تعليق جليسه ، اما هو فقد استانف الحديث قائلا: « الصحيح أن الخمسين والمائة الف ليرة لم تسقط عليه سقوطا ، فانا اقول هذا مجازاً ، لقد جاءته في ورقة يانصيب . هذا هو الخبر فى الجريدة وهذه صورة المعلم وهو يقبض الجائزة . أعرف هذا المعلم جيداً ، فهو زميلي فى المدرسة التى اعمل فيها وصديق لي » . ورأيت الرجل يطوى الجريدة التى كان يقرأ فيها ويضعها فى جيبه وهو يضيف وكأنه يحدث نفسه بصوت مسموع : « هنيئا يا أبا صطيف ... مائة وخمسون الف ليرة دفعة واحدة ! اسمه الحقيقي عبد الفتاح مصطفى ، ولكننا لا نسميه فى المدرسة إلا أبو صطيف ... » . وهنا جاء دوري انا في الدهشة ، فصحت بعلي مقاطعاً : ماذا هل ربحت ورقتكما ؟!

فهز علي راسه ببطء قبل ان يقول : دعني اتكلم ، يرض الله عليك ! لك ان تتصور ما حل بي وانا اسمع ماسمعته . الاستاذ عبد الفتاح مصطفى ، ابو صطيف ، هو ابن عمتي بذاته ، والخمسون والمائة الف ليرة هي الجائزة الاولى فى سحب اليانصيب الذى اشتريناورقته شريكين انا وابن عمتي منذ ثلاثة أيام ! ... ثرت من مقعدى صائحا بسائق الاوتوبيس أن يوقف العربة لأنزل منها . لكن السائق لم يستجب لي ، بل أنه لم يدر الى راسه . لعله شاهد صورتى فى المراة أمامه ظنني مجنونا لرؤيته حركاتي العصبية وسماعه صراخي ، فزاد فى سرعة السيارة بدلا من أن يهدئها . حينئذ لم املك نفسي ، فتحت باب السيارة الخلفي والقيت بنفسي منه الى الارض وهي منطلقة بسرعة . كانت النتيجة هي هذه ...

مرة اخرى كشف لي عن السحجـات والخدوش التى بدت على ذراعيه وعلى ساقيه دون الركبتين . ومرة اخرى سالته ، وقد ازداد بي الفضول ، قائلا :

ـ وما دخل ابي البهاء في كل هذا ؟

اجابني بقوله : اسمع للنهاية . عدت مسرعاً الى الفندق ، وكنت اتوقع ان اجد فيه عبد الفتاح الذى سياتيني ببعض الحوائج لأنقلها الى امه ، عمتى . وحقا كان ينتظرني في البهو ، فصحت به منذ وقعت عيني عليه : عبد الفتاح ... هات ! ظنني اساله عن تلك الحوائج فقال : انها بعض ثياب وضعتها فى صرة فى غرفتك . قلت له : اية ثياب ؟ اين المائة والخمسون الف ليرة ؟ ... لي منها خمسة وسبعون الفا ... هاتها الآن . قال : هل تمزح ، أم انك ترى حلما ؟ وما هذه الخمسة وسبعون الفا التى تطالب بها ؟ قلت له : ماذا يا ابن عمتي ؟ كانك تنوى ان تنكر حصتي فى الورقة ... الخبر فى الجريدة ، وفيها اسمك وصورتك وانت تقبض الجائزة بيدك . قال : تعال اجلس



وأعلمني ، اى مبلغ واية جريدة ؟ . قلت : المبلغ هو جائزة اليانصيب ، والجريدة هى التى رأيتها بعيني وكانت في يد ذلك الرجل فى سيارة الاوتوبيس ... فسكت عبد الفتاح قليلا قبل أن يقول : انت تهذى بلا شك ... من هو ذلك الرجل ؟ كيف كان شكله ؟ قلت : فى الاربعين من عمره ، طويل القامة ونحيل الجسم ، اشقر ... له شارب خفيف ويلبس بدلة صيفية ، رمادية مخططة ...

وهنا ، عندما سمعت هذا الوصف ، صحت أنا : هذا ابو البهاء !

قال علي فى استكانة : ومثلك صاح عبد الفتاح قائلا انه ابو البهاء . وبدلا من أن يعترف لي بحقي فى نصف الجائزة راح يضحك ملء فمه . اقول لك الصحيح تملكني الغيظ منه فى الأول . إلا ان غيظي تحول بعد ذلك الى نفسي حين رأيت عبد الفتاح يخرج من محفظته ورقة اليانصيب التى اشتريناها معا ، وسمعته يقول لي : ياقليل العقل ، هذه ورقة اليانصيب ، وكان عليك ان تتذكر ان السحب لم يتم بعد ... صحيح انه مقرر اليوم ، ولكنه يجرى في المساء لا فى الصباح . فضربت لسماع هذه الكلمات كفا بكف وسالته : وذلك الرجل ؟! اجابني : ذلك الرجل هو ابو البهاء ... صديق ظريف دائب الضحك على ذقون السذج من امثالك ... كاد يقتلك حين أثار جشعك فالقيت نفسك من السيارة وهي مسرعة . رآك امس معي فاخبرته انك ابن خالي وانا اشترينا معا ورقة يانصيب سيجرى عليها السحب يوم الخميس ... وإذ لمحك فى الاتوبيس مثل عليك احد فصوله . هذا ما يفعله الطمع والخفة ، إذا اجتمعا معا ، بصاحبهما ...

● ● ●

قلت لأبي البهاء ونحن فى زاوية الشارع ننظر من بعيد الى الذين جمعهم امام مدخل المقهى على وهم لا واقع له ثم اخذوا يتفرقون :

ـ كانت مهزلة مضحكة ، ولم يتضرر منها احد ، ولكنك في حكاية قريبي على كدت تقتل الرجل ، وانت الذى تزعم انك لا تؤذى احدا بفصولك .

قال : لا ذنب لي . إذا كانت خفة عقول الناس تفوق تفكيرهم وقدرتهم على التمييز ، اني اضحككم انتم اصحابي بهذه الفصول ولا انال لنفسي منها اية فائدة .

قلت : وحين دخلت وصاحبك ، وانتما مفلسان ، الى ذلك الملهى فى بيروت فأكلتما وشربتما وتمتعتما بسهرته الممتازة ، ثم خرجتما دون ان تدفعا قرشا واحدا ... الم يكن ذلك فصلا ذا فائدة ؟

قال : اى فصل تعني ؟ اه ... تذكرت ! لم أفعل ما فعلته انذاك بدافع الافلاس ،

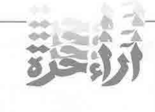
أردت ان انتقم من اصحاب ذلك الملهى حين رايت كيف يبتزون روادهم الغفل ...

قلت : أرو لي تلك الحكاية . دريت بها من غيرك ، واحب ان اسمعها منك شخصيا .

قال : على العين والراس . ولكن في مناسبة اخرى . إذا كانت فصولي تعجب قراءك فسازودك بهذه الحكاية وغيرها ... الى اللقاء إذن ...

وشد على يدى مودعا وابتعد عني ، بينما ظللت فى موقفي اتبعه نظرى وانا ابتسم ، متسائلا عن ضحيته المقبلة فى فصله المضحك القادم .

د. عبد السلام العجيلي



«إنها بدعة لا تجديد»

عبد المنعم عواد يوسف

الاستاذ حسن طلب شاعر متمكن ما فى ذلك شك ، وتفرده فى شعره باسلوب متميز امر لا ينكره احد ، بيد أننا لا نوافقه على بدعته الفنية التى طلع بها علينا فى عدد الدوحة الأخير ، والتى اطلق عليها « بنفسجة للجحيم »

والسؤال الذى نطرحه :

ما الدافع الى التجديد فى الفن ؟ هل التجديد مجرد مغامرة شكلية ؟ أم انه تلبية لحاجات نفسية وتعبيرية جديدة انسياقاً وراء هموم عصرية متطورة ؟

لو ان الامر مجرد مغامرات سعياً وراء استنباط اشكال جديدة ، لانفسح المجال أمام كل دعي للخروج علينا كل يوم بمئات من امثال هذه « التقليعات » ، وفى وسط هذا الهرج الفني ستضيع المعالم ، ويصعب التفرقة بين أصحاب النوايا الطيبة وبين العابثين تحت ستار التجديد .

والمسالة فى نظري ليست اجتهادا ، فالاجتهاد مجاله قضايا الفكر .. تشريعا ، اقتصادا الخ .. اما فى مجال الفن والأدب .. فكل تغيير لابد ان يكون وراءه رغبة فى تلبية احتياجات نفسية وتعبيرية جديدة تفجرها همومنا العصرية المتطورة ، ولا يكون ذلك إلا حين ندرك إدراكاً حقيقياً ان الاشكال القديمة قد أصبحت قاصرة عن احتواء تجاربنا المعاشة بكل نبضها وحيويتها .

وقد كان هذا كله وراء خروجنا فى اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات على الشكل التقليدي للقصيدة العربية ، استنباطا لهذا اللون الشعري الجديد الذي يعتمد التفعيلة اساسا له ، والذى اصطلح على تسميته بالشعر الحر .

وإن بقاء هذا اللون التعبيري الجديد واستمراريته ، بل وغلبته على الشكل التقليدى . لدليل أكيد على انه لم يكن مجرد بدعة فنية ، وإنما جاء كحتمية لما تتطلبه تجاربنا وهمومنا المعاصرة من استنباط اشكال تعبيرية جديدة قادرة على احتواء هذه التجارب وهذه الهمـوم ..

إن محاولة الأستاذ حسن طلب الأخيرة ـ مع احترامي وتقديري له ـ ليست سوى بدعة من هذه البدع التى يطلع بها علينا المتفننون من حين الى اخر ، وسرعان ما تموت .

●

«بنفسجة للجحيم»

مهندس : أحمد فؤاد عبد الرحمن

النظرة الأولى : هندسية رياضية :

مادام الاستاذ الشاعر حسن طلب قد اختار هذا النظم الهندسي فان عليه ان يقبل تبعة هذا الاختيار .. لأن مثل هذا الشكل الهندسي يخضع لتحليلات رياضية وكمية يمكنها ان تكتشف عن طريق المعادلات الحسابية مدى توفيق الشاعر او عدم توفيقه فى ثراء لغته وبلاغتها وإيجازها او افراطها فى تكرار الالفاظ .

(١) المثلث القصيدي الاول : ابجـ (انظر الشكل المرفق) .

ـ ارتفاع المثلث اب وعدد كلماته ٢٠ وإذا قرات تصاعديا فى اتجاه ب ا ستقرا بيت الشعر البالغ الطول كاملا .

ـ نفس الشيء فى قاعدة المثلث بجـ حيث ستقرا نفس البيت من الاتجاه بجـ .

ـ اجمالى عدد كلمات المثلث القصيدي $\frac{1}{2}$ × اب × بجـ
= $\frac{1}{2}$ × ٢٠ × ٢٠ = ٢٠٠ كلمة .

فاذا كان عدد الالفاظ ٢٠ كلمة .

ـ اذن نسبة تكرار الالفاظ (لا المعاني) هي نسبة ٢٠٠ على ٢٠ اى ١٠ الى ١ بمعنى ان لكل لفظ كرره الشاعر (عشرة مرات) .

(٢) المثلث القصيدي الثاني اَبَجَ

ـ لا يختلف فى كم الكلمات ونسبة

التكرار عن المثلث الاول ..

ـ لكننا بجمع المثلثين المتشابهين تتضاعف نسبة التكرار للالفاظ الى (عشرين) .

ـ نلاحظ اننا هنا نقرا بيت الشعر الأخير على القاعدة بَ جَ مثل قاعدة المثلث الأول تماما بينما نقرا نفس البيت في اتجاه وتر المثلث جـ ا .

ـ وبينما ينتهي كل بيت بلفظة التكرار الواحدة « الكساد » على وتر المثلث ا جـ نجد ان بداية كل بيت بلفظة التكرار الواحدة « السواد » على ارتفاع المثلث ت جَ

ومن هذا التحليل الرياضي نخرج بالحقائق التالية :

(١) ان الشاعر كتب بيتا طويلا واحدا من الشعر قوامه ٢٠ كلمة عن طريق متوالية عددية متزايدة اساسها لفظة الكساد ، بلغت عدد الفاظها ٢٠٠ كلمة كرر منها ١٨٠ كلمة .

(٢) ان الشاعر اخذ (يسحب) بيته الشعري حتى تناقص الى بيت من لفظة واحدة هي السداد عن طريق متوالية عددية متناقصة اساسها لفظة السواد .

(٣) اننا يمكننا قراءة البيت العشريني الواحد في اتجاهين .. من السواد الى الكساد ومن الكساد الى السواد .

(٤) ان الابيات العمودية العشرة توحي بهذين المعنيين .. بل ان اول بيت عمودي يبدا (بالكساد) .

النظرة الثانية : بنائية

تخفق النظرة الرياضية في استخراج المضمون البنائي والنفسي للقصيدة .. وندرك من ذلك ان التركيب المثلثي للقصيدة انما تشكل كعرض جانبي بغير اي دلالات معددة .. وانه يكتشف على الاكثر الاسراف في تكرار الالفاظ .. وان كانت هذه الحجة ذاتها ستسقط .

ـ على عكس كل الابنية فان حسن طلب يبني هيكله القصيدي من اعلى .. حتى إذا وصل الى القاعدة استوت له المعاني وخضعت الالفاظ .. فياخذ منها في تشييد قصيدته العمودية التقليدية .. وهو إذ ينتهي الى الشعور بالعدم وان كل طموحاته انما هي رماد في رماد في رماد .. يعود الى قاعدته التي كابد في بنائها فياخذ في تحطيمها قالبا قالبا حتى تنتهي الفاظ القصيدة المائتين الى لفظة (السواد) اي العدم ..

ـ رغم تكرار الالفاظ فان كل بيت يشكل وحدة مستقلة حتى ولو كان البيت من كلمة واحدة .. ليس هذا فحسب بل ان اللفظة الواحدة لاتتكرر دائما بنفس المعاني .. فالكساد في البيت الاول ليس هو الوجوه (الكساد) في البيت الثاني .

النظرة الثالثة : نفسية

إذا قبلنا بالنظرة البنائية ، فانما هي تصوير لحركة الشاعر من الخارج فحسب .. او قل ان هذا الشكل البنائي انما هو بمثابة الاطار الخارجي للنفس ..



فهو تعبير عن الحركة النفسية الداخلية للشاعر وهو يصارع المعاني .. ويكابد الآلام في المطابقة بين دلالات المعاني وما يعتمل في مشاعره .. كما نلاحظ ان اللفظة الأولى هي مفتاح القصيدة كلها ، وانها هي التي تفرض الطابع القاتم والعدمي على كلا مثلثي القصيدة ان الشاعر يعاني من الداخل المظلم .. ليس في داخله سوى الكساد .. فاذا تطلع الى خارجه اكتشف ان الوجود كاسدة هذه الوجوه مثل الجراد .. نهمة بشعة تنشر الفساد .. وهكذا يتوالى توليد المعاني من نفس الوحدة الأولى والثانية والثالثة .. الخ باضافة لفظ واحد شديد الايحاء والتطابق مع الحالة النفسية للشاعر فيخرج ببيت جديد مع كل لفظ .. وكل بيت يسهم في تجسيم التشاؤم والعبثية .. حتى الأمل الذى يلوح للشاعر في « البنفسجية » .. يخبو فالبنفسجية جحيمية .. وهو يشتعل في اتحاده بالبنفسجية سواء كانت الحبيبة او الحقيقة او الشعر فيتحول كل شيء الى رماد في رماد في رماد ..

النظرة الرابعة : تاريخية

حتى لو كانت هذه التجربة هي الأولى .. فان أصلها التاريخي لابد ان يرتد الى عصر ابي العلاء المعرى وما قبله .. فالألفاظ والمعاني يفوح منها عبق معتق .. وتخلو من اى ايحاءات معاصرة ..

النظرة الخامسة : سياسية

تؤكد لنا القصيدة ان شاعرنا حسن طلب بمعزل كامل عن عصرنا .. إذ لو كان يعايش صراع الامة العربية والاسلامية ويعي مدى التحديات الرهيبة التي تواجهها لأخرج لنا قصيدة تبدأ بالمعاناة .. فالغضب فالجهاد .. فالشهادة .. بدلا من الكساد والسواد والفساد والرماد .

مهندس احمد فؤاد عبد الرحمن
مصر الجديدة ـ القاهرة

المـــرأة.. ظـلـمـوهـا

من يدقق فى المعجمات العربية يعثر ، بين الحين والآخر ، على الظلم الفادح الذى تلحقه الضاد بحواء ، وقد سجلت حتى الآن الأمثلة الآتية :

إذا أصبح الرجل يقضى بين الناس فى المحكمة ، سمى قاضياً يحترمه القاصى والدانى ، ويجلون العمل الذى يقوم به . أما المرأة فعندما تقضى بين الناس ، كما هى الحال الآن فى كثير من البلاد المتمدنة ، فيسمونها قاضية ، ومعنى (القاضية) فى المعجم : القاتلة . جاء فى الآية ٢٧ من سورة الحاقة : (يا ليتها كانت قاضية) ، أى الموتة التى لا أمل لمن يموت فى أن يبعث بعدها .

وإذا نزل الرجل من مكان عال إلى مكان منخفض فهو نازل . أما المرأة فتسمى نازلة إذا فعلت مثله . ومعنى (النازلة) الشديدة من شدائد الدهر ، وهى اصطلاح مجازى كما يقول معجم متن اللغة . وتجمع على : نوازل . ويقول المعجم الوسيط إنها المصيبة الشديدة ، ويجمعها على نوازل ونازلات .

وإذا وقع الرجل على الأرض أو غيرها ، فهو واقع ، أما المرأة فهى واقعة . و (الولقعة) هى : (أ) القيامة ، وسميت كذلك لأنها تقع بالخلق فتغشاهم .

وجاء فى الآية (ب) من سورة الواقعة : (إذا وقعت الواقعة) ، ومعناها إذا قامت القيامة التى لاشك فيها . وذكرت «الواقعة» مرة ثانية فى الآية ١٥ من سورة الحاقة : (فيومئذ وقعت الواقعة) . ومعناها أيضاً : القيامة ، كما جاء فى تفسير الجلالين ووجدى .

أما إذا قلنا : هذا رجل واقعة ، فمعناه شجاع :

والملم هو الزائر .

وغلام ملم : قارب البلوغ .

أما الملمة فهى احدى نكبات الدنيا .

وإذا أصاب الرجل فى رأى ابداه فهو : مصيب . أما إذا أصابت المرأة الذكية النابهة فى قولها الناضج ، فالمسكينة مصيبة والعياذ بالله .

وإذا ضرب رجل آخر بالسوط ، قلنا : غشية به ، فهو غاش . أما المرأة فهى غاشية . ومن معانى الغاشية :

(أ) نار جهنم .

(ب) الداهية .

(ج) داء الجوف ، أبعد الله عنا شرها جميعها .

(د) القيامة .

(هـ) النازلة من خير أو شر أو مكروه .

(و) العقوبة المجللة .

وإذا نجح الرجل فى الانتخابات ، وأصبح عضواً فى المجلس النيابى (البرلمان) ، قلنا : أصبح نائباً . أما إذا نجحت المرأة ، وتفوقت على منافسيها من الرجال ، وأصبحت كالرجل عضواً فى المجلس النيابى ، كان جزاء شخصيتها الفذة ، وذكائها الوقاد الذى رفعها الى القمة ، أن نطلق عليها اسم : نائبة . والنائبة هى ماينزل بالانسان من الكوارث الحوادث المؤلمة ، التى تحطمه .

وإذا كانت الحياة لاتزال تدب فى الرجل فهو حى . أما المرأة التى تنكرت لها الضاد فهى حية ، نجانا الله من لدغها ومن سمومها ، وغفر للغتنا زلتها ، وفى المثل : أظلم من حية ، لأنها تدخل جحر الضب فتاكل حسله وتسكن بيته . وفى دعائهم : سقاه دم الحيات ، أى أهلكه (مجاز) .

وإذا قرع الرجل باباً ليفتح له فهو القارع ، أما المرأة فهى القارعة وما أدراك ما القارعة ؟ وهل هى إلا (أ) القيامة . قال تعالى فى الآية الرابعة من سورة الحاقة : (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) ، جاء فى تفسير الجلالين : القارعة هى القيامة لأنها تقرع القلوب بأهوالها .

(ب) والمصيبة التى تحل بالمرء فتحطمه .

وإذا كان للرجل حظ كبير من جودة الرأى ، فهو أداة يستنير الناس برأيه كلما احلولكت حولهم الخطوب ، أو حزبهم أمر ، أو عضهم مكروه . أما المرأة التى وهب لها الله بعد النظر ، وسدد الرأى فهى داهية . وما الداهية إلا :

(أ) الأمر المنكر العظيم .

(ب) دواهى الدهر : ما يصيب الناس من عظيم نكباته .

وإذا سقط الانسان من علو إلى سفل ، فهو الهاوى . أما حواء فهى الهاوية وهى جهنم التى يهوى فيها كل من ادخلها ، أى : يهلك .

وإذا صنع الذكر الجبن الذى ناكله فهو جبّان . أما إذا صنعته الأنثى فهى : جبّانة ، وهى المقبرة كما تقول المعاجم والعامة . وقد ذكر المعجم الوسيط أن كلمة الجبّان تعنى المقبرة أيضاً .

والكبير من أسماء الله تعالى . والرجل الكبير هو العظيم والجسيم . أما المرأة التى تكون عظيمة وجسيمة ، فاننا نقول انها كبيرة . والكبيرة هى الاثم الكبير المنهى عنه شرعاً ، كقتل النفس . قال تعالى فى الآية ٣٧ من سورة الشورى : (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) . وقال أيضاً فى الآية ٣١ من سورة النساء : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) .

وإذا كان الرجل على مذهب الامام أبى حنيفة ، فهو حنفى . أما المرأة المسكينة فهى حنفية ، والحنفية هى الصنبور الذى يسيل منه الماء ، وما أقبح المرأة حين تمشى وهى تصب السائل كما تصب الحنفية الماء : (يقول المعجم الوسيط ان الحنفية هى الصنبور ، ويقول معجم متن اللغة إنها كلمة مولدة ، وإن مجمع مصر اقرها فى الجدول رقم ٣٣) .

وإذا أحب الرجل شيئاً ومال إليه فهو ميال . أما المرأة فهى مياله ، والمياله هى ما تسمى به العامة الجديدة ، التى نضعها فى أسفل النعل ، كى لا تميل القدم عند المشى .

وإذا خلط الرجل شيئاً بآخر ، قلنا : شابه به ، فهو شائب . وإذا فعلت حواء

في المعاجم العربية

بقلم: محمد العدناني

مثله ، فهى شائبة . ومن معانى الشائبة : القذر : والدنس ، وجمعها : شوائب . ويقال : فلان برىء من الشوائب ، أى : ليس فيه ما يعيبه .

والرأس الذى فيه آلة التفكير فى الانسان (الدماغ) ، والعيون التى نرى بها ، والآذان التى نسمع بها ، والأنوف التى نشم بها بها ، والألسنة التى نذوق بها مالذ وطاب من الأطعمة والفواكه . هذا الرأس مذكر ، ولكن اللغة العربية تؤنثه بعد وفاة الانسان ، وتطلق عليه اسم : جمجمة .

وعندما نقول : هذا رجل حاقة ، نعنى انه كامل الرجولة ، وهو شجاع حاقة الشجاع ، نعنى انه شجاع جداً . ومن معانى هذه الكلمة المؤنثة (الحاقة) فى المعاجم :

(أ) النازلة والداهية .

(ب) يوم القيامة . جاء فى تفسير الجلالين : سميت القيامة الحاقة ، لأنها يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء . وهو تفسير للآيات الثلاث الأولى من سورة الحاقة : (الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة) .

وحينما يكون الرجل صادقاً فى معاملاته مع الناس ، وفى جميع تصرفاته ، نقول انه رجل مستقيم . أما المرأة فانها حين تتحلى بهذه الصفات نقول : انها مستقيمة . والمستقيمة (عند العامة) تعنى المرأة الحامل ، وياويلها إذا كانت لما تتزوج بعد .

وإذا قام الرجل عن الكرسى الذى كان جالساً عليه ، فهو قائم . أما حواء فهى قائمة . والقائمة هى :

(أ) واحدة قوائم الدابة .

(ب) وهى كلمة مولدة ، تعنى الورقة التى تقيد بها الأسماء والأشياء فى صف قائم . وياويلنا إذا أرسل إلينا التاجر الذى ندفع له قيمة قائمة الحساب ، الذى له بذمتنا نهاية الشهر ، أى قبل أن نقبض رواتبنا .

ويجمعون الابن من غير العاقل جمع مؤنث سالما (بالألف والتاء) ، فيجمعون ابن آوى على بنات آوى ، وابن عرس على بنات عرس . فلماذا ؟ لماذا ؟ وانفرد النحوى الأخفش وحده بجمع (ابن عرس) على : بنات عرس وأبناء عرس .

وأنا أؤيده ، وادعوا إلى الاكتفاء بجمع (ابن عرس) على : أبناء عرس . فما هو رأى مجامعنا اللغوية الأربعة ؟

والقمران هما الشمس والقمر . وقد غلب القمر ــ حفيد الشمس ــ ، على صغره ، على الشمس ذات الحجم العظيم جداً بالنسبة إلى حجم القمر ، لأن القمر فى اللغة العربية مذكر ، والشمس مؤنثة . فيا للظلم الفادح ! ولم أعثر على معجم واحد أطلق كلمة (الشمس) على الشمس والقمر .

أما قول المتنبي :

فليت طالعة الشمسين غائبة
وليت غائبة الشمسين لم تغب

فقد عنى المتنبى بكلمة (الشمسين) الشمسين الحقيقية وخولة أخت سيف الدولة الحمدنى ، المتوفاة سنة ٣٥٢ هـ ، والتى رثاها ببائيته الخالدة التى مطلعها :

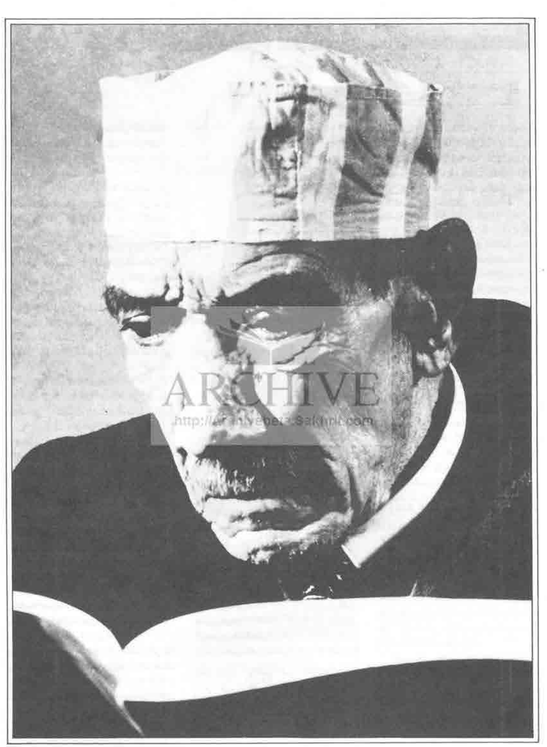
يا أخت خير أخ ، يابنت خير أب
كناية بهما عن أشرف النسب

حين يريد العرب جمع النهرين دجلة والفرت ، يقولون : الفرتان ، ولا يقولون : الدجلتان ، لأن السيد الفرت مذكر ، وهذا رغم غزارة مياه الآنسة دجلة وكثرة عرضها . ولم أعثر على معجم واحد أطلق كلمة (الدجلتين) على دجلة والفرت .

وكلمة الهدى معناها : الأسير . وقد روى لسان العرب عن ابن برى قوله : «وأظن المرأة إنما سميت هديا ، لأنها كالأسير عند زوجها» . خيب الله ظنك يا ابن برى ، وبعض الظن إثم .

وجاء فى المصباح المنير : «بانت المرأة بالطلاق فهى بائن بغير هاء . وأنا لا أدرى لماذا حرموا هذه المسكينة تاء الخاصة بها ، وهى فى أسوأ ظروفها النفسية ، ظرف الانفصال عن زوجها .

عسى أن تجيز مجامعنا اللغوية الأربعة إضافة تاء التأنيث إلى هذه الكلمة البغيضة جدا إلى النفوس (طالق) ، قبل أن يصبح أمر الطلاق فى أيدى النساء ، فيستوى عند ذلك الرجل والمرأة . والعدل سيد الأحكام .



لقطة لشاعر الشباب احمد رامي اثناء اللقاء وقبل وداعنا بايام

آخر لقاء مع شاعر الشباب أحمد رامي

بقلم: محمد تبارك



■ لم أكن أتصور على الإطلاق أن ترحل أم كلثوم قبل رحيلي!

■ لماذا لم أتزوج كوكب الشرق.. ولماذا لم أستمر في الكتابة لعبد الوهاب؟

من المؤكد ان التاريخ سيقف طويلا أمام اسم شاعر الشباب أحمد رامي .. لا لمجرد تقييم اعماله الأدبية .. إنما لأنه كان متميزاً بسمات .. من الصعب أو من النادر وجودها في شاعر آخـر ..!

سألته وأنا أجلس معه في صالون شقته :

● الانسان يقف حائراً امام نفسه وهو يحاول معرفة كل أبعاد شخصيته . فهل تواجهك نفس الحيرة ؟

قال احمد رامي :

ـ مثل هذه الحيرة لم تواجهني على الاطلاق .. انا أعرف نفسي جيدا ، وحتى لا أطيل عليك .. فانني ألخص لك حقيقة نفسي في جملة واحدة وهي .. رامي في كل مراحل حياته .. هو ابن الحزن ولو لم يكن هذا الاحساس في مشاعري ودمي .. ما كتبت شيئا على الاطلاق ..

● والذين عرفوا شاعر الشباب أحمد رامي عن قرب .. وعاشوا معه سنوات طويلة .. لا يتذكرون على وجه التحديد انهم قد التقوا برامي ذات يوم ولم يكن الشجن يملأ احاسيسه ، ووجدانه .. والحزن يغطي ملامح وجهه .. حتى في أسعد اللحظات التي كان يضحك فيها من قلبه .. فدائما كانت ضحكاته تتحول في النهاية الى دموع ، تلحقها دموع من حوله بسهولة . !

● سألت رامي عن دموعه .. فقال وهو يبتسم :

ـ انها الشيء الوحيد الذي لازمني طوال حياتي .. بكيت طويلا في طفولتي .. وبكيت اكثر في شبابي .. وانا الآن لابد ان ابكي بعد رحيلها عن عالمنا .. فلم اكن اتصور على الاطلاق أن ترحل ام كلثوم قبل رحيلي . !

كلمات الحزن

كان احمد رامي طوال هذه الفترة من عمره .. يعاني من الاكتئاب الذي لازمه منذ رحيل ام كلثوم حتى وفاته ، بعد ان فشلت في علاجه مئات الأدوية والعقاقير التي وصفها الأطباء له .. وقد شاءت الظروف أن التقى باحمد رامي بصفة مستمرة لفترة طويلة .. كان يسجل للتليفزيون لقطات من حياته .. وكنت أعدها له على الشاشة الصغيرة .. وخلال هذه الفترة سألته كثيرا .. عن حياته وعواطفه .. وفي كل مرة كنت اقف صامتا امام كلمة .. الحزن ..

قال احمد رامي وهو يروي لي بداية حياته ضاحكا :

ـ توفى والدى وانا ما ازال صغيرا .. فكان لابد ان ابكيه .. وتوفى شقيقي الذى

دفن في السودان .. وعشت فى القاهرة لأبكيه ... ثم احببت ولا زلت ابكي .. احببت والدتي ، التى كانت فى مرحلة من عمرى هى كل عالمي .. فرحلت ذات مساء دون أن تقول لي وداعاً .. باختصار احزان لا نهاية لها ، ولا اذكر على وجه التحديد بدايتها ..

قلت لشاعر الشباب احمد رامي :

● لابد وأن في حياتك ما يثير الضحك ؟

قـــال :

ـ حدث .. ولكنك قد تضطر فى النهاية الى البكاء !

وعدت اقول له :

● لا اتصور أن يحدث ذلك بهذه الصورة ؟

قال رامي وهو يشعل سيجارة مخالفاً بذلك تعليمات الأطباء له :

ـ عندما تخرجت من مدرسة المعلمين العليا تصورت أن الوظيفة تنتظرني .. ولكننى فوجئت بزميلي وصديقي الأديب الراحل فريد ابو حديد وهو يزورني فى منزلي ليقول لي ان الحكومة قد اوقفت التعيين تماما خلال هذه الفترة .. وانه شخصياً قد اتفق مع صاحب احدى المدارس الخاصة للعمل عنده حتى يجيء موعد التعيين فى الوظيفة الميري .. وقلت لفريد أبو حديد يومها .. انه قد نجح فى حل مشكلته ، وبقيت مشكلتي .. ولكن فريد ابو حديد قال أن صاحب المدرسة ينتظرني انا الآخر .. فمدرسته فى حاجة الى عدة مدرسين .

وذهبت معه فى اليوم التالي الى المدرسة .. والتقينا بصاحبها ، الذى كان يعمل ناظراً لها فى نفس الوقت .. واعترف ان استقباله لنا كان حاراً .. وهو يقول لنا .. انه سيعتبرنا شركاء معه فى المدرسة وسيوزع علينا فى نهاية العام الدراسي حصتنا فى الأرباح .. وبعد عام دراسي كامل فوجئت بصاحب المدرسة يقدم لنا ما يثبت بأن المدرسة لم تكسب ، وبالتالي لا حق لنا فى أرباح او فى اجر !

والتفت رامي ناحيتي وهو يقول :

ـ شيء يثير الضحك .. اليس كذلك ؟

قلت :

■ حياتي أحزان لانهاية لها ولا أذكر على وجه التحديد بدايتها !

■ ذهبت مع فريد أبوحديد للمدرسة الخاصة لأعمل لمدة عام بدون أجر!

■ في أول لقاء مع أم كلثوم صعدت إليها على المسرح وطلبت منها أن تغني قصيدتي للجمهور!

● ربما يثير البكاء ايضاً ..

قـال :

ـ انا شخصياً بكيت يومها !

فى رحاب عمر الخيام

وعاد رامي لمواصلة حديثه قائلا :

ـ سافرت بعد ذلك الى باريس فى بعثة دراسية .. حقيقة انني درست هناك فن المكتبات .. ولكننى خلال هذه الفترة اعجبت بالشاعر والفيلسوف الكبير عمر الخيام .. فدفعت حوالى عشرة أعوام من عمرى من أجل دراسة اللغة الفارسية التى كتب بها عمر الخيام ، رباعياته الشهيرة .. وعدت لاشغل وظيفة فى دار الكتب على مدى نصف قرن ، وكنت الوحيد بين كل زملائي .. الذى لم يحصل على حقه فى الترقية الى درجة مدير عام .. تسالني لماذا ؟ .. انا شخصياً لا اعرف اجابة على هذا السؤال ..

قلت لرامي :

● من المؤكد انك سعيد الحظ فى عواطفك .. فمن يمتلك مثل موهبتك فى الشعر والأدب .. لابد وأن يكون فارساً فى دنيا العواطف ؟

قـال رامي :

ـ لا تحاسبنى عن الاعوام التى عشتها فى باريس ، حيث كان عمر الخيام بأفكاره ورباعياته هو كل ما يملأ فكرى ووجداني . ولقد سمعت عن الفنانة العظيمة أم كلثوم قبل ان التقى بها .. كنت لاازال فى باريس عندما تلقيت خطابا من احد الأصدقاء يقول فيه أن مطربة ناشئة جاءت من الريف لتغنى فى القاهرة ، وأن هذه المطربة الصغيرة تمتلك موهبة ضخمة . وأن من بين ما تغنيه قصيدة من اشعارى ..

و تعجبت .. كيف تصلها أشعاري ، وأنا لم أطبعها بعد فى كتاب .

وعدت من بعثتي ليستقبلنى هذا الصديق ويسالني عما إذا كنت أريد الاستماع الى قصيدتي التى تغنيها المطربة الناشئة .

قلت له : لا باس .

وفى الموعد المحدد .. ذهبت معه الى حديقة الأزبكية ، حيث كانت تغني هناك

.. ولمحت على المسرح المتواضع فتاة تضع العقال فوق رأسها وقال صديقي انها أم كلثوم ، وطلب منى أن اتقدم اليها واطلب منها غناء قصيدتي .

وذهبت اليها قائلا :

ـ مساء الخير .

قالـت :

ـ مساء النور

قلت :

ـ غريب لسنوات طويلة .. جاء الى بلاده اخيرا ، ويريد الاستماع الى قصيدته .

وفى الحال ادركت أم كلثوم من اكون .. فقالت :

ـ أهلا .. سي رامي ..

وغنت أم كلثوم قصيدتى في هذه الليلة ، والتى تقول فى بدايتها :

الصب تفضحه عيونه
وتنم عن وجده شئونـه
إنا تكتمنا الهوى
والداء اكثره دفين .

ومنذ هذه الليلة بدأت رحلتى مع أم كلثوم . حقيقة انها سافرت فى اليوم التالى لهذا اللقاء الى مصيف رأس البر .. إلا اننى زرتها بعد ذلك فى فندق جوردون .. حيث كانت تقيم مع اسرتها .. ثم زرتها بعد ذلك فى أول منزل استأجرته مع عائلتها فى حي عابدين .

لمــاذا لم يتزوجها ؟

قلت لرامي :

● اغفر لي فضولي ..

قال رامي :

ـ ماذا تريد أن تعرف ؟

قلت

● أحببت أم كلثوم ؟

قال :

ـ كان بينى وبينها اكثر من الحب ، وأعظم من العواطف ..

قلت :

● ولماذا لم تتزوجها ؟

قـال :

ـ احببت أم كلثوم الانسانة والفنانة .. وهي أحبت رامي الشاعر ولو كنت قد تزوجتها لخسرت أم كلثوم رامي الشاعر ،



عندما عاد الى الوراء ليروي ذكرياته مع أول أغنية

وربما كسبته كزوج فقط .

قلت :

● وهل علمت ام كلثوم بوجهة نظرك هذه ؟

قال رامي :

ـ نقلتها اليها بكل دقة وامانة .

قلت :

● وماذا كان تعليقها ؟

قال :

ـ استمعت فقط .

قلت :

● وتزوجت انت بعد ذلك

قال :

ـ وتزوجت هي ايضا .. وكانت هي اول من هنأني بالزواج ؟ وكنت انا ايضا اول من هنأها بالزواج ..

قلت :

● وصداقتكما .؟

قال :

ـ لم تهتز لحظة واحدة على مدى ٥٠ عاما .. إن لم يكن اكثر ، يكفي انها لم تغن كلمة واحدة .. إلا بعد ان قرأتها وابديت وجهة نظري فيها .. وكثيرا ما كانت تطلب مني مراجعة اشعار غيري لابدل لها كلمة او لفظ .

قلت :

● اتصور انه لابد وقد حدث خلاف بينكما .. او مجرد اختلاف في وجهتي النظر على الأقل ؟

قال رامي :

ـ لم يحدث ان اختلفنا على الاطلاق .. إلا بالنسبة لاشعار عمر الخيام .. كانت تعتبره مبالغا الى حد كبير في فلسفته وفهمه للحياة ، ربما الى حد الالحاد .. وكنت ادافع عن فكره مؤكدا لها ان بعض هذه الافكار قد دست تماما على اشعاره ..

قلت :

● ومن انتصر في النهاية ؟

قال رامي :

ـ بعد اكثر من ثلاثين عاما .. اقنعتها بالغناء لعمر الخيام وكان شرطها ان اغير من بعض كلمات الرباعية .. وحدث

قلت :

● وفيما عدا ذلك ؟

قال :



رامي بعد رحيل ام كلثوم



ـ لم نختلف على الاطلاق !

قلت لشاعر الشباب احمد رامي :

● منذ رحيل ام كلثوم وانت تعاني من حالة الاكتئاب .. لماذا لاتحاول التغلب على هذه الازمة ؟

قال رامي :

ـ ولماذا اتغلب عليها ؟

قلت :

● من اجل صحتك على الاقل ؟

قال :

ـ صحتي سليمة .. اما الاكتئاب .. فهو احساس وشعور ، ومن الصعب جدا التغلب عليه .

قلت :

● ربما لانك حزين بطبيعتك .

قال

ـ وهذا ايضا رأي الأطباء .. فاذا حدث وتعاطيت دواء ، او عقارا ابعدني عن مثل هذا الاحساس .. لا اشعر على الاطلاق بالراحة التي اشعر بها وانا اعاني من الاكتئاب !

قلت :

● شاعر الشباب احمد رامي .. متى يكتب اشعاره ؟

قال :

ـ الاحساس بالكتابة ليست له مواعيد .. احيانا ياتي بلا استئذان ، واحيانا انتظره شهور طويلة دون ان يجيء ولكنني الاحظ ان انسب الاوقات التي استطيع الكتابة فيها هي الفترة التي اعيشها عقب الابلال من المرض .

قلت :

● وعندما يصل الوحي :

قال :

ـ انا لا اكتب بطريقة عادية .. احيانا « اتمرمغ » على السجاد وانا اكتب .. واحيانا ابكي .. وانا ايضا لا اكتب في البداية .. ولكنني اظل اردد الأشعار التي في خاطري ، وبعد الانتهاء تماما من العمل الفني ابدأ في كتابته .. وانا لا استخدم في هذه الحالة القلم الحبر .. ولكنني افضل الكتابة بالقلم الرصاص .. وربما اكتب على قطعة ورق متواضعة جدا !.

أم كلثوم تعترض

قلت :

● وكيف تصل اشعارك الى الملحنين؟

قال :

ـ عن طريق الصداقة ليس إلا .. الأصدقاء من المطربين والملحنين .. لهم الأولوية في اعمالي دائما .. واحيانا اكتب اغنية ، او قصيدة ويختارها ملحن فاقدمها له عن طيب خاطر ، وتمضي سنوات طويلة ، دون ان يظهر هذا العمل الى الوجود ..

قلت :

● هل تغضب في مثل هذه الحالة ؟

قال :

ـ حدث منذ سنوات ان كتبت اغنية جديدة ، وتصادف ان زارني محمد عبد الوهاب فشاهد الاغنية واعجب بها فقدمتها له عن طيب خاطر .. ومرت الاعوام دون ان يبدا عبد الوهاب في تلحينها ، وعن طريق المصادفة جاء ذكر

هذه الاغنية ، وانا اتحدث مع ام كلثوم .. فطلبت منى الاستماع الى كلماتها . وما كادت تستمع الى نهايتها حتى قررت ان تغنيها ..

قلت :

● وهل وافقت ؟

قال :

ــ فى البداية حاولت الاعتراض ولكن ام كلثوم اكدت لى ان عبد الوهاب لن يلحنها مادام قد تسلمها منذ فترة طويلة ولم يلحنها حتى الآن .

قلت :

● كيف تقبل محمد عبد الوهاب الأمر ؟

قال :

ــ ماكادت ام كلثوم تغني « عودت عينى على رؤياك » لاول مرة .. حتى سارع بالاتصال تليفونيا بالكاتب الراحل محمد التابعي شاكيا له ما حدث .. ولم يهدأ إلا عندما وعده التابعي بالاتصال بام كلثوم لمعرفة وجهة نظرها فيما حدث وعندما اتصل محمد التابعي بام كلثوم طلبت منه ان يسأل عبد الوهاب .. متى تسلم كلمات الاغنية من رامي ؟

وما كاد عبد الوهاب يستمع الى محمد التابعي وهو يوجه اليه هذا السؤال .. حتى صمت تماما ولم يرد !

لماذا تركت عبد الوهاب ؟

قلت لرامي :

● متى تعرفت بمحمد عبد الوهاب ؟

قال :

ــ تعرفت بمحمد عبد الوهاب لأول مرة قبل ان اسمع عن ام كلثوم . التقيت بعبد الوهاب فى عام ١٩١٥ بينما التقيت بام كلثوم لأول مرة فى عام ١٩٢٤ .

حدث ان دعانى المرحوم مصطفى «بك» رضا رئيس معهد الموسيقى الشرقية فى ذلك الوقت لسماع مطرب صغير ناشىء . وأعجبنى صوته ومنذ هذه الليلة بدأت بيننا صداقة وتعاون فني .. فانا الذى كتبت له معظم اغانيه التى قدمها فى الافلام السينمائية التى قام ببطولتها .



احمد رامي يستمع بكل مشاعره الفياضة لشدو كوكب الشرق بكلماته النابعة من القلب

قلت :

● ولكنك تفرغت تماما لاعوام طويلة لم تكتب خلالها إلا لام كلثوم !

قال رامى :

ــ حدث .. لأن عبد الوهاب خلال هذه الفترة كان يغنى لأمير الشعراء احمد شوقي نظرا لصداقتهما الطويلة .

قلت :

● بمناسبة امير الشعراء احمد شوقى . لماذا لم تغن ام كلثوم اشعاره إلا اخيرا ؟

قال رامي :

ــ تعمدت ام كلثوم تماما هذا الموقف من اجلي .

قلت :

● كيف ؟

قال :

ــ كانت « ثومة » تدرك تماما ان غناءها لاحمد شوقى .. قد يؤثر على مستقبلي كشاعر ما يزال فى بداية حياته الادبية .. لهذا فان ام كلثوم لم تغن من اشعار احمد شوقى إلا بعد رحيله .

قلت :

● وعلاقتك انت شخصيا بامير الشعراء احمد شوقي ؟

قال رامي

ــ كنت صديقا له .. طلب منى ان اقدم له ديوانى الثانى قبل تسليمه الى المطبعة .. فاعاده لى بعد ان كتب له مقدمة .. وكثيرا ما كنت التقى به فى فيلته « كرمة بن هانىء » .. واذكر انه دعانى مع محمد عبد الوهاب لتناول طعام الغداء معه .. وما كدنا نجلس حتى انسحب احمد شوقى من امامنا .. وبعد ان انتهينا من تناول الطعام وشرب القهوة .. فوجئنا بامير الشعراء احمد شوقي يعود الينا وفى يده قصيدة جديدة كتبها وهو يلف حول كرمة بن هانىء اثناء تناولنا للطعام .

ونظر الينا احمد شوقى قائلا : الطعام يمكن ان ينتظر .. اما الشعر فلا مواعيد له على الاطلاق .. ولابد ان ارحب به فى اللحظة التى يصل فيها .

افكار لم تتحقق

وقلت لرامي :

● واخر حديث بينك وبين ام كلثوم ؟

قال :

ــ دعتنى كعادتها لتناول الطعام معها فى كل يوم ثلاثاء .. وفى هذا اليوم بالذات تمسكت بضرورة توصيلي بسيارتها الى منزلى فى حدائق القبة وركبت الى جواري وهى تتحدث معى عن مشروعات وافكار فنية جديدة تريد تحقيقها للاغنية العربية . ولكن القدر لم يسعفها لتحقق كل ما كانت تريد تحقيقه مرضت بعد هذا اللقاء بايام قليلة . ثم جاءت النهاية ..

● ● ●

ويتوقف شاعر الشباب احمد رامي عن الحديث لأقول لك ان رامي ظل منذ رحيلها يعاني من الاكتئاب ، والوحدة والفراغ .. حتى لحق بها ، دون ان يكتب كلمة واحدة إلا قصيدته التى القاها فى ذكرى رحيلها .

وهكذا انطوت حياة شاعر .. عاش للحب ، ومات من الحب .

محمد تبارك

دفــــاع عن اللغــة العــربيــة

بقلم: حــامــد بـــدر

كثر ما نسمع وما نقرا من كلام حول هبوط مستوى اللغة العربية، ولم اسمع ولم اقرا حلا مقترحا حاسما لتلك المشكلة، كانها مرض عضال، تعذر علاجه، واستحال شفاؤه. فلا طبيب يكشف الغطاء عن العلة المزمنة، ويصف الدواء الناجح، ولا انقطاع لهذا الكلام الذى نسمعه ونقرؤه عن المريض والمرض

والصورة امامي مقلقة مؤسفة، فهي فى تصوری صورة مريض كثر عائدوه من الأقارب والاباعد كثرة لا تنفعه، بل تقض عليه مضجعه وتزعجه، وتزيد علته تفاقما وخطورة!

كثر عائدو المريض تلك الكثرة الضارة المزعجة، وقل اطباؤه ودواؤه، وهددته قلة الأطباء والدواء بما هو أكثر من المرض!

مشكلة تبدو كانها معضلة، وان الحل ليس مستحيلا، بل هو موجود وسهل. ولكي نحكم بوجود الحل وسهولته، علينا أن نعرف سبب المشكلة، ومدى امكان استئصال هذا السبب من جذوره.

اهم أسباب تلك المشكلة هو أن النظم التعليمية، وأساليب الامتحانات العامة أتاحت للطالب النجاح فى اللغة العربية ولو لم يحط بشئ من علم النحو. وهو العلم الأساسي الأول من علوم تلك اللغة فلا ينبغ الطالب فى البلاغة مثلا وهو يجهل ضبط أواخر الكلمات.

والسؤال الذى يوجه الينا الآن هو: كيف يتاح للطالب النجاح فى اللغة العربية ولو لم يحط بشيء من علم النحو؟

والجواب هو أن الطلاب عندما يجدون فى علم النحو صعوبة لا يجدونها فى حفظ نص، أو قراءة قصة، فانهم ينصرفون عن النحو الى غيره من علوم اللغة العربية وهم مطمئنون كل الاطمئنان الى امكان الوصول ولو الى الحد الأدنى لدرجات النجاح فيما عدا النحو، لأن درجات اللغة العربية موزعة على علومها المتعددة بدون اشتراط أو تحديد درجات نجاح لكل منها على حدة.

وإذا كانت النظم ذاتها تتيح للطالب النجاح فى اللغة العربية ولو لم يحط بشيء من قواعدها، وتعفيه من اتعاب نفسه فى تفهم علم النحو. ذلك العلم الدقيق الذى يلزمه بضبط كل كلمة. فهل يأبى هو أن يعفى نفسه من هذا القيد إذا وجد فكاكا أو مهربا؟

وإذا كان نجاح الطالب فى اللغة العربية ممكنا مع الجهل بالقواعد الأساسية لتلك اللغة. فان النتيجة هي ان يظل الطالب ضعيفا فى علم النحو فى جميع مراحل التعليم حتى يتخرج من الجامعة محروما من الاحاطة بهذا العلم الأساسي. ولا عجب بعد ذلك إذا عمل فى جهاز إعلامي ليسمع العالم اخطاءه فى اللغة العربية، ولا يستطيع ان ينفي عن نفسه تهمة الجهل بها، وقد يكون خطؤه فيما يتلقاه تلميذ المرحلة الاعدادية أو الابتدائية!

ولا يحق لنا أن نلومه على خطئه لأن النظم التعليمية هى التى هونت عليه الاستغناء عن علم النحو الذى لم يقف الجهل به عقبة فى طريق نجاحه، واغتباطه بشهادة يعمل بها مدرسا أو صحفيا أو مذيعا!

تلك هي مشكلة هبوط مستوى اللغة العربية التى طال عليها الأمد، وكثر الكلام حولها، ولا جدوى من كلام يطول، واقتراحات تعتمد على الترغيب بالحوافز المادية، والدعوة الخطابية الى الاهتمام بتلك اللغة.

والحل هو أن يكون النحو علما اساسيا مستقلا يترتب على الرسوب فيه الرسوب العام فى امتحان نهاية العام، وبذلك لا تضيع قيمة هذا العلم بجوار غيره من علوم يعتبر النحو أصلها وهي الفروع.

يجب أن يعطى النحو العناية التى يستحقها، فيدرس على أنه أساس علوم اللغة العربية، لا على أنه نافلة أو كم زائد يمكن حذفه والاستغناء عنه.

ولعلي بهذا الرأى اكون قد أوضحت أن أهم سبب للمشكلة ليس أصعبها حلا بل ان استئصال جذوره سهل كنزع الشعرة من العجين كما يقال. فما على المسئولين سوى أن يقرروا اعتبار علم النحو علما أساسيا ذا شخصية مستقلة عند وضعه فى ميزان التقدير. فلا تشفع له درجات غيره من مواد اللغة العربية



عندما تكون درجته صفرا، ولا يعتبر الطالب ناجحا فى اللغة العربية وهو فى قواعدها لاشيء !

لابد ان يشعر الطالب بان هناك حافزا قويا يغريه بالاقبال على علم النحو ، ذلك الحافز هو النجاح فى اللغة العربية الذى لا يتحقق بغير النجاح فى علم النحو .

وعلم النحو فى الازهر علم اساسى مستقل . فلا ينقل الطالب من صف الى صف اعلى إلا بنجاحه فى ذلك العلم ، وكذلك سائر علوم اللغة العربية ، لكل منها تقدير خاص به ، وهذا التقدير يعد عاملا من اهم عوامل ارتفاع مستوى اللغة العربية فى التعليم بالأزهر ، بالاضافة الى عوامل اخرى فى مقدمتها تمكن العلماء الذين يقومون بتدريس اللغة العربية فى الأزهر ومعاهده . وإن كنت اشعر بشيء من الاشفاق من ان يتعرض ذلك المستوى فى الأزهر للضعف الذى تعرض له طلاب المعاهد الاخرى إن لم يتغير الاسلوب الذى عرضت له ، وذلك بسبب قبول كليات الأزهر لطلاب لم يتلقوا اللغة العربية فى معاهده ، واتاحة الفرصة للمجاميع الصغيرة .

هذا فى الازهر . وفى غير الازهر ينبغى ان لا نتجاهل ما سوف يؤثر تاثيرا سيئا على كفاية مدرس اللغة العربية المتخرج من كليتي الآداب ودار العلوم ، نتيجة لأن هاتين الكليتين تقبلان طلابا ذوي مجاميع أقل من المجاميع التى تشترطها كليات اخرى للقبول فيها ، مما يؤدى الى ضعف مستوى مدرس اللغة العربية ، لا فى اللغة العربية فقط ، بل وفى المواد الاخرى ، لان الطالب الذى يقبل فى كلية مهمتها تخريج مدرسي اللغة العربية لا يحتاج الى مجموع مرتفع للقبول فى تلك الكلية ، فهو لذلك أضعف مستوى فى ثقافته العامة . وبسبب الجفوة بين الطلاب وبين اللغة العربية نرى كثيرا منهم لا يرغبون فى الالتحاق بالكليات التى تخرج مدرسيها ، ولا يدخلونها إلا مضطرين لعدم سماح مجموع درجاتهم بقبولهم فى الكليات التى يرغبون فى الالتحاق بها ، وهم لهذا السبب ايضا لا يقبلون على اللغة العربية اقبال حب واقتنــاع .

حامد بدر

رســائل غيرعادية

إلى ريتشارد فولك أستاذ القانون الدولي بجامعة برنستون

بقلم : معروف رفيــق

قرات ياعزيزى مانشرته فى الصحف .. محذرا ومنبها الى احتمال فقدان الانسان لسيطرته وتحكمه فى كثير من الأشياء ، نتيجة اكثاره من تطبيقات العلم والاكتشافات الحديثة .

وقد اعجبنى تحليلك وشرحك ، فيما يتعلق بطبقة الأوزون الواقية ، تلك الطبقة ، التى تنتشر فى طبقات الجو ، على بعد يتراوح بين عشرين وخمسين كيلو من سطح الأرض ..

وقد فهمت أن تلك الطبقة ، تشبه المظلة الكبيرة ، التى تقى الانسان من الشمس ، مظلة صنعتها يد الواحد الأحد ، لكي تمتص كل اشعة الشمس الضارة بالانسان ...

ولقد علمت ايضا .. ان تلك المظلة الواقــية ، التى خلقها الله لتحافظ على حياة الانسان .. قد بدا الانسان يهاجمها بعلمه ، بل يهاجمها بجهله .. وما أعجب العلم عندما يصبح مع الجهل فى مستوى واحد .. تطبيقا للقول المأثور : الانسان عدو نفسه ..

لكن كيف يهاجم الانسان ، تلك المظلة الواقية ؟ بالغازات السامة والطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت ...

ويبدو لي ياسيدى من كلامك ، ان هذه الغازات وتلك الطائرات ، أشبه بطلقات نارية توجه الى مظلة المظلى ، فلا تعود ممتلئة بالهواء ، فتنفجر ... ويسقط صاحبها من عل ، أو كما قال امرؤ القيس : (كجلمود صخر حطه السيل من عل) .

واعجبنى ياسيدى نداؤك الحار ... بان نعيد النظر ، فى عملية التعليم ، لكي يستند الى اساس اخلاقي وانسانى ... ولعمر الحق ياسيدي ، أن التعليم لابد أن يكون كذلك ، لأنه إن لم يكن من اجل الانسان وتقدمه ... فهو شر من الشرور ، وعمل من اعمال الشيطان والعياذ باللــــه .

وإننى ياسيدى ، اطاطىء الراس احتراما للعلماء ... ذلك ان مدادهم ، فى راي معلمنا محمد عليه السلام ، يوزن بدماء الشهداء ... بل لقد امر ذلك المعلم الكبير ، اول ما امر ان يقرا باسم ربه ... قال له الوحي : « اقرا باسم ربك الذى خلق .. »

والقراءة هى أول العلم ... والعلم فى تلك الآية ، مقرون باسم الله ... إذن فهو مبنى على أسس من الأخلاق والتقوى ومحبة الانسان لأخيه الانسان .

ولعل العلماء ياسيدى ، لو علموا وتعلموا هذه الآية ، لكان كل اختراع يخترعونه رهنا بفائدة البشرية .. فهل تستشهد ياسيدى بتلك الآيات الكريمة ... وانت تدعو الى تاسيس التعليم ، على قواعد الأخلاق ، والقيم الانسانية ... ارجو ذلك ولك فى الختام ، كبير تقديري واحترامي ...

عندما تكون درجته صفرا، ولا يعتبر الطالب ناجحا فى اللغة العربية وهو فى قواعدها لاشيء !

لابد ان يشعر الطالب بان هناك حافزا قويا يغريه بالاقبال على علم النحو ، ذلك الحافز هو النجاح فى اللغة العربية الذى لا يتحقق بغير النجاح فى علم النحو .

وعلم النحو فى الازهر علم اساسي مستقل . فلا ينقل الطالب من صف الى صف اعلى إلا بنجاحه فى ذلك العلم ، وكذلك سائر علوم اللغة العربية ، لكل منها تقدير خاص به ، وهذا التقدير يعد عاملا من اهم عوامل ارتفاع مستوى اللغة العربية فى التعليم بالأزهر ، بالاضافة الى عوامل اخرى فى مقدمتها تمكن العلماء الذين يقومون بتدريس اللغة العربية فى الأزهر ومعاهده . وإن كنت اشعر بشيء من الاشفاق من ان يتعرض ذلك المستوى فى الأزهر للضعف الذى تعرض له طلاب المعاهد الأخرى إن لم يتغير الأسلوب الذى عرضت له ، وذلك بسبب قبول كليات الأزهر لطلاب لم يتلقوا اللغة العربية فى معاهده ، واتاحة الفرصة للمجاميع الصغيرة .

هذا فى الازهر . وفى غير الازهر ينبغى ان لا نتجاهل ما سوف يؤثر تاثيرا سيئا على كفاية مدرس اللغة العربية المتخرج من كليتي الآداب ودار العلوم ، نتيجة لأن هاتين الكليتين تقبلان طلابا ذوي مجاميع أقل من المجاميع التى تشترطها كليات اخرى للقبول فيها ، مما يؤدى الى ضعف مستوى مدرس اللغة العربية ، لا فى اللغة العربية فقط ، بل وفي المواد الاخرى ، لان الطالب الذى يقبل فى كلية مهمتها تخريج مدرسي اللغة العربية لا يحتاج الى مجموع مرتفع للقبول فى تلك الكلية ، فهو لذلك اضعف مستوى فى ثقافته العامة . وبسبب الجفوة بين الطلاب وبين اللغة العربية نرى كثيرا منهم لا يرغبون فى الالتحاق بالكليات التى تخرج مدرسيها ، ولا يدخلونها إلا مضطرين لعدم سماح مجموع درجاتهم بقبولهم فى الكليات التى يرغبون فى الالتحاق بها ، وهم لهذا السبب ايضا لا يقبلون على اللغة العربية اقبال حب واقتنـــاع .

حامد بدر

رسـائل غيرعادية

إلى ريتشارد فولك أستاذ القانون الدولي بجامعة برنستون

بقلم : معروف رفيــق

قرات ياعزيزى مانشرته فى الصحف .. محذرا ومنبها الى احتمال فقدان الانسان لسيطرته وتحكمه فى كثير من الأشياء ، نتيجة اكثاره من تطبيقات العلم والاكتشافات الحديثة .

وقد اعجبنى تحليلك وشرحك ، فيما يتعلق بطبقة الأوزون الواقية ، تلك الطبقة ، التى تنتشر فى طبقات الجو ، على بعد يتراوح بين عشرين وخمسين كيلو من سطح الأرض ..

وقد فهمت ان تلك الطبقة ، تشبه المظلة الكبيرة ، التى تقى الانسان من الشمس . مظلة صنعتها يد الواحد الأحد ، لكي تمتص كل اشعة الشمس الضارة بالانسان ..

ولقد علمت ايضا .. ان تلك المظلة الواقـية ، التى خلقها الله لتحافظ على حياة الانسان .. قد بدأ الانسان يهاجمها بعلمه ، بل يهاجمها بجهله .. وما أعجب العلم عندما يصبح مع الجهل فى مستوى واحد .. تطبيقا للقول المأثور : الانسان عدو نفسه ..

لكن كيف يهاجم الانسان ، تلك المظلة الواقية ؟ بالغازات السامة والطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت ...

ويبدو لي ياسيدى من كلامك ، ان هذه الغازات وتلك الطائرات ، أشبه بطلقات نارية توجه الى مظلة المظلى ، فلا تعود ممتلئة بالهواء ، فتنفجر ... ويسقط صاحبها من عل ، أو كما قال امرؤ القيس : (كجلمود صخر حطه السيل من عل) .

واعجبنى ياسيدى نداؤك الحار ... بان نعيد النظر ، فى عملية التعليم ، لكي يستند الى اساس اخلاقي وانسانى ... ولعمر الحق ياسيدي ، ان التعليم لابد أن يكون كذلك ، لأنه إن لم يكن من اجل الانسان وتقدمه ... فهو شر من الشرور ، وعمل من اعمال الشيطان والعياذ باللـــه .

وإننى ياسيدى ، اطاطىء الراس احتراما للعلماء ... ذلك ان مدادهم ، فى راي معلمنا محمد عليه السلام ، يوزن بدماء الشهداء ... بل لقد امر ذلك المعلم الكبير ، اول ما امر ان يقرا باسم ربه ... قال له الوحي : « اقرا باسم ربك الذى خلق .. »

والقراءة هى أول العلم ... والعلم فى تلك الآية ، مقرون باسم الله ... إذن فهو مبنى على أسس من الأخلاق والتقوى ومحبة الانسان لأخيه الانسان .

ولعل العلماء ياسيدى ، لو علموا وتعلموا هذه الآية ، لكان كل اختراع يخترعونه رهنا بفائدة البشرية .. فهل تستشهد ياسيدى بتلك الآيات الكريمة ... وانت تدعو الى تاسيس التعليم ، على قواعد الأخلاق ، والقيم الانسانية ... ارجو ذلك

ولك فى الختام ، كبير تقديري واحترامي ...

قالوا هذا الشهر

● الوضع في منطقة الشرق الأوسط متوتر وخطير والحل هو موقف عربي موحد قادر على التصدي والمواجهة

صباح الأحمد

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي

● لا اعتقد ان شعبا جاد بالأرواح وبذل من صنوف التضحيات اكثر مما بذل الشعب الفلسطيني .

اكرم زعيتر

● احسن كتاب قراته وتاثرت به هو « عودة الروح » للكاتب العربي توفيق الحكيم .

رسول حمزاتوف
شاعر روسي مسلم

● الحرب عمل سياسي والاستشهاد عمل سياسي والفداء عمل سياسي وإذا لم نفهم هذا فستضيع كل التضحيات هباء .

أحمد بهاء الدين

● العالم عالمان ، عالم مترف وعالم مدقع بالفقر ، ولو كان في العالم عقل عالمي النظرة ، لما سمح بهذا ، بل لوجد فيه خطراً على الجميع اكبر من خطر القنبلة الذرية .

أحمد بهاء الدين

● كنت معجباً جداً بزوجتي بربارا ، ولكنني اضطررت الى طلاقها بسبب ادمانها للتدخين .. لقد كانت تدخن بشراهة . وكانت تدخن اسوأ نوع من السجائر في العالم . فسجائرها المختارة ذات رائحة تخنق وتثير النفور .

الممثل كاري جرانت في مذكراته

● نريد تمثالا جديداً للحرية غير ذلك التمثال القائم في نيويورك ، وقد استطعنا ان نجمع حتى الآن ١٥ مليون دولار لاقامة تمثال جديد للحرية في سان فرانسيسكو ... بعيداً ... بعيداً عن نيويورك وتمثالها القديم .

لجنة اقامة
تمثال الحرية الجديد في أمريكا

● هناك ١٥ الف طبيب هندي يعملون في أوربا وامريكا وتمثل هذه النسبة ١٤٤ مليون دولار تضيع على الهند سنوياً بسبب هذا العدد الكبير من الأطباء المهاجرين .

من تقرير لمنظمة الصحة العالمية

● انخفض السياح في بريطانيا هذا العام من ٤٠ مليون الى ٢٠ مليون وهذه الأزمة لن تستمر طويلا ، والأمر مرهون بقليل من الصبر والشمس والأيام المشرقة !!

المجلس السياحي
البريطاني

● أكلت ابني الصغير لأني كنت عاطلا وجائعا حتى الموت . وقد اقنعني احد المشعوذين بأني سوف اجد عملا لو اكلت لحم الطفل ... وبعد ان فعلت ذلك ... مازلت عاطلا . وعندما بدأت في أكل ابني لم أكن أشعر انني كنت أكل لحماً آدمياً بل كنت اعتقد انني آكل لحماً عادياً !!

عامل آسيوي
عاطل يبلغ من العمر ٢١ سنة



سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني اثناء افتتاح مجمع البتروكيماويات

بعد عشر سنوات

متشابهة أحيانا ومتطابقة أحيانا أخرى، لكنها كلها كانت تصب فى طاحونة المستعمرين والأجانب، وقد جاء قرار الاستقلال لينقل حركة المسارات الحياتية والسياسية الى المحور الطبيعى والحقيقى الذى يؤمن المصالح الموحدة، والمصير المشترك.

فالاستقلال .. والحال كذلك .. كان فى الواقع عملية انعطاف حاسمة بالنسبة لدولة قطر.

ثانياً: إن ملاحظتنا الثانية هى النتيجة المنطقية لما أسلفناه فى الملاحظة الأولى حيث أن الانتقال من الدوران حول محور اصطناعى الى الدوران حول المحور الطبيعى، يؤدى بصورة تلقائية الى امتلاك العنصر الوطنى لمقدرات البلاد ومقاليد السلطة فيها. وهذه النتيجة المنطقية هى عملياً المؤشر الحقيقى الأكثر وضوحاً على مباشرة الاستقلال، والشروع فى بناء الشخصية المادية والمعنوية للدولة.

ثالثاً: إن دولة قطر، دخلت مع اعلان وثيقة الاستقلال، مرحلة بناء دولة الاستقلال، أى أن قطر ودعت المرحلة السابقة ــ اذا صح التعبير ــ التى تميزت بالسعى والعمل الجاد من اجل نيل الاستقلال، لتبدأ مرحلة جديدة تماما، هى مرحلة بناء الذات، وتشييد بنيان الدولة على أسس نظرية وعملية مكينة وقوية، وهذه هى المرحلة الايجابية ــ اذا صح التعبير أيضاً ــ لأنها تكتسى بمعانى وصفات العقلانية والدراسة والاستنباط، ثم بالجهد والتصميم ومواجهة المصاعب وتذليل العقبات.

مهمة تاريخية

وفى يقينى أن مرحلة دولة الاستقلال ــ أى بناء الدولة ــ هى مرحلة خطيرة



شمس الاستقلال تشرق على قطر



قطر
دولة الاستقلال بعد عشر سنوات

جداً في عمر الشعوب والامم ، فاذا لم يتوفر القائد الحكيم البعيد النظر والثاقب البصيرة في هذه المرحلة ، فان العمل الوطني لبناء دولة الاستقلال ، سيصاب بانتكاسات خطيرة ، ليس اقلها الفوضى العامة ، واختلاط المفاهيم والمقاييس ناهيك عما يصيب السلطة في الدولة من تشوش وضعف نتيجة انقسامها او اقتطاعها بين الأشخاص والفئات . ومن هنا كانت أهمية القائد الذي يستطيع أن يضع قواعد قوية للدولة في مرحلة التاسيس والاستقلال ، تستطيع بها أن تصمد في وجه الهزات والأعاصير العاتية ، وان تحقق بنيانا سامق المكانة ، ثابت الأركان ، لا تؤثر فيه الأمواج الصاخبة والانواء المتلاطمة ، مهما قوى اندفاعها ، أو علا هديرها .

ولقد كان من حسن حظ قطر ، أن هيات لها العناية الالهية قائداً من هذا الطراز من الرجال ، هو سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، الذي تصدى لمرحلة الاستقلال ، بشخصية القائد المستوعب لاماني شعبه وتطلعات امته الكبيرة ، والمستشرف للمستقبل ومتطلباته ، فاقدم على حمل المسئولية وتحمل أعباء الحكم يحدوه أمل متنام في بناء دولة الاستقلال على أسس راسخة ، بحيث تغدو بنيانا شامخا ، وطوداً سامقاً .

وانطلاقاً من هذه الرؤية المستقبلية الثاقبة ، والعزيمة الصادقة التي لا تعرف التراجع أمام المصاعب والعقبات ادرك سمو الشيخ خليفة أن دولة المؤسسات ، التي تنتظم فيها الحياة العامة للشعب بشكل متوازن ومتناغم الحركة ، توفر للشعب الأطر التنظيمية ، والهياكل القانونية والمؤسساتية ، التي تكفل تحقيق العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص لأفراد الشعب قاطبة ، وتكفل بالتالي تحقيق التنمية بمعانيها المختلفة . والحقيقة التي لا جدال فيها هنا ، والتي أقرتها العلوم الانسانية ، والتجربة البشرية ، هي أن الدولة التي تبنى مؤسساتها على اساس من التنظيم ، وعلى منهج يكفل استمرار المؤسسات وتطويرها بشكل يتلاءم مع المراحل الزمنية ، والصيغ التنظيمية المتجددة ، هي الدولة التي تستطيع الصمود في وجه التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وتستطيع بالتالي ان تكون دولة عصرية ، تنتقل من الحسن الى الأحسن ، ومن الأفضل الى الأكمل ...

وفي يقيننا أن سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، تمكن بما يملك من صفات القيادة الحقة ، ان يبني دولة الاستقلال على الاسس المتقدمة ، بحيث لا يملك المراقب او المدقق في بواطن الأمور ، إلا أن ينحني اعجابا ، لما حققته دولة قطر بقيادة اميرها ، من انجازات ملموسة على كل صعيد ، حيث تحولت مدينة «أم سعيد» الى مدينة صناعية تضم «مصنع الحديد والصلب» ثم «مصنع الأسمدة الكيماوية وانشئت جامعة قطر وعشرات المدارس الثانوية والاعدادية والابتدائية ، ومحطتا الاذاعة والتليفزيون ، ثم الزراعة التي تقوم على الآبار الارتوازية ، ثم الحركة العمرانية النشطة ، ناهيك بصناعة البترول ، التي تمثل القاعدة الاساسية لاقتصاد قطر .

وقد كان ما جاء على لسان امير دولة قطر في وثيقة الاستقلال بخصوص قيام دولة المؤسسات ، واضحاً تمام الوضوح ، حيث قال في تلك الوثيقة : «لقد سعينا جاهدين سويا قبل استقلالنا لتحقيق نهضة شاملة في بلدنا العزيز ، وخطونا في هذا السبيل خطوات واسعة ، كان لها أثرها الملموس في الارتقاء بمستوى



الأرض الخضراء



الخريجون يتسلمون شهاداتهم من سمو أمير البلاد المفدى فى احتفالات جامعة قطر بيوم الخريجين

مجتمعنا فى كل النواحى»

ومضى قائلا : «... ولقد كان النظام الأساسى المؤقت للحكم عندنا ، والذى أصدرناه فى الثانى من نيسان (ابريل) من عام ألف وتسعمائة وسبعين ، بين أهم الخطوات التى قمنا بها ، حيث أرسى القواعد الرئيسية لنظام الحكم فى دولتنا خلال فترة الانتقال ، فنظم السلطات العامة فيها ، واختصاصات هذه السلطات ، وعلاقات بعضها بالبعض الآخر ، وحقوق المواطنين وواجباتهم إزاء السلطات كما انه رسم المبادىء الجوهرية الموجهة لسياستنا الداخلية فى كل النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وكلها مبادىء تهدف الى تطوير مجتمعنا تطويراً يكفل له اطراد الازدهار والرفاهية فى مختلف المجالات» .

وقد ادرك سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى ، أن المؤسسات ودولة المؤسسات ـ إن لم تكن ترتكز على قيم الدين والعلم والاخلاق والعمل المثابر البناء ، فانها تبقى مجرد هياكل تنظيمية فارغة من مضمون يصون الحقوق ويرعى الواجبات ، فالقيم هى الأساس فى نهضات الشعوب والأمم ، وبدون القيم والمثل العليا ، يتهاوى البناء ويصبح اى عمل يبذل ، مجرد سباحة فى المجهول .

ومن هنا جاء قول أمير دولة قطر فى خطابه بمناسبة توليه مقاليد الحكم بتاريخ ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٧٣ : «لقد توليت منذ عام مضى ـ بتوفيق الله ـ واستناداً الى ثقتكم الغالية ، مسئولية الحكم ، وحملت امانة تبعاته الجسام .. ولقد كان منهاجى منذ اللحظة الأولى ، يقوم على ما عاهدت الله عليه ، ان أبدأ معكم عهداً نواصل فيه بكل ما نملك من قوة ، وبكل ما نستطيع من جهد ، مسيرتنا المشتركة ، نحو هدفنا السامى الذى طالما تطلعنا اليه ، وعملنا معاً على تحقيقه ، الا وهو بناء دولة مزدهرة مستقرة ، قوامها الدين والاخلاق ، وعمادها العلم والعمل ، وأساس حكمها العدل والنظام ..» .

وأضاف قائلا فى ذلك الخطاب الذى توجه فيه الى شعب قطر :

«.. ولقد كنا نشعر جميعاً فى ذلك اليوم أن الواجب يقتضينا أن نسارع الى إدراك ما فاتنا ، والتوفر على تجميع وتنظيم طاقاتنا لمتابعة التقدم بخطى مدروسة نحو الموقع الرفيع الذى نرجوه لبلدنا بين بلاد العالم المتحضرة ، لاسيما بعد أن تحققت لنا امنيتنا العظمى ، وهى استكمال استقلالنا وسيادتنا ، واسترداد السيطرة التامة على مقدراتنا» .

لقد مرت عشر سنوات فقط على استقلال دولة قطر ، هى فى عمر الزمن مجرد ومضة أو لمحة لا أكثر ، لكن ما تحقق خلالها كان يتجاوز كل طموح وأى

شمس الاستقلال تشرق على قطر



مباني حديثة فى قطر

قطر
دولة الاستقلال بعد عشر سنوات

تصور ، ويعود الفضل فى ذلك بالدرجة الأولى الى توفر قيادة حكيمة ذات رؤية مستقبلية واضحة .

لقد ادركت دولة قطر بقيادة قائدها ورائد نهضتها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أن المنجزات التى تحققت على مدى السنوات العشر الماضية ، إنما كانت القواعد والركائز الأساسية التى قام عليها الاستقلال ، لكنها أدركت من ناحية ثانية ، أن معركتها الرئيسية ، إنما هى معركة التنمية ، والتنمية البشرية هنا ، هى القاعدة الراسخة للتنمية فى الحقلين الاقتصادى والاجتماعى ، ومن المعطيات الأولية للتنمية ، أنها تستهدف الانسان غاية ، لتثرى عقله وقدراته ، وتضعها بالتالى على محك الابداع ، وفى صلب عملية الانتاج الشامل الذى يصنع حضارة شعب من الشعوب .

والتنمية فى عاقبة الأمر هى السعى لاحداث تغيير فى علاقات الانسان بالطبيعة ، وتغيير علاقات الانسان بالانسان بما يحقق واقعاً أفضل فى إطار أهداف اجتماعية وحضارية محددة . وما من شك فى أن عملية الانماء العلمى والثقافى فى قطر ، كما فى كل العالم العربى وبلدان العالم الثالث ، هى أساساً عصب الانماء المرتجى مستقبلا ، لمواجهة التحديات ، ومواكبة التقدم الانسانى ، ومن هنا جاء تركيز دولة قطر بجميع أجهزتها على ضرورة تحقيق فكرة الأمن العلمى والثقافى ، باعتبار أن هذه المقولة تشكل الضمانة الأساسية أمام الأخطار والمصاعب التى يمكن أن تواجه البلاد .

الخط السياسى

كان الخط السياسى لدولة قطر منذ فجر الاستقلال قبل عشر سنوات ، المرآة الصادقة لتوجهات القيادة السياسية فيها ، وقد تمكن امير البلاد ، أن يجعل من دولة قطر نموذجاً للدولة التى يتجاوز تأثيرها فى علاقاتها العربية والاسلامية والدولية ، حدودها ومساحتها الصغيرة .



ميناء الدوحة

وإذا كان نجاح أي دولة يعود لجملة من العوامل ، فانه بالنسبة لدولة قطر ، إنما يعود بالدرجة الأولى الى وضوح الرؤية لدى أميرها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، الذي جعل من سياسة حكومته مثالا للالتزام القومي ، ونموذجا للرصانة السياسية في القضايا الدولية أو الاسلامية .

وفي خطابه الأول الذي توجه به الى شعبه في ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، حدد سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر الأسس التالية ، كخطوط عريضة لسياسة بلاده :

أولا : بالنسبة لسياسة قطر العربية ، قال ان دولة قطر هي دولة عربية مسلمة وشعبها جزء من الأمة العربية ، وهذا القول يوضح الادراك بان الحدود الحالية للدولة ليست أزلية ، بل هي قابلة للتغيير أو الاختفاء ذات يوم ، عندما تتوافر شروط الوحدة العربية الشاملة ، أو أية وحدة عربية اقليمية كوحدة دول الخليج العربية ، ذلك المشروع الذي كانت قطر سباقة في تبنيه وطرحه على الشقيقات الخليجيات .

ثانيا : وضعت قطر نصب عينيها بذل جميع جهودها والعمل بكل طاقاتها من أجل تقوية الروابط بينها وبين جاراتها الشقيقة والصديقة ، والتعاون مع هذه الدول من أجل المحافظة على السلام واستتباب الاستقرار في منطقة الخليج .

ثالثا : أعلنت قطر على لسان أميرها أنها ستبقى تسعى جاهدة لتوثيق عرى التآزر والترابط مع جميع الدول العربية الشقيقة ، وأنها لن توفر جهدا أو تضحية ضمن الجهود المشتركة ، لتحقيق الوحدة العربية ، والكفاح في سبيل انتصار القضايا العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية .

رابعا : أعلنت الدولة التزامها وتأييدها للنضال الفلسطيني والعربي لاستعادة الأراضي العربية المحتلة ، وانتزاع الحقوق الفلسطينية وفي طليعتها حق الشعب الفلسطيني في استعادة وطنه .

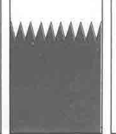
خامسا : وبالنسبة للمنظمات الاقليمية أو الدولية ، أعلنت التزامها بمواثيقها التي ترمي الى نيل الشعوب حقها في تقرير المصير واشاعة السلام والأمن في أرجاء العالم ، واقامة العلاقات الدولية على أسس العدالة والمساواة في ظل أحكام القانون الدولي .

إن هذه المنطلقات الأساسية في سياسة قطر ، تحدد في الواقع الاطار العملي لسياسة الدولة ، التي اكتسبت احتراما فائقا في مجال العلاقات العربية والاسلامية والدولية .

ولابد من كلمة هنا حول سياسة قطر على الصعيد العربي ، فالمدقق في هذه السياسة على صعيد الممارسة خلال السنوات العشر المنقضية ، يلمس صدق الالتزام بالقضايا العربية ، وبذل التضحيات المادية وغير المادية في سبيلها ، وهو التزام نابع أصلا من صدق المشاعر القومية لدى الشعب القطري وقائده سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، الذي لا يرى في الدولة كيانا يعزل الشعب القطري عن بقية الشعوب العربية ، بل يرى فيها وفي الاستقلال الذي ظفرت به ، معقلا للتحفز نحو الوحدة العربية الشاملة ، متى نضجت مقوماتها ، وتهيأت لها الظروف الموضوعية .

واخيرا .. لا آخرا .. فان عشر سنوات مرت على استقلال دولة قطر ، بكل ما حفلت به من منجزات ، وبكل ما اشتملت عليه من تحديات ، كانت كافية لبناء دولة الاستقلال ، وبرهانا ساطعا على قدرة الدولة على شق طريقها نحو مزيد من التقدم والرخاء والازدهار .

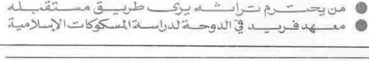
عصام شريح



عملات اسلامية نادرة

قطر على درب الاستقلال

الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي



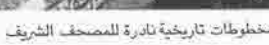
دراهم فضية مختلفة من العصور الاسلامية

تحرص القيادة السياسية ، فى شخص سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، حرصاً واعياً ، على ألا يصل الأمر بالأجيال القادمة القطرية والخليجية ، تحت وطأة المتغيرات المستمرة فى أساليب حياة الناس وطرائق معيشتهم بفعل ما أفاءه الله على المنطقة من نعمة البترول ، الى الحد الذى يتصور فيه الانسان العربي الخليجي ، أن أمته العربية مدينة بوجودها كله ، لاكتشاف البترول بفضل العلم والتكنولوجيا الأجنبية ، واننا معشر العرب قد عشنا ونعيش حياتنا ، عالة على الأسرة البشرية ، كأصفار (على الشمال) فى مضمار التقدم الانساني الحضاري خلال التاريخ ... واستلزم تجسيد ذلك الحرص ، عناية تامة ناضجة بتحقيق مفهوم الشعار القائل : « من يحترم تراثه ، يرى طريق مستقبله » .



مخطوطات تاريخية نادرة للمصحف الشريف

عملات اثرية



قطر



على درب الاستقلال

ومن علامات تلك العناية ، انشاء متحف قطر الوطني عام ١٩٧٥م بمدينة الدوحة عاصمة دولة قطر ، ليكون مراة صدق علمية ، تقول للزائر ، العربي قبل الأجنبي ، رويدك قف ، إن قطر جزء من أمة عربية اسلامية ، لها ماضيها المضيء خلال التاريخ ، منذ كان الانسان يصنع أدوات معيشته من الحجر والفخار ، وان الحضارة العربية الاسلامية ، هي الأساس التاريخي الذى تنتسب اليه ، لدى كل منصف ، جميع منجزات العلم والتكنولوجيا المعاصرة ، وانه لولا العرب بعد الاسلام ، لضاع كل تراث الأمم السابقة ، ولعاد الناس لكي يسكنوا الكهوف ، وان هذا الانسان العربي البسيط ، قد حمل الأمانة بحقها ورغم وطاة قسوة البيئة الصحراوية ، وشظف معايشة حياة البحر ، فى قطر وغيرها من السواحل العربية الشرقية ، قد واصل العيش والحياة باصرار وشجاعة ، عبر القرون ، وحمل بعد الاسلام لواء العلم والمعرفة الى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلم الناس من الحضارة ، ومكارم الاخلاق ، مالم يكونوا يعلمون قبل ... وان ما يبدو قرضا لنا من مصارف العلوم والتكنولوجيا الاجنبية اليوم ، ما هو إلا (سداد) لبعض الدين الذى طوق به أجدادنا اعناق أجداد كل اجنبي ، منذ قرون ليست بعيدة ، وان واجبنا المقدس ، تجاه انفسنا ، وتجاه كل بني البشر ان نستميت لكي نستعيد اشراقة ذلك الماضي التليد ، بالعمل الجاد والجهد والمثابرة والاصرار ... ومن خلال رسالة المتحف هذه ، تخطط دولة قطر لانشاء فروع له حيثما وجد فى ارجاء شبه الجزيرة القطرية أيُ بناء له تاريخ ولا تفتأ تنفق بسخاء على البعثات الأثرية التى تنقب عن التراث وخاصة الآثار الاسلامية ، وتصدر القوانين والتشريعات وتنفذ المشروعات للمحافظة على الأبنية ذات الطابع الوطني ، وهو طابع عربي اسلامي جملة وتفصيلا ، وترميم المتصدع منها ، كي لا يندثر جانب هام من تاريخنا تحت وطاة المستورد من انماط الابنية والمنشات ، وذلك جنبا الى جنب مع مواكبة المسيرة الحضارية العالمية ، بانشاء المصانع والمدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحوث والمصحات والمستشفيات ، وتعبيد الطرق وتوطين البدو واستنباط الماء للشرب والري ، وتنظيم صيد البحر ، واستغلال كل ما تثبت الدراسة العلمية منفعته من الصخر والحجر ، واشاعة الثقافة ، بانشاء دور الكتب وتشجيع انشاء المطابع والمكتبات ، والصحف والمجلات والاذاعات المسموعة والمرئية والعناية بالشباب والرياضة ، والانتماء العالمي للأسرة الانسانية .....

● إحياء الكتب التراثية :

ومن اهتمامات الدولة في قطر بتحقيق ذلك الشعار الذى اسلفناه ، تقديم المعونات السخية للناشرين فى أرجاء الوطن العربي وانحاء العالم الاسلامي والاجنبي ، ممن يضطلعون باحياء مخطوطات وكتب التراث العربي الاسلامي فى الفقه والحديث والتفسير والأدب والفن والعلوم المختلفة ، ويلمس ذلك الجهد جليا ، فيما تقوم به مختلف

مرافق الدولة ، كدار الكتب ، وادارة المطبوعات والنشر ، ورئاسة المحاكم الشرعية ووزارة التربية والتعليم ممثلة فى ادارة الشئون الدينية فيها ، إذ ان كل هذه المرافق تنفق على توزيع الكتب والمعاجم والمراجع التراثية باللغة العربية وغيرها من اللغات ، ويمكن لكل انسان مهتم يعيش فى قطر أن يعمر مكتبته الخاصة بانواعها ، سواء اكان قطري المولد ام غير قطري .

● المسكوكات الاسلامية

ولعل احدث مشروع تهتم به الدولة اليوم فى قطر ، فى مجال حفظ التراث باعتبار قطر جزءا لا ينفصل عن الأمة العربية والوطن الاسلامي والأسرة الانسانية ، هو مشروع انشاء :

(معهد دراسة المسكوكات الاسلامية) كجزء متكامل مع متحف قطر الوطني ، يكون محطا لرواد دراسة علم المسكوكات عامة ، والاسلامية منها خاصة ، من جميع انحاء العالم ... حيث ثبت ان دراسة المسكوكات ، نهج علمي ، يصحح فى كثير من الأحوال معلوماتنا فى التاريخ ، ويلقى أضواء كثيرة على جوانب من ذلك التاريخ العربي الاسلامي بالذات ، لم تك واضحة فى ما تركه لنا المؤرخون من كتب وأسفار ... ويقتنى متحف قطر الوطني اليوم مجموعة نادرة من المسكوكات الاسلامية ، بينها قطع فريدة لا يوجد لها مثيل فيما هو معروف فى متاحف العالم ، ويعود الفضل فى اقتناء هذه المجموعة ، والبحث عن مجموعات أخرى فى انحاء العالم ، الى التوجيه المباشر من سمو أمير دولة قطر ، الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني شخصياً ... ويجرى اليوم تخطيط متكامل لانشاء ذلك المعهد بحيث تتوفر فيه الشروط التالية :

● أن يحتويه بناء على الطراز الاسلامي الأصيل ، يراعى فيه كل شرط



دينار من العصر الأموي

من مواصفات انماط البناء فى منطقة الخليج بالذات .

● ان يزود من داخله بكل ما وصل اليه العلم وهندسة البناء فيما يوفر كل مواصفات الأمن والأمان ، والاضاءة ، ومتعة الزائر المهتم بالتعرف على تاريخ المسكوكات الاسلامية وتطور صناعتها خلال اربعة عشر قرنا ، هو مجمل تاريخ الامة الاسلامية ، بما فيها قطر ، حتى يومنا هذا .

● أن توفر له كل الأجهزة العلمية الحديثة فى مختبرات الدراسة من المجهر الاليكتروني ، وجهاز اشعة موسباور ، واشعة النيترون والأشعة السينية وفوق البنفسجية وتحت الحمراء ، وذلك للتعرف على التركيب الكيماوي التام لسبائك المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية والفلزات الأخرى ، ولعل ذلك يلقى ضوءا على جوانب لم يتناولها علماء المسكوكات بعد مما سوف يفيد فى التعرف على المناجم التى استخرجت منها خامات تلك الفلزات ، وهذا فى حد ذاته قد يلقى اضواء على جغرافية تجارة الفلزات خلال التاريخ فضلا عن التعرف الصحيح على الطرائق الميتالورجية التى اتبعها اجدادنا فى مضمار صناعتهم للسبائك الفلزية ، ومدى قدراتهم الكيمائية .

● وذلك الى جانب الأجهزة الأخرى لقياسات الصلابة والكثافة النوعية والحجم والوزن والسمك لتلك المسكوكات والأجهزة التى تساعد على قراءة اوجه المسكوكة ومعرفة نوع الخط الذى كتبت به ، وغير ذلك من الصفات العلمية للمسكوكات .

● ولسوف يزود ذلك المركز العلمي ، بمكتبة تحتوى على كل ما يمكن الحصول عليه من الكتب والمراجع العلمية فى مضمار المسكوكات من جميع النواحي والآفاق ، سواء الحديثة أو المخطوطة وباية لغة من اللغات ...

● كما وان ذلك المركز سوف يحتوى الى جانب المسكوكات على كل ما يمكن الحصول عليه من أدوات سك النقود التراثية وموازينها وعلى خرائط ورسومات تبين مواقع دور السك الشهيرة فى التاريخ الاسلامي على مدى العصور ، وسوف يزود بالأفلام والصور التى تعطى الزائر لمحات متكاملة عن تاريخ النقود والمسكوكات منذ بدأ الانسان يستخدمها الى اليوم ، وعلى بيانات عن انواع العملات العالمية ومنشأ كل عملة وتطورها ...

● وسوف يكون المركز بعد تمامه ، إن شاء الله ، عامراً بالحلقات الدراسية والندوات العلمية والمؤتمرات البحثية فى مجال المسكوكات على وجه الخصوص .

تلك مجرد لمحة سريعة عن بعض اهتمامات دولة قطر فى مسيرتها على درب الاستقلال ، فى مضمار الحفاظ على الجوانب النيرة المضيئة من تراثنا العربي الاسلامي .

درويش مصطفى الفار




التعليم تحت راية الاستقلال



بقلم : الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

يطيب لي ، بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال بلادنا الحبيبة ، أن أشير الى بعض الحقائق التى تحكم مسيرة التعليم فى ظل الاستقلال ، وكيف أن الدولة وفرت كل الظروف اللازمة لدفع هذه المسيرة كي تمضي قدماً طوال السنوات العشر المنصرمة ، حتى بلغت شاوا بعيداً فى امد قريب ، وحققت انجازاً قياسياً فى الكم والكيف جميعاً .

التعليم فى سياق الحضارة

والحق أن التعليم ، كان وما يزال وسيلة الأمم نحو النهوض وتحقيق الغايات المنشودة ، كما أن التعليم فى نفس الوقت ، كان ولا يزال هو غاية الانسان الطامح الى تبديد ظلمات الجهل والأمية والتخلف ، ومن خلال هذا الجدل الحي بين الوسائل والغايات ، أو بين التعليم باعتباره وسيلة وغاية معاً ، نقول ان مقياس تقدم الأمم والشعوب ، يعود بالدرجة الأولى الى مدى انتشار نسبة التعليم ومستويات ذلك التعليم ، بين أفراد هذه الشعوب .

ولا يعنى ذلك ، أن نغض عن قيمة مظاهر الحضارة الأخرى ، سواء المظاهر المادية كالتصنيع والتقنية والعمران ، أو المظاهر المعنوية والثقافية ، كالفن والفكر وانما نود أن نشير فحسب ، الى أن هذه المظاهر الحضارية تتوقف أساساً على حركة التعليم ومدى استيعابها للقوى والطاقات البشرية فى المجتمع ، استيعاباً يشمل جميع الاستعدادات والمواهب ، ويفي بكل الحاجات التى تتطلبها المرحلة فى مجتمع يشق طريقه حثيثاً في موكب المدنية المعاصرة . وانه ليحق لنا من هذا المنطلق ـ إذا ما أردنا للمجتمع أن يتبوأ مكانته اللائقة بين الشعوب المتحضرة ، وتكتمل له مظاهر المدنية التى تتناسب مع تقاليدنا الاسلامية والعربية ، فيزدهر العمران وتنمو الصناعة وتروج الفنون والآداب ، وتنشط حركة الفكر ـ أن نشير الى التربية والتعليم ونقول انه لا يمكن لمثل هذه المظاهر الحضارية أن تنشأ وتقوم لها قائمة بدون التعليم ، أى بدون العلم والمعرفة اللازمين لكل نهضة وحضارة .

حدود الرؤية التربوية

ولئن كانت هذه هي المنزلة التى يحتلها التعليم بصفة عامة ، وباختلاف الزمان والمكان ، فان طبيعة هذه المنزلة وحدود الدور الذى تلعبه التربية ويلعبه التعليم ، لتختلف وفقاً لظروف كل مجتمع وطبيعة كل بيئة ، ومن هنا فان الأنظمة التعليمية والتربوية تختلف في هذا المجتمع عنه فى ذاك ، فلكل مجتمع تقاليده وأهدافه التى يصبو الى تحقيقها ، وشخصيته التى ينبغي أن يحافظ عليها ، بحيث تجىء الأنظمة



احتفالات يوم العلم

التعليمية والتربوية متوائمة معها ، دافعة لها نحو المزيد من الصقل والجلاء.

وإننا — في مجتمعنا القطري — إذ ندرك هذه الحقيقة ، فاننا ندرك معها أن استراتيجية التعليم في قطر ، لابد أن تكون محكومة برؤية كلية شاملة ، تحقق أول ما تحقق ، الانسجام الضروري بين نظم التعليم ومناهجه ، وبين طبيعة المجتمع القطري ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فلابد أن تحقق التلبية العاجلة — بقدر الامكان — لحاجات المجتمع ، حسب مقتضيات الظروف والمرحلة الراهنة .

وإن كان لنا أن نلقى بعض الضوء على هذه الرؤية الشاملة أو هذا الاطار الاستراتيجي الخاص بالتربية والتعليم في قطر ، فاننا نوجز ذلك في :

١ — نحن مجتمع اسلامي ، والاسلام الحنيف يحضنا على طلب العلم (ولو في الصين) ، ويأمرنا أن نقاوم الجهل ونتسلح بالعلم في هذه الدنيا ، والآيات القرآنية الكريمة ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة التى تحث على الجد في طلب العلم والتسلح به ، بل وتجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، لهي آيات وأحاديث معروفة ، أفاض في تفسيرها المفسرون ، ومن هنا ، فاننا نعتبر مقاومة الجهل فريضة اسلامية ، وننظر الى التعليم على انه واجب اسلامي لا ينبغي أن يقعد أى مسلم دون النهوض به ، ولا ينبغي على الحكومات أن تقصر في سبيل توفر سبله وامكاناته.

٢ — وكما اننا مجتمع اسلامي ، فنحن أيضاً ، وبنفس القدر ، مجتمع عربي ، نشترك مع أمتنا العربية الكبرى من خليجها الى محيطها في تراث واحد ، وتاريخ واحد ، وثقافة واحدة ، ويعني هذا أول ما يعني ، أن تكون نظم التعليم ومناهجه متسقة مع هذا التراث المشترك العريق ، لا بمعنى المطابقة والاحتذاء ، بل بمعنى تحقيق الاصالة ونشدان الهوية والمحافظة على الشخصية العربية الاسلامية الأصيلة . إن ثقتنا في العمل العربي المشترك في حقل التربية والتعليم ، تجعلنا نامل — في ظل التعاون والتنسيق المتكامل من خلال الأجهزة العلمية والتربوية العربية ، وعلى رأسها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — في أن ينطلق التكامل العربي الى أقصى مدى ممكن في هذا المضمار ، بحيث تكون مناهجنا التعليمية والتربوية ، مبنية على أساس مكين من ديننا الحنيف ، ودعامة وطيدة من تراثنا العربي الأصيل ، وشخصيتنا العربية المتميزة .

٣ — والمجتمع القطري جزء لا يتجزأ من المجتمع الخليجي ، والدول الخليجية ترتبط معاً ، الى جانب انتمائها العربي العام — بظروف خاصة الى حد ما ، ولا يعني ذلك أن مثل هذه الظروف تستدعي مناهج ورؤى تعليمية وتربوية مختلفة عن مثيلاتها في الدول العربية ، بل يعني



الجيل الجديد أثناء تنمية الهوايات التربوية

ان يتم تكييف هذه المناهج الموحدة ، بحيث تلائم البيئة الخليجية وتلبي حاجاتها الحاضرة ، التى تمليها طبيعة الوضع السكاني والاقتصادى فى المنطقة

الأصالة لا تلغى المعاصرة

إن حديثنا عن ضرورة انسجام النظم والمناهج التعليمية ـ التربوية مع روح تراثنا العربي الاسلامي ، لا يتعارض مع ما ينبغي أن تكون عليه هذه النظم والمناهج ، من مرونة وقدرة على استيعاب روح العصر فى مجالات العلم والثقافة ، ولئن كان هذا العصر يتميز اكثر ما يتميز ، بانه عصر العلم والتكنولوجيا ، وعصر النظريات المتعددة والأفكار الخصبة فى شتى ميادين الأدب والفن والفلسفة والتربية وغيرها من فروع الانسانيات ، فاننا واجدون في ديننا الحنيف ما يدفعنا الى الاستفادة بالصالح من هذه العلوم والنظريات دون الطالح منها ، الذى لا يتلاءم مع عقيدتنا ومثلنا العليا . وقد وضع لنا ديننا الاسلامي ، القواعد والأسس العامة ، التى يمكن أن نستنبط منها المعايير التى نميز على اساسها بين الغث والسمين .. المناسب وغير المناسب من المناهج والنظريات المختلفة ، ومن هذا المنطلق ، استطاعت وزارة التربية والتعليم فى بلدنا الحبيب ، أن تدعم نفسها بالنظريات التربوية السليمة والممكنة التطبيق فى بيئتنا العربية الاسلامية ، كما أنها عملت أيضاً ، في ضوء الاستفادة بمنجزات العصر التى هي ملك للانسانية جمعاء ، على أن تستفيد بالتطور العلمي والتكنولوجي فى تحسين وسائل التعليم بما يحقق الفائدة المرجوه للطالب ، والتى تتوخاها الوزارة دائماً فى خططها ومشروعاتها التربوية .

حصاد السنوات العشر

لقد حققت وزارة التربية والتعليم وتحت راية الاستقلال الذى ظفرت به بلادنا الحبيبة منذ سنوات عشر ، انجازات هائلة فى مدة وجيزة ، سواء من جهة الكم او من جهة الكيف ، وعلى كافة الأصعدة والجوانب المتعلقة بعملية التعليم ، مثل ازدياد العدد الاجمالي للطلاب والطالبات ، ولاعضاء الهيئة التدريسية ، وارتفاع نسبة التقطير فى الوظائف التربوية والقيادية ، وكذلك ازدياد عدد الخريجين فى كل المراحل التعليمية وايضاً ازدياد عدد المباني المدرسية ، الى غير ذلك من الدعائم التربوية والتعليمية الهامة .

ولعل الأرقام ان تكون خير معبر عن مثل هذه الانجازات التى تحققت خلال السنوات العشر الماضية ، ويكفي لكي نتلمس حجم هذه الانجازات ، ان نقارن بلغة الأرقام ، بين ما كان عليه الوضع فى بعض المجالات التعليمية قبل الاستقلال (٣ سبتمبر ١٩٧١) وبين ما أصبح عليه الوضع الآن فى نفس هذه المجالات .

فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد أن مجموع عدد الطلاب والطالبات كان ١٨٥٣١ طالباً سنة ١٩٧١ ، فاصبح الآن ٣٩٩٩٢ طبقاً لاحصائيات العام الدراسي المنصرم ٨٠ ــ ٨١ .

وقد كان عدد اعضاء الهيئة التدريسية فى نفس العام : ١٠٧٣ عضواً فارتفع هذا العدد طبقاً لاحصائية العام الدراسي ٨٠ ــ ٨١ الى ٣٤٤١ عضواً . اما فيما يختص بالمباني المدرسية فقد كان عددها فى عام ١٩٧١ ، قد وصل الى ٨٦ مدرسة من بينها ٤٧ مدرسة للبنين و ٣٩ مدرسة للبنات ، وقد ارتفع هذا العدد فى العام الدراسي ٨٠ ــ ٨١م ، الى ١٤٣ مدرسة ، منها ٧٢ مدرسة للبنين و٧١ مدرسة للبنات ، ولعل هذه الزيادة لاتعبر فقط عن معدل عال للزيادة فى عدد المدارس ، بل انها لتعبر ايضاً عن زيادة حصة الطالبات من هذه المدارس ، زيادة تكاد تجعلها تتساوى مع حصة الطلبة ، ولعل هذا أن ينسجم فيما نؤمن به ويأمرنا به ديننا الحنيف ، من أن التعليم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وبطبيعة الحال فان حجم هذه الزيادة فى هذه المجالات وفى بقية المجالات الأخرى لم يكن ليتم إلا بزيادة ميزانية الوزارة بحيث تنهض بكل هذه الانجازات ، وقد كانت ميزانية العام الماضي ٨٠ ــ ٨١ ، اكثر من الف مليون ريال قطرى . وإذا قارناها بميزانية عام ١٩٧١ ، نجد انها تضاعفت ٢٠ مرة تقريباً فى غضون هذه الفترة الزمنية المحدودة ، فقد كانت ميزانية عام ١٩٧١ حوالى ٥١ مليون ريال قطري فقط . إن هذه الزيادة وهذا التقدم الكبير فى النهضة التعليمية لم يكن ليتم لولا دعم ومباركة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وولي عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني . وقد اتبعت الوزارة سياسة تقطير الوظائف الادارية حتى تتيح المجال للشباب القطري المتعلم ، أن يلعب دوره فى دفع حركة التعليم ويضطلع بمسئوليته كاملة . فقد بلغ مجموع عدد الموظفين والموظفات فى قطر ٢٠٧ موظفاً وموظفة عام ١٩٧١ ، من بينهم ١٥٩ موظفاً ، و٤٨ موظفة ، وقد ارتفع هذا العدد فى العام الماضي الى ٩٣٩ موظفاً وموظفة ، وقد أدت هذه الزيادة الى ارتفاع معدل الموظفين القطريين والموظفات القطريات بين مجموع الموظفين والموظفات ، فقد بلغت نسبة الموظفين القطريين الى مجموع الموظفين نسبة ٣٣,١٪ ، بينما بلغت نفس النسبة فيما يختص بالموظفات ٥٠,٢٪ . وهناك مجالات اخرى كثيرة تحققت فيها معدلات كبيرة فى النمو والزيادة ، فقد وصل عدد الدارسين والدارسات فى محو الأمية الى ٧٥٤٨ دارساً ودارسة فى العام الماضي .

اما جامعة قطر ، فمنذ انشائها فى عام ١٩٧٤ تحت ظل الاستقلال ، وهى تطرد فى النمو وتقترب اكثر من اداء رسالتها على النحو المراد ، وعلى الرغم من أن هذه الجامعة جامعة وليدة حديثة العهد بالانشاء ، إلا أن عدد الطلاب والطالبات فيها طبقاً لآخر احصائية أصبح ٢٦٤٢ طالباً وطالبة . والتعليم العالي لا يقتصر على جامعة قطر ، فهناك البعثات التى تتوسع فيها الوزارة عاماً بعد عام فى التخصصات غير المتوفرة فى جامعة قطر ، وقد بلغ اجمالي عدد المبعوثين والمبعوثات فى العام الماضي ١٢٥٧ طالباً وطالبة .

وفي جميع المجالات الاخرى نستطيع أن نلمس هذا النمو ، بل أن الوزارة عمدت مؤخراً الى البدء فى تنفيذ مشروع تكييف المباني المدرسية ، حتى يتهيأ المناخ المريح للطالب والمدرس على السواء .

ولعل النمو أو التحسن فى الكيف لم يكن دون المعدل المستمر للنمو في الكم ، وفى هذا الصدد فان الوزارة قامت بالكثير من الخطوات التى من شانها أن تدفع العملية التعليمية وترقى بها ، منها ما حدث من تعزيز قسم الوسائل التعليمية بحيث يتمكن من انتاج الوسائل التعليمية محلياً بدلا من استيرادها من الخارج ، وقد توصلت الى انتاج أكثر من ٧٠٪ من هذه الوسائل محلياً .

وفى الخلاصة نقول ان تقدم التعليم فى قطر ، يقترن بشكل مباشر ، بالاستقلال الذى تمتعت به البلاد على مدى السنوات العشر الماضية ، وقاد مسيرته حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وولي عهده الأمين ، الى حيث يتحقق خير المواطن القطري وينعم بأكبر قدر متاح من الرفاهية والرخاء .

والله من وراء القصد .

محمد بن حمد آل ثاني




العمل الاجتماعي في ظل الاستقلال

بقلم: علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

لعل الخطوة الأولى الهامة التى خطتها الدولة في ميدان العمل الاجتماعي في ظل الاستقلال تمثلت فيما تضمنه النظام الأساسي المؤقت المعدل للحكم فى قطر الذى صدر بتاريخ ١٩ ابريل عام ١٩٧٢م فقد حدد هذا النظام عدداً من المبادىء والأهداف والمفاهيم الاجتماعية مثلت بحق المنطلق الاساسي للعمل الاجتماعى خلال السنوات الماضية . فقد جاء فى النظام ما يلي :

- الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن وينظم القانون الوسائل الكفيلة بحمايتها من عوامل الضعف وتدعيم كيانها وتقوية أواصرها والحفاظ على الأمومة والطفولة فى ظلها .
- تعمل الدولة على تأهيل المبادىء الاسلامية القويمة فى المجتمع وعلى تطهيره من كافة صور الانحلال الخلقى .
- ترعى الدولة النشء وتصونه من أسباب الفساد وتحميه من الاستغلال وتقيه شر الاهمال الجسماني والروحاني
- تسعى الدولة جاهدة لتوفير تكافؤ الفرص للمواطنين ولتمكينهم من ممارسة حق العمل فى ظل قوانين تحقق لهم العدالة الاجتماعية .
- تعمل الدولة بكل امكانياتها لتجنيب المواطنين أسباب المرض والجهل والحاجة .
- تضع الدولة نظاماً للضمان الاجتماعي يكفل المعونة للمواطنين فى حالات الشيخوخة والمرض والكوارث وغيرها من الحالات المسببة للعجز .

التغيرات الاجتماعية

والعمل الاجتماعي بمفهومه التنموي الشامل يتخطى فى نطاقه مجال العمل الذى تقوم به وزارات الشئون الاجتماعية . فالتعليم والثقافة والصحة ووسائل الاتصال وارتفاع مستوى الدخل تؤثر فى حياة الأفراد وتولد انماطاً جديدة من السلوك والعلاقات .

ونظرة اجمالية الى الحياة العامة فى البلاد خلال السنوات التى اعقبت الاستقلال تظهر فى صورة جلية مدى التغير النوعي فى الحياة الاجتماعية والوعي الاجتماعي لدى المواطنين . ويكفى أن نشير على سبيل المثال الى التقدم الكبير فى مجال تعليم المرأة القطرية وما يحمل ذلك من اثار فى التنشئة الاجتماعية والحياة الاسرية .

الا اننا إذا أردنا حصر الحديث عن العمل الاجتماعي فى اطار ما تقوم به وزارة العمل والشئون الاجتماعية وفقاً لاختصاصاتها فلابد ان ننظر الى الموضوع من خلال بعديه : الامكانات



المشروعات العديدة التي تقدمها الدولة لتوفير الخدمات للمواطنين

البشرية والمهمـات التنفيذية . ذلك أن تقديم الخدمات وانشاء المشروعات وممارسة النشاطات المختلفة انما يتوقف الى حد بعيد على توفر الامكانات البشرية القادرة على الاضطلاع بهذه المهمات . وهكذا كان لابد للوزارة ان تعطى عناية كبيرة لتطوير الجهاز الوظيفي المنوط به امر الشئون الاجتماعية .

لقد كان هذا الجهاز عبارة عن قسم صغير فى الوزارة يتولى صرف المساعدات الاجتماعية للفئات المحتاجة التى يحق لها الانتفاع بقانون الضمان الاجتماعي . أما الآن فقد تحول القسم الى ادارة تشمل العديد من الاقسام مثل : الضمان الاجتماعي ، والمساعدات الاجتماعية ، ورواتب التقاعد ، والتحقيقات والأبحاث الاجتماعية ، والجمعيات الخيرية ، ومركز التدريب والتاهيل الاجتماعي .

وتقوم الوزارة الآن بافتتاح مكاتب فرعية للشئون الاجتماعية فى المناطق من أجل تقديم الخدمات للمواطنين فى اماكن اقامتهم .

وعلى صعيد آخر صدر فى عام ١٩٧٣م القانون الخاص بانشاء الجمعيات التعاونية وفى عام ١٩٧٤م صدر القانون الخاص بانشاء الجمعيات الخيرية .

وقد قطعت الحركة التعاونية فى البلاد شوطاً لا بأس وحققت الجمعيتان التعاونيتان فى مدينة خليفة والمنتزة منافع وفوائد للمواطنين تلمس نتائجها بوضوح سواء فيما يتعلق بتوفير السلع قريباً من مسكن المواطن أو فى الأسعار المناسبة .

تشجيع العمل التطوعي

أما بالنسبة للجمعيات الخيرية فتجدر الاشارة الى أن الوزارة عملت على تشجيع العمل الأهلي التطوعي تأكيداً لدور الفرد فى خدمة المجتمع وتجسيداً لروح التكافل الاجتماعي وتعميقاً للوعي الاجتماعي .

وقد استطاعت الوزارة بالتعاون مع عدد من العناصر الخيرة أن تنشيء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين فى عام ١٩٧٦م وللجمعية فى الوقت الحاضر هيئة ادارية ومبنى . وقامت حتى الآن بعدد من الخطوات الهامة فى سبيل رعاية المعوقين فأجرت مسحاً شاملا لحالات الاعاقة فى البلاد وتصنيفها تصنيفاً علمياً بالتعاون مع الوزارات والأجهزة الحكومية المختصة .

العمل الاجتماعي في ظل الاستقلال

ونامل ان تحقق الجمعية خطوات أخرى فى المستقبل القريب فى مجال رعاية المعوقين وتأهيلهم .

كذلك افتتح مركز التدريب والتأهيل الاجتماعي فى عام ١٩٧٧م وقد صدر مؤخراً مرسوم أميرى يتناول اهداف المركز وتنظيمه ومهماته ، وهو يتبع ادارة الشئون الاجتماعية بالوزارة . وسوف يكون له مجلس ادارة ومديره لتسيير شؤونه . ويقوم بتدريب الفتيات والنساء القطريات على الصناعات والمهارات المنزلية كالحياكة والتطريز واشغال الابرة واشغال الصوف وكذلك الاقتصاد المنزلي والرعاية الصحية .

إن للمركز دوراً هاماً ولاشك على صعيد التنمية الاجتماعية . فهو يهدف الى رفع كفاية المرأة القطرية وتأهيلها وتدريبها واعدادها لمهن تتناسب مع استعدادها وقدراتها ويجعلها تعتمد على نفسها ويسهم فى زيادة دخل الاسرة وتحسين مستواها الصحي والاجتماعي ، وبالتالي ينمي دور المرأة فى تطوير بلدها وتقدمه .

التنمية الاجتماعية

لقد اصبح العمل الاجتماعي يحتل مكانا بارزاً فى مخططات التنمية فى مختلف الدول . فالتنمية الاجتماعية هي بكل المفاهيم الوجه الآخر للتنمية الاقتصادية بل وتمثل المقياس الأدق للتنمية العامة بمضامينها الانسانية الشاملة .

وإذا كانت التنمية الاجتماعية قد ظلت بالفعل متخلفة عن التنمية الاقتصادية فى البلدان المختلفة فان ذلك يعود لأسباب عديدة تتعلق بالمفاهيم والمعايير الفردية التى سادت فى الماضي للتنمية ، وباتجاهات أصحاب القرار وذوى الامكانيات فى المجتمعات .

ولا شك أن احد الأسباب هذه يعود الى كون العمل الاجتماعي والمشروعات الاجتماعية لا تعطى مردوداً مادياً يذكر قياساً الى ما تعطيه المشروعات الاقتصادية من مردود مادى سريع وملموس . وبالتالي فان المشروعات الاجتماعية تتطلب امكانيات مادية واستثمارات لا تظهر نتائجها إلا على المدى البعيد .

المسكن كموطن حياة

ولقد اتاح الاستقلال لدولة قطر وامتلاك مصادر الثروة أن تولي العناية اللازمة للتنمية الاجتماعية وتوفر لها الامكانات المادية المطلوبة . وهكذا باشرت بالتوسع فى المنشآت الاجتماعية مثل المرافق الصحية والتعليمية . وكما حرصت على توفير المساعدات الاجتماعية التى تؤمن دخلا مناسباً لمن هم بدون دخل عملت على تامين المسكن الصحي الملائم لجميع المواطنين كذلك . فقدمت المساكن المجانية للمواطنين العجزة والمساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود والمساكن الفاخرة لكبار موظفي الدولة بتسهيلات يمكن القول انها تعتبر نموذجية .

إن توفير المسكن يشكل عاملا أساسياً فى تحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي للمواطن وفى اطمئنانه وسعادته . والمسكن بنظرنا ليس مجرد ماوى وانما هو موطن حياة ، ولذا فلابد ان يكون في تصميمه ومساحته ومرافقه منسجماً مع هذا المفهوم فيضفي على الحياة فيه نوعاً من الراحة والبهجة ويستجيب للعادات والتقاليد الاجتماعية فى بلدنا وتتراوح مساحة الأرض المخصصة للبناء بين ٦٤٠٠ – ١٠,٠٠٠ متراً مربعاً والمسكن الشعبى عبارة عن فيلا تتالف من اربع غرف نوم وصالة وغرفة طعام ومخزن والمنافع الصحية . ويكفى ان نشير الى تطوير الميزانية المخصصة للمساكن الشعبية خلال السنوات العشر الماضية فنرى مدى الاهتمام الذى توليه الدولة لهذه القضية . فقد كانت هذه المخصصات فى حدود ستة ملايين ريال عام ١٩٧٠م أما فى العام الحالي ، ١٩٨١ ، فقد رصد للمساكن الشعبية مبلغ تسعين مليون ريال .

السلع الاستهلاكية باقل الاسعار

وتشكل الجمعيات التعاونية إحدى المهام الاجتماعية المنوطة بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية . ان الجمعيات التعاونية تحقق للمواطن فوائد مادية ملموسة تتمثل فى توفير السلع الاستهلاكية قريباً من سكنه ، وباسعار اقل من الأسعار السائدة فى السوق .

إلا أن للحركة التعاونية ابعاداً تتخطى المنافع المادية لتحقق جواً من الحياة الاجتماعية القائمة على التعاون والتفاهم بين المواطنين وتنمية وعيهم الاجتماعي ومساهمتهم فى التعرف على مشكلاتهم وحلها .

ولكي توفر الدولة لهذه الحركة عناصر نجاحها فانها تقدم لكل جمعية جديدة دعما ماديا يبلغ ٨٠٠,٠٠٠ ريال كراسمال تشغيلي كما تقدم لها العون الفني والادارى وتقوم بالاشراف والمراقبة حتى تقوى هذه الجمعيات وتحافظ على الغرض الذى اقيمت من اجله .

وإذا كان لدينا الآن جمعيتين عاملتين



الجمعيات التعاونية الاستهلاكية التي توفر السلع بأسعار أقل من السوق

في البلاد فان المستقبل القريب جداً سيشهد العديد من الجمعيات المنتشرة فى مختلف انحاء البلاد خاصة وقد اثبتت التجربة نجاحها . ونحن على وشك افتتاح بعض الجمعيات فى الريان والخور والشمال والجميلية .

دور المرأة فى المجتمع

إن الحديث عن التنمية الاجتماعية لا يكتمل بدون الحديث عن المراة ودورها ، ولن ندخل في نقاش نظرى حول هذا الموضوع ، فالمهم هو الواقع والممارسة العملية . لقد قطعت المراة القطرية شوطاً بعيداً في مجال التعليم خاصة فى السنوات القليلة التى أعقبت الاستقلال فقد جرى التوسع فى اقامة المدارس واقيمت كلية التربية للبنات وانشئت الجامعة .

والمراة عندنا تعمل فى مجالات التعليم والصحة والاعلام والشئون الاجتماعية . ففى مجال الشئون الاجتماعية تقوم المراة بدور هام إذ تعمل كباحثة اجتماعية ومرشدة اجتماعية ومحققة اجتماعية .

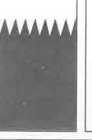
وكان انشاء مركز التدريب والتاهيل الاجتماعي خطوة هامة على هذا الطريق وسوف يتبعه مراكز اخرى بعون الله . ولقد كنا متهيبين صراحة فى بداية الأمر إلا أن اقبال الفتاة والمراة القطرية على المركز كان كبيراً ومشجعاً لنا للمضي فى التوسع فى هذا الاتجاه .

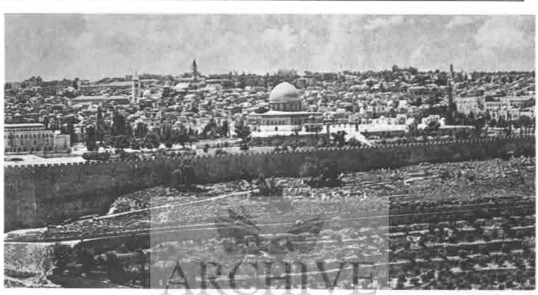
إن المركز يحقق للمتدربة بعض الفوائد المادية عن طريق تعلم مهنة معينة وتسويق الانتاج والتوفير فى الاستهلاك المنزلي . لكنه كذلك يعطي مردوداته الاجتماعية ، كما اشرنا ، والمتعلقة فى عملية التنشئة الاجتماعية الناجمة عن تحسن مستوى المراة الثقافي والصحي والاجتماعي وينعكس فى تصرفات الأم وقدرتها على التصرف وإدخال اللمسات السعيدة على جو الاسرة .

لقد قطع العمل الإجتماعي فى عهد الاستقلال خطوات واسعة فى كافة مجالاته . ويسير الاهتمام بالتنمية الاجتماعية جنباً الى جنب مع الاهتمام بالتنمية الاقتصادية فمع التوجه الصائب والحازم لامتلاك مصادر الثروة المادية وتنويعها واستغلالها جرى العمل بجدية واندفاع لتنمية الطاقات البشرية وتنويع معارفها ومهاراتها .

ونستطيع القول بحق اننا خلال هذه السنوات القليلة وبفضل القيادة الحكيمة الرشيدة لحضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المعظم قد اجتزنا عتبة التخلف ونحن فى هذا العقد عقد الثمانينات نتابع السير بخطوات ثابته نحو آفاق جديدة فى التنمية والتقدم .

علي بن أحمد الأنصاري





القدس زهرة المدائن .



قطر والقضية الفلسطينية



بقلم :
يس الشريف
ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في قطر

إن قضية فلسطين تمثل ناقوس خطر يدق منذ عام ١٨٩٧ عندما اتخذ المؤتمر الصهيوني الأول الذى عقد فى مدينة بال بسويسرا أهم قراراته فيما يتعلق بانشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين . وربما يرد على الخاطر قول .. باننا فى كل مناسبة وغير مناسبة نردد .. المؤتمر الصهيونى .. هرتزل .. وعد بلفور .. الانتداب واعلان دولة اسرائيل .. الخ .

والحقيقة يجب ترديد هذه الاسماء والمناسبات والأحداث ليس مرة فى موعدها الحولى بل نجعل منها اناشيد وملصقات تطالعنا كل يوم . لاننا كامة عربية لم نـع بعد من هذه الاحداث والأخطار الا حفظ موعدها الزمنى .. نحتفل بها كل عام .. ونطفىء حولها الشموع السوداء .

وقد يستغرب أو لا يستغرب القارىء الكريم بانه قبل اسابيع التقيت بمواطن عربى من جيل الآباء فى جلسة لدى احد الأصدقاء المسؤولين وكان الحديث بالطبع عن فلسطين والعدوان الوحشى



سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني في إحدى لقاءاته مع ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

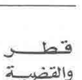
الاسرائيلى على المدن والمخيمات اللبنانية والفلسطينية وقتل المئات من النساء والأطفال بقنابل الطائرات الأمريكية الفتاكة .

واذا بالمواطن الأب ، يتساءل بكل ما تحمله الصحراء العربية من بساطة وصدق ونقاء وهل هناك علينا فى منطقة الخليج العربى خطر من اسرائيل ؟ لأنه اذا كان كذلك فلابد وأن نركب لنحاربها ! . هذا الفارس العربى .. لا زال يعتقد بأن مفهوم الخطر وحدوده هما وثبة فرسه وطعنة سيفه .. رغم مرور سنوات تزيد على الثلاثين على قيام دولة اسرائيل فى قلب الأمة العربية .. ورغم عدة حروب بين العرب والعدو الاسرائيلى .. ورغم احتلال اسرائيل لأراض عربية ورغم امتداد قبضتها الارهابية بكل صلف وحقد ووحشية الى حدود الوطن .. تدمر واحدا من أهم انجازاته الحضارية ، مؤكدة للعرب جميعا بأن حدود اسرائيل تمتد الى آخر مدى تصل اليه قنابل طائراتها عسكريا .. واحلام قادتها سياسيا .. وقد تحقق لها الكثير من ذلك .

أول اتصـــــال

وهنا ننتقل الى جانب مهم فى موضوعنا ، وهو هذه المنطقة التى نعيش عليها .. الخليج العربى والذى اصبح بكافة المعايير يحتل موقعا بالغ الاهمية فى التوازنات الدولية ، وربما يظن البعض هذه المنطقة العزيزة حديثة عهد فى علاقاتها بفلسطين قضية وشعبا ، وللحقيقة فان هذه المنطقة العربية لم تغب تاريخيا عن المشاركة والتأثر بما جرى فى فلسطين اذ أن المشكلة الفلسطينية كانت أهم العوامل الرئيسية فى التطور السياسى الداخلى فى المنطقة عندما كانت ترزح تحت السيطرة البريطانية .

ولعل أول اتصال بدا بين الفلسطينيين واخوانهم فى المنطقة كان ابان الاضراب الكبير فى فلسطين عام ١٩٣٦ م ، وهو اطول اضراب فى التاريخ حيث شكل هذا الاضراب بداية الاهتمام العربى الملحوظ بمصير فلسطين وشعب فلسطين وقد تم أول اتصال سياسى بين الفلسطينيين والاقطار الخليجية فى شهر يونية ١٩٣٦ م ، عن طريق المكاتبات المباشرة من الهيئة العربية العليا التى لم يمض على تشكيلها اكثر من شهرين حين تلقى بعض حكام المنطقة رسائل بطلب العون المادى لمواجهة الخطر الصهيونى فى فلسطين وبالطبع كان التجاوب سلبياً بسبب سياسة بريطانيا ، غير أن الوطنيين من ابناء البلاد كانوا يشكلون الجمعيات الخاصة لجمع التبرعات التى لم تتجاوز العشرات من الدراهم .. لكنها كانت تقلق الانجليز وتشغل بالهم لانهم كانوا يعتقدون بانها ستخلق تيارا وطنيا ضدهم فى المنطقة ، وستعمل على تشكيل الحركات المطالبة بالاستقلال عن بريطانيا أو التى ستنتقد السياسة البريطانية فى فلسطين .



قطـر والقضية الفلسطينية

وللحقيقة ايضا يمكننا الاشارة الى دور قطر فى تلك المرحلة .. فى بدايات الايرادات النفطية التى لاتقاس بالوضع الحالى وكان للمرحوم الشيخ عبد الله آل ثاني موقف لا تنساه صفحات التاريخ عندما قام برهن منزله عام ١٩٣٤ م ، ليساهم بمبلغ ١٧ الف روبية لصندوق فلسطين ، وتلاه ابنه الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني ليتوج حياته وهو على فراش المرض بدفع ٣٠ الف روبية لصندوق فلسطين وهو مبلغ كبير . إذا ما قيس بايرادات البلاد الضعيفة فى ذلك الحين .

وهذا إن دل على شيء فانما يدل على مواقف التعاطف والتلاحم الوثيقة بين قطر وفلسطين حيث امتدت هذه الروح الوطنية الرائدة بصدقها ووفائها الى بداية اعلان قيام الكيان الفلسطيني وتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية فى اواخر عام ١٩٦٤ م ، بعد المؤتمر الفلسطيني الأول الذى عقد فى القدس عاصمة فلسطين وسيظل شعبنا الفلسطيني بلا شك على مدى اجياله يحمل فى قلبه الوفاء العميق لهذا البلد العربى الشقيق حكومة وشعبا وارضا عندما رفرف العلم الفلسطيني لاول مرة على مقر مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بشارع الخليج فى ١٩٦٥/٢/١ م ، وهو تاريخ افتتاح أول مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى دول المنطقة ويجب ان نسجل هذا الموقف الوطنى لدولة قطر اذ كانت فى ذلك التاريخ لا تزال ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تمنع على المسؤولين القيام باى عمل سياسى يتعارض ونصوص المعاهدةولقد حاول المعتمد البريطانى عرقلة افتتاح المكتب وعدم السماح للبعثة الفلسطينية بدخول البلاد . لكن الانتماء العروبى والموقف المبدئى الذى اتخذته قطر من القضية الفلسطينية افشل محاولات المعتمد البريطانى اليائسة فى هذا المجال .

مواقف مشرفة

ولقد شملت الاسهامات القطرية جوانب عديدة من الدعم والتاييد غير المحدود للثورة الفلسطينية يتصدرها جميعا الموقف المشرف لسمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد الثاني وولى عهده الامين سمو الشيخ حمد بن خليفه الثانى بارساء قواعد التعامل والمواقف المبدئية من الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني سياسية ومادية وثقافيا .

فعلى الصعيد الرسمى والسياسى تتبنى دولة قطر فى كل بياناتها الرسمية سواء ما يصدر منها فى المناسبات الوطنية الرسمية او ضمن البيانات المشتركة مع الدول الأخرى او الاجتماعات والمؤتمرات الدولية موقفا مؤيدا بلا تحفظ للحق الفلسطينى خاصة فيما يتعلق باجتماعات الامم المتحدة ومؤتمرات القمة العربية والاسلامية وغيرها اذ لا يخلو اى مؤتمر من هذه المؤتمرات وجميعها له شان وتاثير على مسار العمل الفلسطينى من تاييد دولة قطر ومؤازرتها للمطالب الفسطينية ودعمها للقرار الفلسطينى واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ما يطرا على مواقف الدول من تغير تحكمه المصالح احيانا والمواقف السياسية الواقعية تحت التاثير الدولى احيانا اخرى ، فاننا وخلال سنوات وجودنا كممثلين للثورة الفلسطينية فى هذا البلد الشقيق لمدة تزيد على السنوات العشر لمسنا كل تفهم صادق وواع لطبيعة العلاقة التى تربط قطر بفلسطين بعيداً عن روح المجاملات والمزايدات والمهاترات مما خلق جوا من الاخاء الحقيقى بين سمو الأمير المفدى وولى عهده الأمين والمسؤولين وبين اخوانهم فى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وبين الشعبين القطرى والفلسطينى ووثق بينهما بروابط وثيقة تجعل من هذا البلد بشعبه الوفي رافداً قويا للنضال الفلسطيني .

وعلى الصعيد الاعلامى فقد كان لدولة قطر الشقيقة مبادرة كريمة تفضل بها سمو الأمير المفدى بأن تتحمل دولة قطر نفقات الاعلام الخارجي للثورة الفلسطينية على الساحة العالمية ولقد لعب هذا الجانب من النشاط الاعلامى الخارجي دوراً كبيراً فى ابراز حقائق كانت غير متوفرة عن القضية الفلسطينية لدى المواطن الاجنبى الذى لم تكن تصله فى السابق الا الاباطيل الصهيونية والدعايات الصهيونية المضللة والكاذبة والتى طمست الحقيقة عن طبيعة المشكلة الفلسطينية .

وفى الأجهزة الاعلامية الرسمية للدولة وكذلك غير الرسمية فان الموقف القطرى يتميز بالتاييد والمناصرة للقضية الفلسطينية من خلال المعالجة الواعية والمسؤولة فى نقل الاخبار أو تحليل المواقف .

وعلى الصعيد المالى فان دولة قطر وبناء على توجيهات سمو الأمير المفدى قد اوفت بجميع التزاماتها المالية المقررة بناء على قرارات القمة العربية وليس سرا اذا ما اعلنا ان التقارير المالية السنوية للصندوق القومى الفلسطيني تشير إلى ان دولة قطر فى مقدمة الدول التى تسدد الالتزامات المالية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية اضافة الى ما تساهم به الدولة من تبرعات طارئة فى كل الازمات التى تواجهها الثورة الفلسطينية .

وعلى الصعيد الثقافى فان لدولة قطر مواقف مشرفة تجاه ابناء الشعب الفلسطيني اذ تخصص الدولة منحاً دراسية فى جامعة قطر تبلغ ٥٠ منحة سنوياً وعشرين منحة فى مركز التدريب والتطوير المهنى وعشرين منحة فى المدارس الثانوية والاعدادية والصناعية والمعاهد الدينية والتجارية للطلاب الفلسطينيين . كما ان وزارة التربية والتعليم تتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية تعاملها مع الدول العربية الاخرى اذ تخصص بعثة تدريسية للعمل فى وزارة التربية والتعليم حسب ما تقرره احتياجات الوزارة فى كل عام . وهذا العمل اذا ما قيس بما تقدمه بعض الدول العربية الاخرى لمنظمة التحرير الفلسطينية يعتبر متقدماً بصورة ملحوظة ويساهم بدوره فى حل الكثير من المشاكل وتخفيف العديد من المسؤوليات التى تواجه المسؤولين فى منظمة التحرير الفلسطينية لا سيما فى مجال التعليم الجامعى بالقياس الى اعداد الطلاب الفلسطينيين الذين يتخرجون كل عام من المدارس الثانوية . الى جانب مساهمة مالية لدعم جامعات الوطن المحتل تقوم الدولة بتامينها عن طريق جامعة قطر .

الوقفة الصادقة

وهناك جوانب اخرى تتصل بعلاقة قطر بالقضية الفلسطينية وهى الضيافة الكريمة لابناء الجالية الفلسطينية الذين يعملون فى هذه البلاد الطيبة منذ سنوات تمتد الى الثلاثين عاماً حينما بدأت اعداد من الفلسطينيين تدخل البلاد بحثا عن لقمة العيش الشريف وامتد بها المقام هذه السنوات فى كنف الدولة التى تعاملهم معاملة كريمة وتسهل لهم امور الحياة التى ينشدونها حيث ساهموا مساهمة فعالة بالنهوض بالبلاد فى مجالات تقدمها المختلفة من زراعية وعمرانية وتعليمية وصناعية ولا زالت الاجراءات الرسمية تجاه الفلسطينيين فى نواحى الاقامة والعمل تعتبر من افضل النظم والاجراءات .. ولا شك أن مثل هذه الروابط انما رسختها ورعتها وعملت على تنميتها وتعميقها السياسة العامة للدولة فى ظل قيادة سمو الامير المفدى الرشيدة وسمو ولى عهده الامين فى ان تظل قطر حكومة وشعباً فى طليعة الدول والشعوب التى تؤيد الفلسطينيين وتدعم نضالهم بكل الوسائل والامكانات مما حدا بالفلسطينيين العاملين فى قطر ان يكونوا فى مستوى كرم الوفادة مقدرين المسؤولية الملقاة عليهم بوعى ومبدئية بعيدة عن روح النفعية او نكران الجميل .

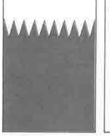
وهناك كلمة اخيرة اود ان اقولها بان فلسطين وان كانت قضية فلسطينية بالدرجة الأولى فهى ايضاً قضية عربية وهى قضية مركزية تحتاج من العرب وقفة صادقة .. وقفة رجولة وشرف وقفة تعيد الكرامة لهذه الأمة .. وتحيي فيها روح البطولات والأمجاد عندما كانت لا تبيت على الضيم ولا تقبل الظلم ولا ترضى بالخنوع والاستسلام .. لقد طال عمر الهزائم واشتدت بنا النوازل .. ولن يمحو الكرب غير الحرب .. اما ان للفارس العربى ان يعتلى صهوة جواده .. وللسيف ان يستل من الغمد .. اما آن ان تصحو فينا روح خالد بن الوليد وتتردد فى اسماعنا صيحات القعقاع .. الله اكبر حى على الجهاد .

ولا يسعنى فى هذه المناسبة العزيزة على نفوسنا وهى ذكرى استقلال قطر الشقيقة الا ان ارفع باسمى واخوانى الفلسطينيين لهذا البلد العزيز اميراً وحكومة وشعباً صادق التهانى والدعوات بان يتحقق لهذا البلد كل رفعة وتقدم وازدهار نشاركهم فرحة العزة والكرامة ليشاركونا بعون الله افراح النصر والعودة .

يس الشريف
ممثل منظمة التحرير الفلسطينية
فى قطـــــر



ابناء الشعب الفلسطيني .. كلهم اصرار على تحقيق النصر والعودة .



صانع شباك الصيد

لوحات فنيّة
من وحي الإنسان والتراث

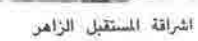
حول الناس والعادات والطبيعة ومكامن الجمال على الأرض القطرية .. حاول الفنان جمال قطب ان يسجل بريشته ملامح الأصالة وبصمات التراث بكل عراقته الضاربة فى اعماق التاريخ ..

وهو هنا يقدم لنا بعض اعماله التى تسجل اشراقة المستقبل الزاهر ومنابع التراث وقصة البترول في قطر بما تمثله من ملحمة رائعة على درب الكفاح والعطاء ..

وهذه بعض اللوحات التى رسمها جمال قطب خلال اقامته فى قطر ، حيث يشرف على المرسم الحر فى ادارة الثقافة والفنون منذ عام ١٩٧٩ حتى الآن .

قصة البترول وملحمة على درب الكفاح والعطاء

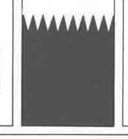


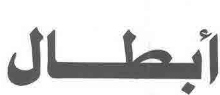


اشراقة المستقبل الزاهر



أيام زمان





شمس الاستقلال تشرق على قطر

قاسم بن محمد بن ثاني

قبل أن يتعرض الوطن العربي للغزو الأوربي المعاصر ، لم تك هنالك فيما بين المحيط والخليج ، حدود سياسية تقتضي جوازات سفر او تاشيرات دخول او سمات اقامة او تصنيف جنسية ، فاستطاع المعاضيد من بني تميم ان يرتحلوا بكل حرية من مشارف واحة (جبرين) فى نجد ، الى شبه جزيرة قطر ، فى تاريخ لا نستطيع تحديده مؤكداً ، رغم ما ذكره (مورهيد) من انه كان فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى . وكان من ابرز هؤلاء المعاضيد ، الشيخ ثاني بن محمد ، الذى وجد فى المشارف الشمالية لشبه الجزيرة منتجعا طيباً ، حيث تقع مظان (اللؤلؤ) الذى كان فى تلك الايام عصب الاقتصاد بالساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب كله ، وكان الهيكل الذى يحكم المعاملات بين الافراد والقبائل والجماعات ، ويوجه تطلعات الدولتين الكبيرتين حينذاك ، دولة الخلافة العثمانية ، وبريطانيا (العظمى) وكل العلاقات العسكرية والسياسية بالمنطقة وهنالك ، فى قرية فويرط ، على ارجح الروايات ، ولد لثاني ابنه محمد ، الذى عاش مع ابيه فترة من الزمان كانت تحتاج الى الحكمة وبعد النظر والقدرة على تالف القلوب . وكان للشيخ ثاني من الصفات ، التى تؤهل الفرد العربي فى ذلك الوقت لاستلام صولجان القيادة ، ماجعل الناس ، فى قطر ، يجمعون بمحض اختيارهم على توليته امر المشيخة والامارة ، فسار بالقافلة وسط الأشواك والالغام مسيرة الرشد والتعقل والحكمة ، حتى سلم القيادة الى ابنه قاسم ، هذا الذى نحن بصدده ، عام ١٨٧٩م ... وتابع الشيخ قاسم المسيرة ، واستطاع فى فترة قصيرة ان يكون البطل الذى اسس الاصول الاولى التى



المغفور له
الشيخ عبد الله بن جاسم ال ثاني

قامت عليها دولة قطر ، بحدودها المعروفة وخاض فى سبيل ذلك معارك دبلوماسية وحربية ، ليس هنا مجالها ، واستمر فى حكمها حتى لقى ربه عام ١٩١٣م

والجانب الذى نتناوله من الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني ، من بين صفات بطولية كثيرة له ، هو انه كان اديبا شاعراً . وفى شعره تتبين لنا كثير من تلك الصفات التى اهلته للقيادة . كان الشيخ قاسم يتخذ من الاشراف على تجارة اللؤلؤ ، وسيلة لاقامة (بيت المال) للدولة للصرف منه على المرافق العامة ، واشاعة العدل والانصاف ، ومد يد المعونة لافراد الشعب واقالة عثار الكرام والمكلومين ، وكان (عمرياً) فى سلوكه كرجل دولة ، إذ كان شديد الخشية لله إذ يقول فى إحدى قصائده :

فويل لقاضي الأرض من قاضي السما
لا عاد ميزانه عن الحق مايل

وكان شديد الانتصار لكرامته بالحق ، لا يقر اعطاء الدنية من امره ولا يخون عهداً ولا ميثاقا ، وكان شديد الحرص على ابراز صفات الوفاء العربي ، ولا يتورع عن بذل ماله فى سبيل ذلك ، ولعل من اشهر قصصه فى ذلك انه بذل الفا من الابل وتسعين من عتاق الخيل ليشفع فى فك إسار امير عربي اعتقله الانجليز فى عدن !! وكان من اشد العاملين على انهاء الروح الجاهلية بالغزو والنهب والتى سادت ردحاً من الزمن فى ارجاء المشرق العربي مؤكداً ان ذلك ليس من تعاليم الاسلام ولا من صفات العرب المسلمين إذ يقول :

فلا عالم انكر ولا حاكم فكر
يعدون شعار المشركين صواب
يوالونهم بالحب رغبة ورهبة
على شان طرد إخوانهم لقراب
كذا بدأ الاسلام فى حالة غريبة
ويرجع غريب وحنا به اغراب
وخرجت من بين السلاطين كانني
حر تعلق فوق روس أهضاب
لك الحمد يا من بتقواه عزنا
وجعل لنا الدين القويم حجاب

ومن شعاراته التى كان يوصى بها من بعده قوله :

تمسك بتقوى الله واخلص له العمل
بعلم على حق صواب وصايب
ترى من اطاع الله طاعت له الملا
وذلت له أرقاب الملوك الصعايب
فانا اقول ذا وارجو من الله عفوه
والاقوال فيها مخطيات وصايب

ولا شك ان فلسفة الشيخ قاسم بن

من قطر



المغفور له الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني (عام ١٩٤٦)

محمد المبنية على حبه لعقيدته كمسلم متمسك شديد الولع بفضائل الخلق الاسلامي ، كان لها أثر كبير فى مسلك ابنه الذى خلفه فى الامارة .

عبد الله بن قاسم

تولى امارة قطر بعد موت ابيه الشيخ قاسم بن محمد ١٩١٣م ، وظل فى الحكم حتى ١٩٤٩م ، حيث اصبحت صحته لا تتحمل الأعباء فاعتزل حتى توفى عام ١٩٥٦م ، بعد أن اطمأن على أن قبوله بعقد اتفاقات مع الشركات للبحث عن البترول فى الأراضي القطرية ، حتى آتت أكلها باذن الله ، وأشرق على البلاد فجر جديد من الرخاء . كان الشيخ عبد الله بن قاسم رجلا شديد المراس ، عادل الحكم ، محبوباً من الناس لتقواه وخشيته لله فى السر والعلن ، وعدم ميله للاسراف والبذخ وطراوة العيش . كان رجلا شديد الذكاء حاد الفراسة وقال من عرفوه وعايشوه انه كان حسن البنية حاد النظر وانه كان حتى آخر أيام حياته يرى النجوم فى رابعة النهار وكان من فراسته انه يقرأ افكار من يكلمه ، ويجيبه على اسئلة لم يطرحها عليه بعد ، مما كان يأسر الباب الناس ويذكرهم بصفات الملوك والحكام العرب الأقدمين والسلاطين والخلفاء الذين اشتهروا فى تاريخ هذه الأمة بالذكاء والفراسة .

وقال معاصروه ان من حكمته انه كان يعبر عن عدم الرضا ، بابتسامة عريضة يقول بها لمحدثه ما معناه انه لا يقبل !! وبلغ من شدة خشيته لله ، انه فى الأحوال التى كان يضطر فيها مرغماً للتحرك للقتال لسبب أو لغيره ، كان يسبغ الوضوء ويصلي ركعتين ويرفع صوته بالدعاء لله أن يجنبه اراقة دماء المسلمين وأن ينهي النزاع بدون قتال ، وأن الله كان يكرمه بالاستجابة .

وكان الشيخ عبد الله بن قاسم رجلا مصلحاً يعرف مسئوليته كحاكم ، فبنى فى مطلع القرن الميلادى الحالي قصراً بهندسة بسيطة متواضعة عربية اسلامية ، وهو البناء الذى يتخذ الآن نواة لمتحف قطر الوطني بالدوحة . وكان من فراسة الشيخ عبد الله بن قاسم وبعد نظره أن اختار لولاية عهده ابنه الذكي الحصيف ، الذى وافته المنية قبل ابيه ، فحزن عليه حزناً شديداً ، ذلكم هو الشيخ :

حمد بن عبد الله

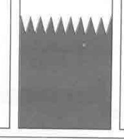
يقول شهود العيان الذين عايشوا الشيخ حمد بن عبد الله ، انه كان آية فى الذكاء والفراسة ، حتى انه كان يميز الابل والغنم بحيث ينسب كل صغير منها الى أمه ، ولو بلغ تعدادها مئات وآلاف .

وكان رحمه الله شديد الأمل في ان يصبح البترول ، الذى بدات بشائره تظهر فى قطر قبيل وفاته بقليل ، وسيلة لرفع مستوى الناس فى قطر فى التعليم والصحة والعمران والعيش ، وأن يعوضهم عن الحرمان الذى عايشه هو بنفسه من جراء الحربين العالميتين حيث عانى الناس فى قطر وغيرها من بلاد الخليج ما لا يوصف من الحرمان والشظف ، ومن جراء كساد تجارة اللؤلؤ بعد أن غزا اليابانيون أسواق المجوهرات باختراعهم العلمي العجيب فى مضمار زراعة اللؤلؤ وانتاجه صناعياً ، مما أصبح معه العناء الرهيب فى عمليات الغوص بحثاً عن اللؤلؤ فى الخليج لا يأتي من ورائه أى كسب يقيم أود الناس ويسند مطالبهم الحياتية .

وقد لمس الشيخ حمد بن عبد الله بنفسه هذه المعاناة ، فكان يحدث عارفيه عن برامجه للاصلاح والتوسيع على عباد الله ، وتوجيه أموال البترول للبناء والاستثمار وتغيير معالم الحياة نحو الأفضل . ولكن القضاء وافاه قبل أن يتحقق له ذلك . وكان الشيخ حمد بن عبد الله رحمه الله يشتغل بتجارة اللؤلؤ ، واتخذ له قارباً اشتهر باسم « فتح الخير » يحتفظ به اليوم القسم البحري من متحف قطر الوطني ، ويروى عنه انه كان دقيقاً فى الحساب سريع الحصول على نتيجة اية حسبة دون الرجوع الى الورقة والقلم

تلك نبذة عابرة عن بعض أبطال من قطر .

درويش مصطفى الفار





شمس الاستقلال تشرق على قطر

بقلم: محمد عبدالرحمن الخليفي
وكيل وزارة الإعلام



إن العبرة ليست بالكلمات ولكن بمضمونها ، وتاريخ الشعوب والأمم ليس مجموعة من الأرقام والأيام ، ولكنه مجموعة من الأحداث التى تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل ، والثالث من سبتمبر عام ١٩٧١ يوم اعلان استقلال دولة قطر هو من تلك الأحداث التى سجلت انتهاء مرحلة وبداية مرحلة فتحت أمام هذا البلد ابواب انطلاقه الى آفاق مستقبل جديد .. شهد تحقيق أمنيات كانت تراود النفس وتداعب الخيالات كرؤيا بعيدة فى مرآة التاريخ .

وقد حل استقلال دولة قطر مع حلول استقلال بقية دول الخليج الشقيقة بعد اعلان بريطانيا انسحابها من المنطقة الى غير رجعة ، وكانت القوى الاستعمارية تروج للأطروحة القائلة بأن انسحاب بريطانيا من المنطقة سينشأ عنه فراغ سياسي وعسكرى كبير ، وانه لن يكون بمقدور ابناء المنطقة ملء هذا الفراغ والنهوض ببلادهم الى مرتبة الدول والمجتمعات الحديثة ، ولكن هذه الأطروحة سرعان ما سقطت جملة وتفصيلا ، حين بدأت السواعد السمر تشق طريقها لبناء مستقبل افضل ، وحين انصبت جميع المجهودات تلتقى حول شعار بناء الوطن وترسيخ قيم الاستقلال وترجمتها الى حقائق وانجازات ، انسحبت آثارها وطنياً وعربياً ودولياً .. فالى جانب تكثيف الجهود لبناء الوطن فى الداخل توجهت تطلعاتنا الى ترسيخ علاقاتنا باخواننا العرب وبالمجتمع الدولي حيث حقق انضمامنا الى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة مساهمات فعالة وملموسة فى إرساء قواعد متكافئة ومتوازنة بين الدول ، فوقفنا فى جميع الهيئات والمنظمات العربية والدولية مع قضايا التحرر والعدالة والاستقلال السياسي والاقتصادى ..

وفى الداخل تبلورت مسيرة التقدم والبناء ، واخذت سفينة الوطن الحبيب تشق طريقها نحو مستقبل مشرق يلفه شراع العزة والكرامة ..

وكان للاعلام فى هذه المسيرة دور رائد وجولات مشرقة ، حيث استطاعت اجهزة الاعلام فى دولة قطر ان تتفاعل مع انطلاقة الاستقلال والبناء ، وارتفع صوت قطر ، وانتشرت صورتها الى كافة ارجاء الوطن العربي ..

وعبر حقبة السنين العشر الاخيرة ، مرت على امتنا احداث وتطورات جسيمة ، فعشنا الحروب وخضنا المعارك فى سبيل الدفاع عن الاستقلال وسقط منا الشهداء ولازالوا يسقطون فى سبيل تحرير كامل الأرض العربية ..

وقد عملت أجهزة الاعلام الصهيونية ولازالت تعمل على تشويه صورة نضالنا ومسيرة تقدمنا ، وهي تعتمد في ذلك على ما ورثته من رصيد عهود الاستعمار ، وما اضافته على هذا الارث من تزييفات وادعاءات تتماشى مع متطلبات الهجمة الاستعمارية الجديدة على ثروات ومقدرات الدول والشعوب العربية ..

ويقف الاعلام القطرى الى جانب الاعلام العربي للتصدى للحملات المعادية واضعاً جميع امكانياته البشرية والفنية والمادية من أجل بلورة سياسة اعلامية عربية موحدة تتحول من خلالها عملية التصدى الى عملية مواجهة حضارية شاملة تتغلب فيها ارادة الحق على ارادة القوة .

هذه هي المعاني وهذا هو مضمون المشاعر والانطباعات الذى تحمله ذكرى الثالث من سبتمبر ١٩٧١ عبر عشر أعوام واكب فيها الاعلام القطري كل خطوة وكل حدث في مسيرة البناء والتقدم القطرية ، واضفى عليها اضاءات ولمسات جعلتها تعيش وتحيا فى كل بيت راسخ وفى كل قلب نابض على ارضنا الحبيبة .

وقد قام الاعلام القطرى بدوره خلال سنوات الاستقلال على اسس واضحة محددة بفضل توجيه أمير البلاد المفدى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وكان أول هذه الأسس هو العمل على دعم الاعلام بكل الأجهزة العصرية التى انجزها التقدم العالمي ، بحيث لا تكون الأجهزة الاعلامية من الناحية المادية عاجزة او ضعيفة او متخلفة عن ارقى ما وصلت اليـه الحضارة الحديثة . وقد كان هذا الحرص على متابعة التقدم هو (الفرصة) المادية التى وضعها قائد البلاد ، اميرنا المفدى فى يد رجال الاعلام ، ولكن الفرصة المادية وحدها لا تصنع إعلاماً جيداً ، فلابد من الانسان اولا وقبل كل شيء ، وقد أشار أمير البلاد فى خطبه المختلفة إلى أن الاهتمام الأساسى فى بناء النهضة القطرية انما ينصب على الانسان ودوره أساساً ، ومن هنا كان لابد من خلق جيل من رجال الاعلام القطريين .. جيل مسلح بالخبرة والقدرة والكفاءة والفهم الصحيح والاستعداد للقيادة ، وقد تحقق الكثير فى هذا المجال ، ففى خلال سنوات الاستقلال العشر أصبحت كل اجهزة الاعلام تحت قيادة شباب قطرى قادر على التوجيه ، ومدرك كل الادراك لدوره ومسئوليته ورسالته ، فالاذاعة

القطري نهضته ورسالته

والتليفزيون ووكالة الانباء والصحافة اصبحت كلها تعمل بقيادة ابناء قطر الذين تعلموا ودرسوا ، وكانوا ثمرة طيبة مباركة من ثمرات الاستقلال ،

على أن الاعلام القطرى قد ادرك منذ بداية الاستقلال عمق الارتباط بينه وبين سائر اجهزة الاعلام الخليجية ، فقطر هي عضو نشط فى الأسرة الخليجية ولذلك فالاعلام القطري يعمل على التعاون العميق والتبادل الواسع للخبرة على نطاق الخليج كله ، وإذا كان الاعلام القطرى يعمل على خدمة المواطن فى قطر ، فهو يعمل ايضاً على خدمة أشقائهم فى سائر مناطق الخليج وينظر الاعلام القطرى الى دوره فى هذا المجال على انه دور اساسي فالاعلام القطرى ، يعمل على أن يعكس كل الوان النشاط السياسي والثقافي والفني فى الخليج ذلك لأن دعم شخصية الخليج يساهم فى رد كيد الذين يطمعون فى هذه المنطقة الحساسة ، ويحاولون شن حرب إعلامية واسعة علينا وتشويه صورتنا امام الراي العام العالمي .

والاعلام القطري لا ينسى ابداً دوره العربي والاسلامي . ويعمل بقوة على تدعيم القضايا العربية والاسلامية وعلى راس هذه القضايا جميعاً قضية فلسطين التى يتابعها الاعلام فى قطر بالخبر والتحليل والتاييد والمتابعة الدقيقة لكل تطوراتها فى اى ميدان من الميادين سواء كان ذلك على الساحة الدولية او على ساحة الحرب والقتال الدائر بين ابناء الارض المحتلة وبين العدو الصهيوني ، بالاضافة الى ما يحرص عليه الاعلام القطري من تقديم برامج ومسلسلات تكشف تاريخ نضال شعب فلسطين وتلقى الضوء على أبطال القضية الفلسطينية ، لا في هذا الجيل فقط ، ولكن فى الأجيال السابقة ، حتى قبل ان تقوم دولة العدو على ارض العرب .

وقد التزم الاعلام القطرى فى مسيرته منذ الاستقلال بمبدأ آخر هو الموضوعية الدقيقة ، ومن هنا كانت صورة الاعلام القطرى ، هي الصورة الجديدة التى نريدها للاعلام العربي كله فى الداخل والخارج ، فلم يندفع الاعلام القطري ابداً الى الاثارة أو المعارك الجانبية التى يمكن ان تحرف مسيرتنا العربية الى مشاكل لا معنى لها ولا ضرورة ، وكان الاعلام القطرى دائماً داعية وحدة وتوفيق وتوثيق للعروة بين العرب جميعاً .

لقد واكب الاعلام القطرى السنوات الغالية من حياتنا ، التى تميزت بالتعمير والانشاء والتطور الانسانى فى شتى الميادين . وابرز طوال السنوات الماضية منجزات الدولة وعملها المستمر لتحقيق الاستقرار الاقتصادى والاجتماعي وتوجيه كافة الطاقات المادية والبشرية لتحقيق القوة الذاتية للبـــلاد .

وشرح كل أهداف الخطة الطموحة المرتكزة على تنويع مصادر الدخل وتنمية الامكانات الصناعية واستحداث القوانين المشجعة على الاستثمار وبناء الانسان القطري ليصبح دعامة لكل تطور ونمو .

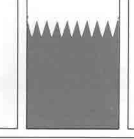
فقد وضع الاعلام القطرى كل اجهزته فى خدمة الأهداف الكبرى للبلاد وفى مقدمتها ما تحقق من انجازات لاعداد الكفاءات البشرية المختلفة التى يقع عليها عبء النهوض بالمجتمع القطرى اقتصادياً واجتماعياً وفكرياً ، وما رأيناه من توظيف للثروات الطبيعية بما يحقق احلامنا فى التطور والارتقاء ، وهذا بخلاف مسيرة التصنيع واقامة القاعدة الاقتصادية الصلبة فى البلاد وزيادة الرقعة الزراعية ، وتنشيط الحركة التجارية برسم الخطط والبرامج واعداد المشروعات الكفيلة بدعم الاقتصاد الوطنى وتوفير كافة الخدمات بداية من الرعاية الطبية الى المسكن الصحى ..كل ذلك وغيره من انجازات سواء فى مجال الانتاج أو الخدمات كان للاعلام القطرى دوره الايجابى فى ابراز وايضاح الخطوات الحضارية التى تقوم بها الدولة على طريق الاستقلال حتى تلحق بركب التقدم العالمى ابتغاء توفير ما ننشده جميعاً لمجتمعنا من رفاهية ورخاء ..

وهكذا نرى أن الاعلام القطرى منذ استقلال البلاد فى ٣ سبتمبر ١٩٧١ ، يتابع المسيرة التاريخية ، ويبرز منجزاتها الحضارية ، مرتكزاً على القيم والمبادىء الاسلامية ، ومدعماً بكل ما نملك من تقاليد وتراث ، شارحاً على الساحة الدولية خطواتنا الحضارية وانجازات وطموحات الانسان العربى فى الخليج ودوره البناء فى صنع حضارة انسانية عظيمة .. ومشاركاً فى معظم الاتحادات والاجتماعات والمؤتمرات الاعلامية .. وساعيا الى تحقيق التنسيق الاعلامى بين كل الدول العربية بعقد الاتفاقيات الاعلامية التى تعمل على توحيد الرافد الثقافى فى كل أنحاء العالم العربى وتوطيد أواصر الصلة الفكرية فى وطننا الكبير ..

كما أن الاعلام القطرى لم ينس منذ الاستقلال حتى الآن دوراً ايجابياً وأساسياً آخر هو خلق جيل من المثقفين والفنانين يستطيعون التعبير عن شخصية بلادهم وما لها من جذور عربية واسلامية عميقة .

على أن نظرة الاعلام القطرى الى المستقبل لا تتوقف عند الحدود التى حققها حتى الآن ، فان هناك تطلعاً دائماً الى التقدم والنهوض وعملا مستمراً من اجل التطور الاعلامى فى قطر ، من حيث التقدم العلمى ، وتوسيع دائرة التأثير ، وخلق اجيال جديدة واعية من الفنيين والخبراء ، والوصول الى أرقى وأحدث الأساليب الاعلامية الناجحة ، كل ذلك فى ظل التوجيه والرعاية من قائد نهضتنا ومؤسسها ومعلن استقلالنا سمو أمير بلادنا المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

محمد عبد الرحمن الخليفي



من معالم

شمس الاستقلال تشرق على قطر

حين تحلق بك الطائرة فى سماء قطر ، أول ما يشد انتباهك تلك المآذن المشرعة فى السماء باسقات فى تنظيم ، وتنسيق ، وكثرة رائعة ، وناهيك بها فى الليل أعمدة من نور من حبات منضودة تصل الأرض بالسماء وتبدد ظلام الحياة من حولها ، وما ان تقترب من الأرض حتى تجد البحر والصحراء متعانقين فى ألفة يبدد كل منهما من وحشة الآخر ، وحين تدب على أرضها أول ما يخالطك من احساس انك فى مناخ اسلامى تزداد انطباعاته من نفسك مع الغدو والعشى من ممارسة الحياة ، والناس بها ، هدوء فى الطبع ، ويسر فى المعاملة ، من أناة يشوبها الحلم وسماحة في اللقاء تطرد عن النفس كل احساس بالغربة ، أو الوحشة ، ذلك هو الطابع العام لـ(قطر) ذلك البلد الطيب الرابض فى شرق الجزيرة العربية على حواف الخليج يحكى من التاريخ أمجاد حضارات عربية قبل الاسلام ، وفى الاسلام تفتتح فيه صفحات الفتح الاسلامى للمشرق ، وتقرأ فيها قمماً من الأحداث والرجال ، الذين صنعوها ، على توالى الأيام والقرون .

من هنا من هذا الوجه الشرقى للجزيرة العربية ، وفي مطالع الهجرة الى المدينة المنورة ، وقبل فتح مكة وفى يوم مشرق بالنور ، والرسول صلى الله عليه وسلم جالس بين أصحابه يحدثهم التفت قائلا : سيطلع عليكم من هذا الوجه ـ أى من هذه الجهة ـ ركب هم خير أهل المشرق ، وأشار الى هذه الجهة من شرق الجزيرة العربية ، وبعد أن انتهى المجلس قام عمر ، واذا به يلقى ثلاثة عشر راكباً قادمين من شرق حيث أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا طلائع الاسلام من هذه المنطقة من شرق الجزيرة ومن الطرف الغربى لقطر حيث منطقة (هجر) وحيث كانوا وكانت أول منطقة فى العالم بأسره جمعت فيها أول (جمعة) من خارج (المدينة المنورة) وذلك فى مسجد قبيلة (عبد القديس) من ربيعة فى قرية يقال لها : (جواثا) .

وقد يقطع الفيافى والقفار يسعى بنور الايمان الى (المدينة) مبكراً ، وأول جمعة تجمع ـ بعد اقامتها بالمدينة ـ ومسجد من أول ما أسس فى الاسلام بعد مسجد المدينة ينبعث منه صوت الايمان مترامياً عبر الصحراء والبحر حتى يبلغ مداه ما بلغ الليل والنهار ، فى شرق وغرب . تلك كانت البداية ؛

وامتداداً من (جواثا) حيث موطن أول (جمعة) وأول مسجد بعد المدينة فى جهة الغرب من (قطر) وحتى شطآنها على الخليج وعبر أرضها ، وبدوها وحضرها ، تنبث المساجد ، آية من الجمال والبساطة والروعة الخاشعة ، عامرة بأهل الايمان مع كل وقت وأذان ، ناطقة بالطهر ، مشرقة بالنور وتلك سيما مميزة فى (قطر) لا تخطئها عينك فى طريق مشرع ، أو ميدان فسيح ، أو حلة ، أو سوق ، أو دار للعلم ، أو ديوان للعمل تتقاسم أوقات الناس ، وأعمالهم فى دورة تدريبية يومية مع مشرق نور الفجر وحتى ذهاب الشفق عامرة البنيان ، وعامرة الأركان ، واهتمام لقطر ، شعباً وحكومة ، فرداً ، ودولة ، بالمساجد وعمارتها ، مظهراً ومميزاً يبلغ مدى يطبع الحياة فيها بطابع اسلامى أصيل تلمسه وتعيشه أنى تقلبت فى وجوه الحياة ومرافقها ، طابع هو فى الأعم الأغلب يصل الى مدى لا يصله فى كثير من البلاد الاسلامية ، كثرة فى الكم والكيف ، وعمارة بالبنيان والرجال ، مع كل فريضة فى ظاهرة واضحة ملموسة إذ تجد بين كل مجموعة من المساجد الصغيرة ـ مساجد الفريضة ـ مسجداً جامعاً كبيراً ـ هو مسجد الجمعة ؛

وفى الغالب لا يتخلف انسان عن الجماعة ـ راعياً ورعية ـ إلا لعذر فالبلد يغلب عليه مذهب الامام (احمد) وهو ممن يذهب الى (أن صلاة الجماعة فرض عين ، وشرط فى صحة الصلاة) ، ولهذا القول فى المذهب الحنبلى اثره البارز فى حرص الأمة على الصلاة فى المسجد جماعة ؛ وليس اهتمام (قطر) بالمساجد قاصراً عليها داخل حدودها بل امتد هذا الاهتمام الى عمارة كثيرة من المساجد فى البلدان الاسلامية النائية تأسيساً وتعميراً ونشراً ، ومن الجهود فى هذا المضمار ما تم افتتاحه وعمارته من مساجد خلال هذا العام ومن أبرزها المسجد الجامع الكبير وملحقاته من مدارس ودور للخير بضواحى كراتشى وقد بناه أمير البلاد ، وتم افتتاحه مع مطلع رمضان هذا العام (١٤٠١ هـ) وتجرى بناء مؤسسة اسلامية كبرى فى (كراتشى) الآن ؛ وهناك الكثير فى أوربا وأمريكا تمتد اليها المعونات الحكومية والشعبية ، ومن المألوف أن تجد الوفود الاسلامية التى لا ينقطع ترددها وزيارتها لقطر ، والمعونات التى تبذل لها جمعاً من المساجد وغيرها فى صورة كريمة يتسابق اليها المصلون لأدنى بادرة توجه

الجامع الكبير



النهضة الإسلامية في قطر

اليهم-ومن المؤسسات الحكومية حيث ترصد ميزانية لهذا الغرض وغيره من وجوه الخير مثل (لجنة المعونات) المخصصة لأعمال البر والمؤسسات الشعبية التابعة لأفراد أو هيئات ، فى مناخ من التنافس على البر والخير ، فى سماحة وندى .

مركز بحوث السنة والسيرة النبوية

ومع الجهد الجامعى لكلية الشريعة تقوم فى رحاب (جامعة قطر) مؤسسة اسلامية علمية هى (مركز بحوث السنة والسيرة النبوية) الذى انبثق باكورة طيبة عن (المؤتمر العالمى الثالث للسيرة النبوية والسنة المطهرة) ، الذى انعقد فى الدوحة أوائل المحرم سنة ١٤٠٠ هـ طليعة لاحتفالات العالم الاسلامى بمقدم القرن الخامس عشر الهجرى ، وقد جاء هذا المركز مجسداً لاهتمام الأمة الاسلامية بسيرة نبيها الكريم وسنته المطهرة المصدر الثانى بعد كتاب الله للتشريع والهداية والتوجيه للحياة الاسلامية ، وقد كانت (دولة قطر) مناط رجاء المؤتمر وامله فى أن تتبنى هذا المركز المنشود انشاء ، ودعماً ، وعملا ، كما كانت عند حسن الظن بها من سرعة الاستجابة لهذا الرجاء ، وصدر القرار الأخير بانشائه تحقيقاً لآمال المسلمين فى العالم فى تجلية سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته والدفاع عنها ، واخراجهما للناس فى صورة تليق بالاسلام وبرسوله الأمين مستعينا فى ذلك بمعارف السلف وعلوم العصر وامكانيات الأمة المسلمة

كان هذا المركز من ابرز ما اثمره المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية الذى انعقد فى دولة قطر فى مطلع عام ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٧٩ م على مستوى العالم الاسلامى كله اذ ندب له أعلام الفكر والجهاد الاسلامى المعاصر نظراً لأهميته كمفتتح وطليعة لاحتفالات العالم الاسلامى بل والانسانى بمرور أربعة عشر قرنا واستقبال القرن الخامس عشر الهجرى .

كلية الشريعة

من أولى الكليات بالجامعة وقد اسست على أصول اسلامية وتربوية من حيث المنهج والأستاذ والطالب والكتاب بما يكفل لها اداء رسالتها على الوجه الأمثل، لا فى داخل قطر وحدها بل بما يهيىء لها القيام بدورها المنشود فى مصاف الكليات الاسلامية فى العالم على حداثة عهدها وضخامة رسالتها ، ووضوح أهدافها تنمية للوعى الاسلامى والدعوة الى الله تعالى على هدى وبصيرة ، والعمل على إثراء الفكر بثراء الاسلام العظيم فى نواحى العقيدة ، والتشريع ، والاجتماع ، والاقتصاد : ذلك الثراء الخالد الذى اضاء للبشرية طريقها فى ماضيها ، والذى هو املها فى حاضرها ومستقبلها

مؤتمر مكة

ومن المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية كانت خطوات (قطر) الثابتة على طريق العمل الاسلامى المعاصر الى مؤتمر القمة الاسلامى الثالث (بمكة المكرمة) والذى انعقد فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى الجديد واصغى العالم الاسلامى بيقظة وانتباه الى الصوت المنبعث من حول قبلته يجهد ويجاهد فى التعبير عن رؤية واضحة لقضايا الأمة والعصر وما تستلزمه من نظر ومنهج ،عمل ، وقد مثل فيه عن العالم الاسلامى وشعوبه اكثر من ثمان وثلاثين دولة اسلامية يمثلون خمس سكان العالم ويسكنون اهم واخطر بقاع المعمورة وقد كانت (قطر) من أولى الدول هناك ممثلة من وفد كبير على رأسه أمير البلاد المفدى .

وليس فى مؤتمر مكة فحسب ، فلها دورها الأصيل فى المؤتمر الاسلامى ومنظماته كما أن لها نشاطها الفعال ومشاركتها المثمرة فى رابطة العالم الاسلامى واجهزتها ومؤتمراتها الدائبة شتى ارجاء العالم الاسلامى ولدولة (قص) اسهامها الفكرى والمادى من كل انشطة المراكز والمؤسسات والهيئات الاسلامية الحكومية منها والشعبية فى امريكا وأوروبا وآسيا وافريقيا .

بل وتجد فى كل بقعة بها مسلمون اثراً بارزاً لدولة (قطر) من الدعم والعون المادى والثقافى لانشاء مراكز اسلامية ومساجد ومدارس ومنح دراسية ومكتبات عامرة بامهات الكتب الاسلامية

ويأتي شهر رمضان تتويجا لهذا النشاط العام إذ يبدو فيه الطابع الاسلامي ابرز ما يكون

وتقوم دولة قطر باستيفاد وايفاد عشرات العلماء والقراء اليها ومنها ، الى كثير من البلدان والاقليات الاسلامية الناشئة فى افريقيا وآسيا

ولهذا النشاط كله اثره الطيب فى تنمية الوعى والسلوك الاسلامى وتدعيم روابط الأخوة والوحدة الاسلامية ، فضلا عن النشاط المستمر فى القيام على شئون القرآن الكريم من حلقات للتحفيظ ومسابقات عامة فى الحفظ ورصد الجوائز السخية للحافظين والحافظات وطبع المصاحف والتسجيلات الصوتية وتوزيعها فى انحاء العالم الاسلامى وان تعجب لشىء وانت تتابع هذه المسابقات وما فيها من جمال الطفولة ورونق الفتوة والشباب

انها معالم اصيلة على طريق النهضة الاسلامية المعاصرة انسانا ، ومكانا ، واحداثا وحياة .

وصدق الله العظيم (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) .

د. حسن عيسى عبد الظاهر

عائدات النفط في خدمة النمو الاقتصادي

مع بداية كل عام هجرى يصدر مرسوم اميرى بالموافقة على الموازنة العامة للدولة .. وفى بداية هذا العام (١٤٠١) اصدر سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول بياناً شرح فيه ما تترجمه موازنة العام الجديد من معان توضح اتجاه الدولة نحو التنمية الشاملة بحيث تغطى كافة النشاطات الاقتصادية والاجتماعية بطريقة منسقة لا تعارض بينها .. والعمل على الرخاء بتحقيق الاستقرار الاقتصادى والاجتماعي من خلال تنفيذ السياسة المالية للدولة بالاسلوب العلمي المبنى على المؤشرات الاقتصادية والمالية التى تتفق مع الواقع .. وهذا بالاضافة الى توجيه الطاقات المادية والبشرية لتحقيق اكبر قدر ممكن من القوة الذاتية للدولة ..

والواضح ان موازنة العام الجديد عبرت عن الرغبة فى تحقيق هذه الأهداف ، حيث تبرز اهمية نفقات المشروعات على وجه الخصوص ، نظراً لتاثيرها وارتباطها بمستوى النمو الاقتصادى والاجتماعي الذى تهدف اليه الدولة ، لذلك فقد كان لميزانية المشروعات الرئيسية العامة النصيب الاوفر من اجمالي اعتمادات الميزانية للعام المالي الجديد ، حيث خصص لها مبلغ ٥,٩١٧ مليون ريال قطرى بزيادة قدرها ٩٨٩ مليون ريال عن العام السابق ، اي بنسبة زيادة قدرها ٢٠ فى المائة ، يضاف الى ذلك ما خصص لتمويل احتياجات المشروعات الصناعية ومشروعات تطوير وتنمية الثروة البترولية فى البلاد ، وكذلك قروض البناء للموظفين والتى بلغت في مجموعها ٣٠٣٨ مليون ريال ، وبذلك تصل جملة الاعتمادات المخصصة لعام ١٤٠١هـ الى ٨٩٥٥ مليون ريال قطري مقابل ٧٣٦٤ مليون ريال للعام السابق ١٤٠٠هـ .

وقد دلت الملامح الرئيسية لهذه الموازنة على استمرار الخط الذى انتهجته الدولة منذ أن تولى صاحب السمو امير البلاد المفدى مقاليد الحكم متجهاً بمسيرة البلاد نحو التقدم والرفعة والرفاهية لكل المواطنين ..

ومن أرقام هذه الموازنة يتضح اهتمام دولة قطر بالثروات الطبيعية وتوظيفها بالصورة المثلى حيث بدأت مرحلة التصنيع كاهم دعامة لتنويع مصادر الدخل ، واخذت الدولة تستخدم عائدات النفط وثروة الغاز الطبيعي فى بناء الصناعات الثقيلة والخفيفة وفق برنامج علمي شامل ومدروس ..

ومنذ بدايات اكتشاف النفط والبدء فى انتاجه عام ١٩٤٩م وهو يحظى باهمية خاصة ، إلى ان اصدر سمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني قراراً تاريخياً يقضي بالسيطرة الوطنية الكاملة على الثروتين الطبيعيتين فى البلاد وهما : البترول والغاز .

وعقب تحقيق السيطرة الكاملة على الثروات الطبيعية بدأت عمليات تطوير وتوسيع الصناعات القائمة على البترول والغاز .. واصبحت السياسة النفطية فى قطر فى السنوات الأخيرة تستهدف الحفاظ على معدل الانتاج الذى بلغ عام ١٩٨٠م حوالي ١٧٣ مليون برميل سنوياً من الزيت الخام من الحقول البرية والبحرية ، بمعدل انتاج يومي مقداره حوالي نصف مليون برميل لا يدخل فى نطاقها انتاج الغاز ..

حماية الحقوق المشروعة

وتقوم سياسة دولة قطر فى مجالات النفط بدور بارز فى مجالات الصناعات البترولية داخل منظمة الدول المصدره للبترول (اوبيك) إيماناً منها بضرورة توفير حياة أفضل لشعوب الدول المصدرة للنفط وشعوب الدول النامية ، ومن اجل العمل على الاستقرار



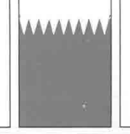
سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول

الاقتصادى العالمي عن طريق الاستقرار فى امدادات الطاقة باسعار معقولة ..

وتعمل الدولة على زيادة قوة هذه المنظمة وتعزيز قدراتها فى التفاوض على المستوى الدولي دفاعاً عن الحقوق المشروعة لشعوبها وشعوب الدول النامية وشعوب المجتمع الدولي كافة .. وترى فى قرارات المنظمة ترشيداً للسوق وللقضاء على السوق الفورية التى كانت مدخلاً للشركات الاحتكارية التى تجنى الأرباح الطائلة ، وتدعيماً لاقتصاد الدول النامية ومساعدتها فى التغلب على مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية .

وفى هذا العام اقيمت فى الدوحة الندوة الفنية الخامسة لصناعة البترول من أجل تبادل المعلومات والخبرات فى المجالات الفنية وبحث مجموعة من الابحاث المتعلقة بهذه الصناعة الحيوية وقد شاركت فى هذه الندوة لاول مرة اربع دول خليجية هي المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة والبحرين والكويت ، بالاضافة الى منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابيك) والاعضاء المشاركين من العاملين فى الشركات التى لها علاقة بصناعة البترول فى قطر ..

ومن كل ذلك وغيره نرى أن عصر البترول الذى يفرض نفسه على الحياة فى الوقت الحاضر يندفع بكل طاقته ليجعل من الانتاج الصناعي هدفاً جديداً للبلاد ، ومن اجل أن يساهم بدوره فى رفاهية شعبه ورفاهية كافة شعوب العالم .



توجيه الطاقات المادية والبشرية نحو الصناعة والزراعة



الصناعات التي تحقق أهدافها في دعم الاقتصاد القطري

بقلم: المهندس أحمد عبد الرحمن المانع
وكيل وزارة الصناعة والزراعة

نظراً لكون الاقتصاد القطري يعتمد اعتماداً أساسياً على النفط وعائداته، فان الدولة بقيادة باني نهضتها ومحقق استقلالها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين على إلمام كامل بهذه الحقيقة، فكان لابد أن نخرج من نطاق الاعتماد اعتماداً كلياً على مصدر واحد للدخل الوطني، ولذلك تبنت الدولة ومنذ فجر الاستقلال سياسة التنمية الشاملة حتى تحقق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي المنشود وحتى توجه الطاقات المادية والبشرية لبناء قوتها الذاتية ..

واعتمدت الدول في بناء اقتصادها على خطة طموحة ترتكز على تنويع مصادر الدخل وتنمية الامكانات الصناعية وبناء الانسان القطرى الذى هو دعامة كل تطور ..

تشجيع الاستثمار

وقد قامت الدولة بوضع الحوافز المناسبة لتشجيع الاستثمار فى مجالات الصناعة، ومن هذه الحوافز على سبيل المثال :

- منح الأراضي اللازمة للمشروعات الصناعية بايجارات رمزية ..
- انشاء الطرق اللازمة الى الموقع الصناعي المختار لربطه بشبكة الطرق الرئيسية فى البلاد ..
- اعفاء عائدات المشروع الصناعي من ضريبة الدخل لمدد مناسبة إذا استلزم المشروع ذلك ..
- اعفاء جميع المعدات المستوردة والمصدرة من الرسوم الجمركية ..
- توفير الغاز والكهرباء والماء للمشروعات الصناعية باسعار التكلفة الفعلية ..
- منح القروض الصناعية بفوائد لا تزيد عن ثلاثة فى المائة .
- اعطاء الضمانات اللازمة للقروض الأجنبية اللازمة للمشروعات الصناعية الكبرى ..
- توفير خدمات الشحن والتفريغ وذلك باقامة الموانىء التى تسمح باستقبال

الناقلات الكبيرة ..

● الاسهام في حل مشاكل الاسكان للعاملين في المشروعات الصناعية ..

● الاهتمام بتنمية المواهب والخبرات البشرية القطرية وذلك عن طريق تخطيط التعليم على مختلف مستوياته الفنية والادارية بما يخدم احتياجات الصناعة

بناء القاعدة الصناعية

ومن هذا المنطلق شهدت البلاد خلال السنوات العشر الماضية نهضة صناعية تمثلت في إقامة العديد من الصناعات الأساسية التي تحقق أهدافها في دعم الاقتصاد وتنويع مصادر الدخل الوطني في البلاد .. فاقيم مصنع الحديد والصلب في منطقة أم سعيد الصناعية وهو أول مصنع متكامل من الناحية التكنولوجية في منطقة الخليج والشرق الأوسط ويقارب الانتاج السنوى اليوم ٤٠٠ الف طن من قضبان التسليح .. واقيم مصنع الأسمدة الكيماوية الذى وصل انتاجه عام ١٩٨٠ من الأمونيا ٥٠٧ آلاف و ٩٠٦ اطنان ووصل انتاجه من اليوريا الى ٦٢٧ الفاً و ٦٣٠ طناً .. واقيم مصنع الأسمنت حيث بدأت هذه الصناعة بتشغيل فرن واحد لانتاج الأسمنت وتطورت بعد ذلك الى ثلاثة افران ، الأسمنت العادي والمقاوم للأملاح تلبية لاحتياجات النهضة القطرية ، وتبلغ الطاقة الانتاجية حوالي الف طن يومي ، وتجرى الدراسات لزيادة الطاقة لكي تصل لثلاثة الاف طن بحيث يكون هناك فائض للتصدير .. وقد اقيم بجوار مصانع الأسمنت ، مصنع لانتاج الجير الحي بطاقة مائة الف طن سنوياً تلبية لاحتياجات صناعة الحديد والصلب التى هي علامة من علامات التنمية الصناعية في بلدنا الحبيب ..

وفي فبراير الماضي افتتح سمو امير البلاد المفدى مشروع مجمع البتروكيماويات الذى تبلغ طاقته التصميمية ٢٨٠ الف طن سنوياً من مادة الأثيلين و ١٤٠ الف طن سنوياً من مادة البولي إتيلين منخفض الكثافة و ٤٦ الف طن سنوياً من مادة الكبريت و ٥ آلاف طن سنوياً من مادة البروبلين ..

وفي نفس اليوم الذى افتتح فيه مجمع البتروكيماويات ، افتتح سمو امير البلاد المفدى مشروع سوائل الغاز الطبيعي الذى يقدر انتاجه اليومي باكثر من ١٢٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز غير المصاحب ، إضافة الى الغاز المصاحب للزيت الخام والذى يقدر بالف قدم مكعب لكل برميل منتج ..

والى جوار ذلك توجد صناعة استخراج النفط وتكريره ، وفي عام ١٩٨٣ يبدأ تشغيل مصفاة تكرير البترول الثالثة ليغطي الانتاج عقب ذلك كل زيادة متوقعة في الاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية حتى عام ١٩٩٥ ..

وهذا ـ بالطبع ـ بخلاف قيام عدة صناعات خفيفة ومتوسطة في البلاد ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر صناعة البلاستيك وصناعة البيوت مسبقة الصنع وصناعة انتاج الغازات الصناعية .. وهناك صناعات اخرى في مجال تنمية الصناعات الخفيفة والمتوسطة جاري دراستها وتقييمها ..



ثمرة الأرض الطيبة

أما في مجال تشجيع التوسع الزراعي فقد قامت الدولة بوضع الحوافز المناسبة التى ادت الى تطور الزراعة في السنوات العشر الماضية وتضاعف المساحات المزروعة عدة مرات ، واذكر من هذه الحوافز على سبيل المثال :

● إنشاء مزرعة التجارب الحكومية لاجراء التجارب على أنواع البذور والأشتال التى تتناسب مع البيئة والمناخ

● اجراء البحوث والدراسات على المياه والتربة لمعرفة مدى صلاحيتها للزراعة .

● تقديم الات ضخ المياه للمزارعين ورش المبيدات الحشرية والفطرية مجاناً

● تقديم مستلزمات الانتاج من بذور واشتال وأسمدة ومبيدات للمزارعين بالمجان ..

● تقديم الخدمات الآلية من حراثة وتسوية للمزارع بالمجان .

● تقديم الهبات المالية للمزارعين لتعويضهم عما يحدث لهم من ضرر نتيجة الأمطار الغزيرة أو الرياح الساخنة الشديدة ..

● تقديم الخدمات الارشادية للمزارعين بدون مقابل .

احلام التطور

وقد ادت الدراسات الشاملة لتنمية الثروة الحيوانية وزيادة انتاجها الى تنفيذ مشروع تربية الأغنام في أبو سمرا بهدف توزيع الاغنام على المربين باسعار تشجيعية لتنمية الثروات الحيوانية في البلاد .. كما اقامت الدولة المستشفيات والعيادات البيطرية لخدمة الثروة الحيوانية والحفاظ عليها .. واقامت مشروع انتاج الدواجن والبيض .. وعملت على تنمية الانتاج السمكي الذى أصبح ـ حسب احصائيات عام ١٩٧٩ ـ تمثل ٩٢,١ في المائة من الاحتياجات القطرية ..

ومن ذلك نرى أن اهتمام الدولة بالصناعة والزراعة يعطي حصانة وقوة لها ويحقق كل احلامها في التطور والارتقاء .

أحمد عبد الرحمن المانع



اية مقارنة للهيكل التنظيمي لادارة شئون الموظفين في وضعه الحالي مع ما كان عليه عند فجر الاستقلال ، تجعلنا نرى بوضوح مظاهر التطور في العنصر البشرى ، حيث كان سلم الوظائف الهامة يخلو تماماً من القطريين ، وكانت كافة المناصب لا يمثل العنصر القطري فيها إلا نسبة محدودة وفي الوظائف الدنيا فقط .

وقد اخذ هذا الوضع يتغير بالتدريج مع تطور اعداد القطريين المؤهلين علمياً والمدربين عملياً على شغل الوظائف ، الى أن أصبحت الادارة الآن وبعد مرور عشر سنوات على استقلال البلاد ، يشغل فيها القطريون جميع المناصب الادارية الرئيسية ..

والواقع أن مسئولية ادارة شئون الموظفين عن تقطير الوظائف لا تقتصر فقط على نطاقها الخاص ، بل يشمل بحكم اختصاصها القانوني سائر الوزارات والادارات والأجهزة الحكومية

وقد كان لمعاونة إخواننا القطريين من مديري الادارات وكبار المسئولين بالجهاز الحكومي ، وتطلعاتهم نحو تحقيق أهدافنا القومية السامية ، أثر طيب في تطبيق سياسة التقطير في القطاع الحكومي ...

جيل من الشباب المدرب

ولا يقف دور ادارتنا في تقطير الوظائف عند حد المناصب الرئيسية فحسب ، بل تعداه الى ما هو ابعد من ذلك ، إذ تقوم الادارات بالتخطيط لاعداد جيل من الشباب القطري وتاهيله لشغل الوظائف الادارية الوسطى والدنيا ، ليكون التدرج في سلم الجهاز الاداري من القاعدة الى القمة ، مما يكسب الموظف خبرة وحنكة بخلفيات المنصب الاداري الذى يشغله ، وحتى يستطيع خدمة وطنه في مجال تخصصه بالأسلوب الأمثل الذى يحقق أقصى طاقة ممكنة من الانتاج والتقدم المستمر ..

زيادة الأجور

وبالنسبة لتطوير القوانين واللوائح والنظم التى تتعلق بتنظيم الخدمة المدنية في القطاع الحكومي والذى تتولى ادارة شئون الموظفين مسئولية الاشراف والرقابة عليها ومتابعة تطبيقها ، فقد شهدت ادارة شئون الموظفين تطوراً كبيراً أدخل على نظم الخدمة المدنية ، كان من نتيجته زيادة الدخول الاجمالية للموظفين بصفة عامة ، واستحداث العديد من النظم الوظيفية ، وتعديل بعض النظم القائمة بما يتفق والتطور الذى طرأ على الحالة الاقتصادية العامة ، وكان له اثره في رفع مستوى الأسعار والخدمات ..

وقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني أمير البلاد المفدى رعايته بالموظفين والعاملين بصفة عامة ، وذلك بزيادة المرتبات بين الحين والحين ، حتى تجاوز الكادر المالي العام للموظفين والعاملين ضعف ما كانت عليه المرتبات الأساسية في عام ١٩٧١ ، وقد شمل التطور المزايا المادية الاضافية الملحقة بالمرتبات الأساسية ومن أهمها :

- زيادة مقدار العلاوة الاجتماعية للقطريين بكلتا فئتيها (متزوجين وعزاب) بموجب قرار مجلس الوزراء رقم

٥ لسنة ١٩٧٦ بشأن العلاوة الاجتماعيه وبدل السكن .

● تقرير علاوة اجتماعية لفئة اعزب للموظفة القطرية المتزوجة من موظف قطري مع احتفاظ زوجها بالعلاوة الاجتماعية لفئة متزوج بذات مقدارها .

● قرار مجلس الوزراء رقم ١١ لسنة ١٩٨٠ بتعديل بعض احكام قرار مجلس الوزراء رقم ٥ لسنة ١٩٧٦م فى شأن العلاوة الاجتماعية وبدل السكن .

● تقرير مكافأة تشجيعية للقطريين من اعضاء الهيئة التدريسية العاملين فى المدارس والمعاهد بوزارة التربية والتعليم بواقع ٢٠٪ فى عام ١٩٧٦ زيدت الى ٤٠٪ من المرتب الأساسي فى عام ١٩٨٠ .

● تقرير بدل طبيعة عمل للحاصلين على مؤهلات علمية بواقع ٢٠٪ من المرتب الاساسي .

(قرار مجلس الوزراء رقم ٣ لسنة ١٩٧٥ بتقرير بدل طبيعة عمل لبعض الوظائف) .

● صرف قروض لمواجهة متطلبات الزواج والديون الشخصية (مرسوم رقم ٢٠ لسنة ١٩٨٠ بشأن تنظيم القروض التى تمنح للموظفين بضمان المرتب ، ومكافأة نهاية الخدمة) ويشمل غير القطريين فيما يتعلق بالقروض بضمان مكافأة نهاية الخدمة .

● تقرير علاوة تشجيعية للقطريين الحاصلين على دبلوم معهد اللغات التابع لوزارة التربية والتعليم قرار مجلس الوزراء رقم ٣ لسنة ١٩٧٨ بشأن تقرير حافز مادي للقطريين من خريجي وخريجات معهد اللغات .

● منح علاوتين دوريتين للموظفين الحاصلين على دبلوم معهد الادارة او تعديل أوضاعهم بترقيتهم الى درجة أعلى (الثانية أو الأولى من الحلقة الثالثة) .



بقلم : خطّاب عمر الدفع

مدير إدارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول

● تقرير علاوة محو الأمية بواقع ١٥٠ ريالا شهريا للعامل القطري الذي يحصل على شهادة محو الأمية .

● زيادة مقدار بدل التمثيل فى المهام الرسمية وصرف بدل تمثيل كامل عن مدة شهر ونصف بدل تمثيل عن ستة شهور عند الايفاد فى دورة تدريبية . مع تعديل تخصصات البعثات الدراسية الى ما يعادل ضعف ما كانت عليه عام ١٩٧٢ .

● إلغاء نظام العلاوة المحلية ، وتقرير علاوة بدل سكن بواقع ٥٠٪ من المرتب الأساسي للمتزوج ، ٢٥٪ للأعزب للموظفين المعينين محلياً ــ وكذا الغاء كافة القيود الخاصة بمنح علاوة بدل السكن بالنسبة لجميع الموظفين غير القطريين (قرار مجلس الوزراء رقم ٥ لسنة ١٩٧٦ فى شأن العلاوة الاجتماعية وبدل السكن) .

● زيادة مقدار بدل السيارة (بدل التنقل) وزيادة القرض المخصص لشراء سيارة خاصة .

● تقرير منح لأبناء بعض الموظفين من غير القطريين للدراسة فى الجامعات والمعاهد العليا الأجنبية (قرار مجلس الوزراء رقم ٣ لسنة ١٩٧٨) .

الأهداف والغايات

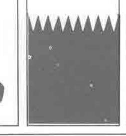
هذا وقد شمل التطور التشريعي للنظام الوظيفي في الدولة انشاء العديد من المناصب الادارية الجديدة ، من أهمها انشاء نظام وكلاء الوزارات ..

وهكذا نرى انه من واقع مسئوليات وأعباء ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول ، كان لزاماً عليها ملاحقة ركب التطور الكبير المتلاحق الذى شمل كافة اجهزة الدولة ومرافقها العامة ، والذى قاد دفته حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وسمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد الأمين ..

والمعروف انه منذ تولي سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول الاشراف الأعلى لادارة شئون الموظفين ، باعتبارها إحدى الادارات التابعة لوزارته ، وبفضل توجيهات سعادته وتأييده للعناصر القطرية الشابة ، أمكن لهذه الادارة ان تشق طريقها نحو تحقيق أهدافها ، فاستطاعت خلال عشر سنوات من الاستقلال ان تقطع شوطا لا بأس به فى سبيل التقدم والنمو الاداري ، خاصة وانها الجهـاز المركـزي للخدمة المدنية فى القطاع الحكومي .. وقد اناط بها قرار تنظيمها ، العديد من المسئوليات والأعباء ذات الطابع الرقابي والاشرافي بالنسبة للجوانب الادارية فى كافة الوزارات وأجهزة الحكومة المختلفة التى تتدرج ميزانيات موظفيها ضمن الباب الأول فى الموازنة العامة للدولة .

ولن تقف جهود الادارة ــ باذن الله ــ عند هذا الحد ، فهي تتطلع الى مزيد من التقدم والنمو والازدهار ، بفضل الثقة الغالية التى أولاها قائد المسيرة وباني نهضة البلاد .

شمس الاستقلال تشرق على قطر



مستقبل

إن الحديث عن الثقافة يرتبط في غاياته البعيدة بالحديث عن الحضارة ، وإذا كانت الحضارة تشير الى المظاهر المادية للنهضة القائمة في اي بلد من البلاد ، مثل الصناعة والزراعة وسائر مظاهر العمران ، فان الحديث عن الثقافة يكمل الصورة العامة لهذه النهضة ، بان يلمس الجوانب المعنوية الأخرى مثل الفكر والادب والفنون بشتى اصنافها .

ومن هذا المنطلق ، فقد عملت حكومة قطر تحت قيادة سمو الأمير المفدى وسمو ولي عهده الأمين ، على بذل كل غال في سبيل تهيئة المناخ الثقافي اللازم لبناء الانسان القطري وتزويده بكل ما يحتاج اليه عقله ووجدانه من فكر وفن ، حتى تتوازى مظاهر التقدم العمرانية والمادية مع مثيلاتها الثقافية ، وحتى تكون النهضة مبنية على اسس سليمة وعلمية .

وقد كانت « ادارة الثقافة والفنون » احد هذه الأجهزة التي تسهم في تنشيط الحركة الثقافية في البلاد ، بل إنها الادارة الرئيسية المختصة بهذا المجال اختصاصاً مباشراً ، وساحاول ان أستعرض بايجاز ، دور هذه الادارة ونشاطاتها في تهيئة المناخ الثقافي الملائم ، بعد أن تشرفت بحمل عبء ومسؤولية ادارتها خلفاً لأخ فاضل هو الأستاذ ناصر العثمان ، الذى اسس هذه الادارة ووضع القواعد السليمة لهذا البناء .

وقد كان – ولا يزال – للادارة ، انجازاتها الكبيرة في مجال الفنون الشعبية والمسرح والفنون التشكيلية ، واعتقد أن دورى في الادارة في هذه المرحلة ، هو تعميق وترسيخ الثقافة بمفهومها العام ، والعمل على فتح المجالات أمام المواهب الشابة في الشعر والقصة والمسرح والبحوث الادبية ، وكافة مجالات الابداع الأخرى ، مع المضي في تدعيم النشاط الثقافي والفني بكافة الوسائل الممكنة .

وبطبيعة الحال ، فنحن لن نستطيع هنا ، سوى الاشارة العجلى ، لأهم المجالات التى تحاول ادارة الثقافة والفنون ان تدعمها وتطورها وتنهض بها ، وقبل أن نعرض لهذه المجالات والخطط المعدة لها ، نود أن نشير الى ان « إدارة الثقافة والفنون » ، أولت الناحية الادارية اهتماماً خاصاً حتى تكون قادرة على العمل بكل طاقاتها وبدون معوقات ، فعملت على إعادة تشكيل الهيكل الادارى ليتمشي مع الخطط والأهداف المراد تحقيقها . كما اهتمت الادارة بتنسيق التعاون بينها وبين وزارة التربية والتعليم والمجلس الأعلى لرعاية الشباب في المجالات الثقافية والفنية ، كما نظمت عملية تبادل الكفاءات والخبرات والامكانيات ، بينها وبين هذه الجهات .

في مجـال النشر

لاشك ان نشر الكتب والمؤلفات الادبية والفنية الابداعية مثل الشعر والقصة وغيرها من الفنون ، بجانب البحوث والدراسات النقدية ، أمر يحتاج الى دعم من الدولة ورعاية لمثل هذه المواهب الأدبية ، ولذا ، فان « ادارة الثقافة والفنون » أعدت خطة لنشر العديد من الكتب والدراسات في كافة المجالات ، من شعر وقصة وأدب أطفال وبحوث ودراسات . ولا تقتصر هذه الخطة على المؤلفين المحليين ، بل إنها تتضمن إعادة نشر أهم الكتب والدراسات العربية ، وكذلك إعادة طباعة بعض المجلات والدوريات الأدبية التى توقفت عن الصدور ، والتى كان لها دورها الكبير في الحركة الثقافية والأدبية على مستوى الوطن العربي .

ومن المعروف أن المسرح قاعدة ثقافية أساسية في ثقافة العصر الحاضر ، ولذا فان الدولة نظرت الى النشاط المسرحي بعين الاهتمام البالغ ، فقامت ببناء مسرح يتسع لخمسمائة متفرج ، وقد الحق هذا المسرح بمبنى وزارة الاعلام الجديد ، الذى سيفتتح بمشيئة الله في احتفالات ٢٢ فبراير القادم ، وقد بني هذا المسرح على احدث الطرز المعمارية واكثرها مواءمة للبيئة القطرية وزود باحدث أجهزة الاضاءة والصوت والحركة ، ويشتمل بجانب كل ذلك على مسرح دائري ، وفرت له أعلى الكفاءات العالمية اللازمة ، وقد خططت وزارة الاعلام لبناء مسرح اخر سعته ٣٥٠ كرسياً ، وسيلحق به مقر الفرقة القطرية القومية للفنون الشعبية ، وسيكون مزوداً بقاعات للتدريب على الرقص والموسيقى .

ولا شك أن هذين المسرحين ، سيساعدان على دعم النشاط المسرحي والفني في البلاد ، وعلى نشر الثقافة والفن بين اوساط قطاعات عريضة من الشعب القطري ، وسوف تعمل « ادارة الثقافة والفنون » على إحضار خبير مسرحي عربي من المتضلعين في هذا المجال ، ليساعد على تكوين الفريق القومي للتمثيل ، الذى سيكون بمثابة مدرسة لفنون المسرح المختلفة ، من تمثيل وإخراج وديكور .

وسوف تمضي الادارة في سياسة الدعم المادى والمعنوى للفرق الأهلية المسرحية وفرق الفنون الشعبية ، والادارة لن تتوانى عن رفع مثل هذا الدعم بما يمكن هذه الفرق من الارتفاع بمستوى الأداء ، وسوف تتوسع الادارة أيضاً في الخدمات والتسهيلات التى ينبغي أن تكون متوفرة لمثل هذه الفرق ، والدولة تعمل الآن على توفير اراض خالية تصلح لأن تبنى عليها مقار الفرق المسرحية وفرق الفنون الشعبية .

التراث الشعبي

أشرنا منذ قليل الى مشروعات الادارة خاصة والدولة عامة من أجل دعم وتطوير فرق الفنون الشعبية واتاحة التسهيلات المادية اللازمة لها ، واضافة

الثقافة في قطر

بقلم: موسى زينل
مدير إدارة الثقافة والفنون

لذلك، فان « ادارة الثقافة والفنون » ، ستكثف جهودها فى سبيل رصد وتوثيق التراث الشعبي بكافة فروعه : الشعر والقصة والحكم والأمثال والموسيقى والغناء والرقص ، وذلك بكل وسائل التسجيل المتاحة والممكنة ، حتى تتكون فى النهاية مكتبة متخصصة فى هذه المجالات جميعاً ، تكون مرجعاً للدارسين والباحثين فى هذا المضمار ، ومعيناً يستلهم منه الفنانون ابداعاتهم ، فضلا عن أن ذلك المشروع سيحفظ التراث الشعبي من الضياع تحت الحاح التطور المعاصر الذى تشهده البلاد .

الفنون التشكيلية

وفيما يختص بهذا المجال ، فان الادارة تخطط للتوسع فى اقامة المعارض المحلية لجميع الهواة ومن كافة الجنسيات التى يقيم أصحابها فى البلاد كما سيشمل هذا التوسع المعارض المنفردة للفنانين ، فاذا أضفنا الى ذلك كله ، المعرض السنوي الرسمى ، وجدنا أن هناك فرصاً طيبة للفنانين التشكيليين لعرض انتاجهم . فضلا عن الادارة لن تقتصر على هذا النشاط المحلي ، بل إنها تخطط لارسال معارض قطرية الى الخارج ، حتى يكون فى ذلك فرصة طيبة للاحتكاك بفنون البيئات الأخرى ، وفرصة للافادة والاستفادة .

والادارة تبحث الآن عن احد البيوت القطرية القديمة ليعاد ترميمه ويكون صالحاً كمقر للمرسم الحر ، وسوف يتم تشكيل هيئة استشارية تضم نفراً من المختصين والخبراء في هذا المجال ، تكون مهمتها الاشراف على برامج وخطط المرسم ، حتى يصبح مصدر اشعاع حقيقي للفن التشكيلي فى البلاد .

وتخطط الادارة أيضاً ، لاستقدام خبرات فنية عربية متميزة ، من اجل عقد دورات مكثفة فى فروع الفنون التشكيلية المختلفة ، مثل النحت والتصوير والزخرفة والحفر .. وهلم جرا . وطبقاً للخطة الموضوعة ، فان استقدام هؤلاء الخبراء والفنانين سيتم تباعاً ولفترة محددة لكل منهم ، حتى يمكننا الاستفادة ، باكبر قدر ممكن من الخبرات المتنوعة فى هذا المجال .

وتتنوع أساليب النشاط الثقافي تنوعاً خصباً ، فلا تقف عند حد الانشاءات والمباني ووسائل الدعم المادي .. بل إن « الادارة » دأبت فى كل عام على اعداد برنامج سنوي للموسم الثقافي ، وبالنسبة للموسم الثقافي القادم ، فان «الادارة» خططت له بحيث يشتمل على مجموعة من المحاضرات والندوات والأمسيات الشعرية والأمسيات الخاصة بالأغنية الخليجية ، كما يشتمل أيضاً على البحوث المتعلقة بالثقافة العربية والتاريخ العربي وغير ذلك من قضايا العصر التى تهم العرب والحضارة العربية .

وغير اسلوب الندوات والأمسيات ، هناك أسلوب آخر يتمثل فى اقامة الأسابيع الثقافية خارج البلاد ، وفى نفس الوقت استقبال الأسابيع الثقافية التى ترغب الدول العربية والصديقة فى اقامتها بالبلاد .

وبهذه المناسبة ، فان « إدارة الثقافة والفنون » ، خططت لاقامة أسابيع قطرية فى الخارج ، بالاضافة الى المشاركة فى الأسابيع الثقافية الخليجية المشتركة .

وبجانب الأسابيع الثقافية والندوات هناك مجال البعثات ، و « إدارة الثقافة والفنون » ، تشارك من ناحيتها فى رسم سياسة البعثات الدراسية فى المجالات الفنية والأدبية المتعلقة بأعمالنا ، حتى نتمكن من الاستفادة من طاقات المبعوثين عند عودتهم بمزيد من الخبرة توفر لنا الكوادر القطرية التى تنقصنا .

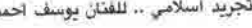
والتوسع الأفقي أيضاً

وفى الختام فاننا نود أن نشير الى أن التوسع الثقافي الذى تشهده البلاد الآن ، لا يتم على المستوى الراسي فحسب ، من حيث تعميق وتكثيف مظاهر ومجالات الأنشطة الثقافية ، بل يتم أيضاً وفى نفس الوقت على المستوى الأفقي ، فمن الناحية الجغرافية ، لا تستأثر العاصمة « الدوحة » بكل المزايا ، بل أن المدن الأخرى فى أنحاء البلاد لها نصيبها من التنمية الثقافية ، ويجرى الآن اقامة مركز ثقافي فى مدينة « الخور » هذا العام ، ومازال هناك فى اقامة مركز آخر فى منطقة « دخان » ، وهذه المراكز تتيح للشباب فرصة ممارسة هواياتهم الأدبية والفنية وتنمية مواهبهم .

إن النشاط الثقافي في البلاد ، يمضي بخطى واثقة ، ويحقق التقدم كما وكيفاً ، وفى احتفالات هذا العام بمرور عشر سنوات على الاستقلال ، ستقدم الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية برنامجها الأول ، الذى يشتمل على حوالي عشر لوحات وصور شعبية . وسنرى إبداعات الفنان القطري فى كل مجال ، مشيرة الى ذلك البنيان الذى ارتفع وسيرتفع يوماً بعد يوم فى ظل القيادة الحكيمة للبلاد .







تجريد اسلامي .. للفنان يوسف احمد



تكوين شعبي .. للفنان جاسم زيني

ملامح الحركة التشكيلية في قطر

إن التشكيل القطري هو النمط الأصلي المحلي للفن فى قطر ، وهذا جزء لا يتجزأ من الفن فى حوض الخليج العربي ، أما الحركة الحديثة فهي الحركة التى بدأت مع النظام التعليمي فى قطر مع بداية الخمسينات في القرن العشرين ، وهي لا تنتمي الى المنطقة وذلك لأن المبدأ المتبع هو الفن من أجل الفن ، وهذا ما لم نعرفه من خلال التراث الاسلامي ، فالفنان المسلم كان حريصاً كل الحرص على أن يؤدى عمله وفى المقام الأول وظيفته على اكمل وجه ، ومن ثم كان يركز على الغرض الجمالي ليؤدى أغراضاً أبعد ، قد تكون فلسفية او دينية او وظيفية .

والحركة التشكيلية ــ ليست فى قطر ــ بل فى الوطن العربي أيضاً ظلت تتبع المذاهب الأوربية المستوردة ، حيث لا تتعدى أن تكون اللوحة مجرد قطعة تزين حائطاً فى فندق او في بيوت بعض المتذوقين .

بداية الحركة التشكيلية

ولكن مع بداية تخرج الفوج الأول من الفنانين الأكاديميين أمثال (جاسم زيني ، يوسف احمد ، حسن الملا) بدأت الحركة التشكيلية في قطر تأخذ شكلا آخر فى تحركها ، قبل هذه الفترة كانت مشاركة قطر فى المعارض العربية والدولية ، نادرة (مثل السبعينات) كما انه لم يكن هناك اي تجمع للفنانين التشكيليين القطريين قبل هذا الوقت أيضاً ، ولذا فبداية السبعينات هي البداية لمسيرة الحركة التشكيلية فى قطر ، وبدايتها الحقيقية كانت مع التجمع الأول الذى برز من خلال المعرض الدائم الذى اقامه نادى الجسرة الثقافي فى بداية عام ١٩٧١ ، وكان هذا المعرض أول انشطة الفنان جاسم زيني بعد التخرج من اكاديمية الفنون الجميلة (بغداد) بالاشتراك مع الفنان يوسف احمد ، وعبد الرحمن بادار ، وشارك فى هذا المعرض اكثر من عشرة فنانين قطريين ، وكان الفنانون يمدون هذا المعرض باللوحات الفنية ، حتى يظل المعرض محتفظاً باعمال حديثة فى كل شهر تقريباً ، ومن خلال هذه القاعة تم الالتقاء بين الفنانين القطريين والاطلاع على تجارب بعضهم وإنماء الحركة التشكيلية الحديثة فى قطر .

ومن خلال هذا اللقاء تولدت فكرة الجمعية القطرية للفنون التشكيلية ، وشاركت قطر في كثير من المعارض الدولية أيضا .



القرية .. للفنان محمد على عبد الله

وقد ظلت الجمعية القطرية للفنون التشكيلية صورية بين الفنانين القطريين ، حتى بدا الفنانون بالتفكير في اعطاء الجمعية الصفة الرسمية حتى تتاح لهم فرصة المشاركة فى اتحاد الفنانين التشكيليين العرب ، وذلك لربطهم باخوتهم التشكيليين العرب ، والمشاركة قضايا الانسان العربي من خلال إبداعهم الفني .. تم الاتفاق على القانون الاساسي للجمعية ، والموافقة من قبل الدولة على هذا التجمع ايمانا منها باهمية مثل هذه التجمعات الثقافية لدفع الحركة الحضارية فى البلاد ، وبذلك تم اشهار الجمعية فى فبراير عام ١٩٨٠ .

إن الحركة الشكيلية في قطـر لها طابعها الخاص ومشاكلها الخاصة ، وهذه المشاكل بعضها موجود في معظم الدول العربية .. ومن اهم هذه المشاكل نشر التذوق الفني بين الجمهور ، وعزوف هذا الجمهور عن الحضور لمشاهدة تجاربه ومعاناته . وقد اخذت محاولة حل هذه المشكلة عند الفنان القطري شكلا عملياً فعالا بدا يجنى ثماره ، ففى بداية عام ١٩٧٧ كان هنالك تجمعاً صغيرا يجمع ثلاثة فنانين تشكيليين (حسن الملا ، يوسف احمد ، محمد علي) واطلقوا على تجمعهم (الاصدقاء الثلاثة) ، ومن خلال هذا التجمع الثلاثي ، حاول الأصدقاء الثلاثة ، وضع حل عملي لمشكلة هروب الجمهور ، وعدم مبالاته لحضور المعارض ، وهذا الحل كان عبارة عن فكرة جريئة احتاجت منهم كثير من الجهد والتضحية ، فقد قرروا نقل المعرض الى الجمهور فى الشوارع ، والأسواق ، واماكن التجمع ، بدلا من حضور الجمهور الى المعرض ، وفعلا ، وبعد فترة من القلق والتردد ، اقام الأصدقاء الثلاثة معرضهم الأول ، وكان نجاح المعرض فوق تصورهم ، مما شجعهم على اقامة المعرض لثلاثة سنوات متوالية كان اخرها فى رمضان ١٩٨٠م .

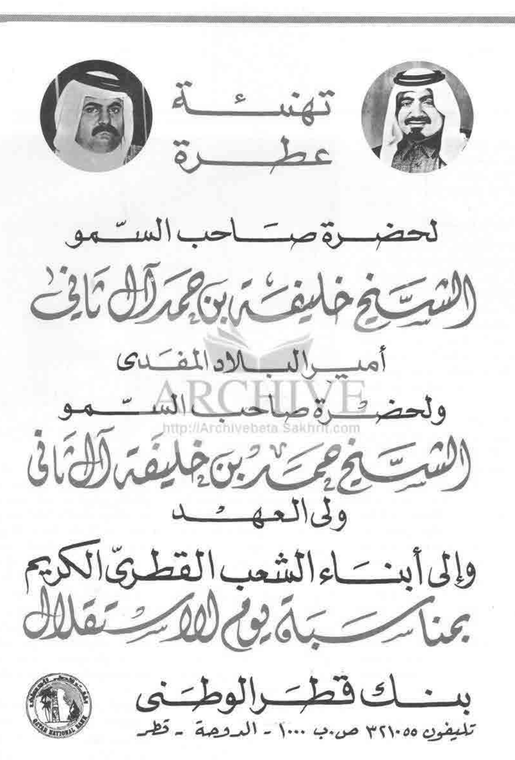
البحث عن هوية

وهناك قضية البحث عن الهوية وهي القضية التى تشغل فنانو الوطن العربي من أقصاها الى أقصاها . فمن بين الفنانين الذين وصفوا هذه الخيارات هو الفنان يوسف احمد ، فقد انتمى الى مدرسة الخط العربي ، وله فيها بحوث جادة من خلال (طباعة الحرير ، الليثوغراف ، والاكرلك) . وهو الآن يدرس فى الولايات المتحدة الامريكية يحضر لرسالة الماجستير فى الخط العربي .

ومن بين الفنانين القطريين الذين أثروا البحث عن هوية للتشكيل العربي ، هو الفنان جاسم زيني ، فقد كانت له أعمالا جادة وراقية فى اولى سنوات تخرجه من الأكاديمية سنة ١٩٦٨ ، وهو يمارس التصوير الزيتي ، واللوحات التى انتجت فى السنوات ما بين ١٩٦٨ ــ ١٩٧٥ تعتبر الأعمال الناضجة للفنان ، وكان يرتقى فى خط بياني حاد الى أعلى ، ومعظم مواضيع الفنان فى هذه الفترة الانسان القطرى وتتبع ادق أمور حياته

وهنالك فنانون آخرون أثروا حركة البحث ، وحركة التذوق الفني عند الجمهور فى قطـر ، وهم الفنانون : حسن الملا ، على شريف ، يوسف الشريف ، فرج ادهام، محمد علي ، سلمان المالكي ، محمد الكواري ، سيف الكواري . ماجد المسلماني ، عيسي الغانم ، سلطان الغانم ، وفيقه سلطان ، بدرية درويش ، محمد الجيدة .. ومازال الفن فى حاجة الى أسماء جديدة من ابناء هذا الجيل ..

محمد على عبد الله


تهنئة
عطرة
لحضرة صاحب السمو
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير البلاد المفدى
ولحضرة صاحب السمو
الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني
ولي العهد
وإلى أبناء الشعب القطري الكريم
بمناسبة يوم الاستقلال
بنك قطر الوطني
QATAR NATIONAL BANK
تليفون ٣٢١٠٥٥ ص.ب ١٠٠٠ - الدوحة - قطر



بقلم: محمود شيت خطاب

بدأ العدو الصهيونى نشاطه العلمى فى المجال النووى منذ ولد كيانه فى الأرض العربية المحتلة «فلسطين» فى أواسط سنة ١٩٤٨ ، وكثف هذا النشاط بالتدريج ، ولم يفرط بلحظة من وقته دون أن يستغلها فى هذا المجال .

وكان طموحه لانتاج السلاح النووى مكتوماً لا يعرفه أحد غير العاملين فى مجاله من الصهاينة ومن وراءهم من العلماء الموثوق بهم .

وقد كتم طموحه متظاهراً بالفقر تارة ، وبالدعوة الى السلام تارة أخرى ، ومن المعروف أن العدو الصهيونى لا يؤمن بالسلام ولا يريده ، وإذا هو أراد الحرب تظاهر بالسلام .



مفاعل نووى اسرائيلى قرب تل أبيب

ولأول مرة انكشفت نيات العدو الصهيونى فى الحصول على السلاح النووى ، كان بعد الاعتداء الثلاثى على الشقيقة مصر سنة ١٩٥٦ ، إذ ظهر أن من جملة شروط التعاون الفرنسى الصهيونى فى مهاجمة الشقيقة مصر ، هو إمداد فرنسا للعدو الصهيونى بأسرار السلاح النووى ومواده الأولية المتيسرة لدى فرنسا .

وفجرت فرنسا قنبلتها النووية الأولى فى شباط (فبراير) من سنة ١٩٦٠ فى صحراء الجزائر التى لم تكن قد استقلت بعد ، فاستغل العدو الصهيونى حقد فرنسا على العرب حينذاك من جراء حرب التحرير الجزائرية ، وزار بن غوريون فرنسا فى حزيران (يونيه) من سنة ١٩٦٠ ، كما زارها شمعون بيريس وكيل وزارة الدفاع حينذاك ، وكان للزيارتين علاقة وثيقة بمحاولات العدو الصهيونى الحصول على اسرار السلاح النووى .

وقد اكدت الانباء ، ومنها ما نشرته جريدة (الديلى ميل) البريطانية بتاريخ ٢١ كانون الأول (ديسمبر) من سنة ١٩٦٠ ، ان فرنسا زودت العدو الصهيونى بمقدار من (البلوتونيوم) وبالأسرار الفنية اللازمة لانتاج القنبلة النووية ، وبخبراء لاقامة الفرن النووى الصهيونى ، وقد ثبت ان هذا الفرن كان يشرف عليه علماء فرنسيون .

وتطور نشاط العدو الصهيونى فى مجال الدراسات النووية وتطبيقاتها العملية . كما تطور نشاطه فى مجال العلوم التطبيقية الاخرى ، وكان قد انشا مؤسسة الطاقة النووية سنة ١٩٤٨ ، وأقام معهد وايزمان فى (رحبوت) سنة ١٩٥٥ ، تطبيقاً للنظرية الصهيونية فى التفوق فى مجال التسليح على الدول العربية المتفوقة عليه بتعداد نفوسها ، وهذه النظرية ملخصها : « مزيد من السلاح لقليل من النفوس ، لاكتساح التفوق العددى العربى فى ميزان القوى العسكرية » .

ولكن هذا التفوق فى التسليح قد لا يدوم طويلا ، إذا انتج العرب أسلحتهم محلياً ، وكثفوا تسليحهم ، لذلك داب العدو الصهيونى على إحراز التفوق على العرب فى مجال العلوم التطبيقية ، لانتاج السلاح النووى الذى يعوض على العدو الصهيونى قلة تعداد سكانه ، ويحرم العرب من جهة أخرى فى تفوقهم

السكاني الساحق على العدو الصهيوني .

والى جانب محاولة العدو الصهيوني انتاج السلاح النووى بالاستفادة من تفوقه فى العلوم التطبيقية ، فان له نشاطاً فى انتاج الأسلحة الجرثومية والأسلحة الكيماوية ونشاطاً فى انتاج الأسلحة السرية الأخرى ، تحقيقاً لهدفه: اكتساح التفوق العددى للعرب ، والتوسع على حساب البلاد العربية لتكوين : اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

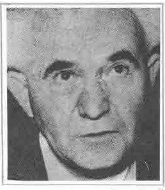
وفى هذه الدراسة ، ساقتصر على نشاط العدو الصهيونى فى مجال انشاء معاهد ومؤسسات الطاقة النووية وانشاء مفاعلاته ومسرعاته النووية .

معاهد ومؤسسات الطاقة النووية الصهيونية

١ ـ مؤسسة الطاقة النووية الصهيونية

لم يمض على قيام الكيان الصهيونى فى الأرض العربية فلسطين سنة ١٩٤٨ ثلاثة أشهر ، حتى أصبحت : (مؤسسة الطاقة النووية الصهيونية) حقيقة راهنة ، ففى شهر آب (أغسطس) من سنة ١٩٤٨ بدأت هذه المؤسسة نشاطها باشراف وزارة الدفاع للصهاينة ، ثم استقلت بعد ذلك واقامت منشآتها ومختبراتها فى مدينة (ناحال سوريك)[٦].

وفى ١٢ نيسان (ابريل) من سنة ١٩٤٩ ، أرسل العدو الصهيونى علماءه الى كل من بريطانيا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ، للتخصص فى الكيمياء الاشعاعية وكيمياء التفاعلات النووية والتحليل النيوتروني والاشعاعات النووية وتطبيقات النظائر المشعة ، فعادوا سنة



دافيد بن جوريون



١٩٥٤ الى الأرض العربية المحتلة فلسطين يحملون شهادة الدكتوراه ـ كل واحد منهم حسب اختصاصه .

وفى ١٥ تشرين الثانى (نوفمبر) من سنة ١٩٥٤ ، أعلن الرئيس الأمريكى ايزنهاور عن برنامج : (الذرة من اجل السلام) .

وفى ٢ كانون الاول (ديسمبر) من سنة ١٩٥٤ ،أعلنت الامم المتحدة عن انشاء : (الوكالة الدولية للطاقة النووية) .

واستفاد العدو الصهيونى من هاتين المؤسستين الأمريكية والدولية كثيراً ، وتلقى منهما كثيراً من المساعدات العلمية والفنيـة ، وحظى بحصة الأسد من النظائر المشعة واليورانيوم الطبيعى المقوى والذى كانت تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية بموجب برنامج : الذرة من أجل السلام .

والمعروف أن لمؤسسة الطاقة النووية نشاطاً ملموساً فى جميع الجامعات ومعاهد العلوم التطبيقية فى داخل الكيان الصهيونى ، وفى كثير من الجامعات والمؤسسات والمعاهد والمنظمات العلمية فى خارج الكيان الصهيونى .

وتوجه هذه المؤسسات حالياً اهتماماً لدراسة المسائل المتعلقة بالمفاعلات

شيمون بيريز

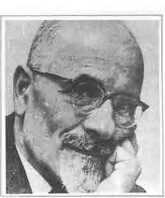
النووية وإنتاج الماء الثقيل والأسلحة النووية .

وتعتبر منشآت هـذه المؤسسة ومختبراتها من أهم المراكز النووية الصهيونية وأخطرها ، إذ أنها تشرف على جميع الأبحاث النووية فى الجامعات والمعاهد ، كما أنها تشرف على ادارة جميع المفاعلات والمشروعات النووية ، وتمتلك مختبرات مهمة جداً فى (ناحال سوريك) وغيرها من المدن الصهيونية ، بعضها تستقر على عمق مناسب تحت الأرض لحمايتها ، وهذه المختبرات مجهزة باحدث الأجهزة العلمية والمعدات ، بالأضافة الى المفاعل النووى الموجود هناك .

٢ ـ معهد وايزمان فى رحبوت

صدر مرسوم صهيونى بتاريخ ٩ تشرين الثانى (نوفمبر) من سنة ١٩٥٥ ، يقضى بانشاء قسم للفيزياء النووية فى معهد وايزمان فى رحبوت ، فتولى العلماء الصهاينة العائدون من الخارج مهمة الاشراف على الأبحاث التى تجرى فيه .

وفى ١٢ تشرين الثانى (نوفمبر) من سنة ١٩٥٥ ، حصل العدو الصهيونى على هدية مؤلفة من خمسة عشر الف كتاب وتقرير ونشرة من الولايات المتحدة


حاييم وايزمان


ايزنهاور

الأمريكية ، تدور كلها حول العلـــوم النووية .

وقد قامت دائرة النظائر المشعة فى معهد وايزمان ، بتوجيه واشرف مؤسسة الطاقة النـــووية الصهيونية عليها ، بانتاج الاوكسجين المقوى المعروف بالماء الثقيل ، وتشير الاحصاءات العلمية الى ان العدو الصهيونى يؤمن ٩٥ بالمئة من طلبات العالم من هذه المادة ، والمعروف ان قيمة الغرام الواحد من الماء المقوى تبلغ الف دولار امريكى .

والواقع هو ان انتاج الماء الثقيل والخفيف بايدى شركة (يدا) الصهيونية للبحث والتطوير التى اسسها معهد وايزمان فى سنة ١٩٥٩ لتطوير البحوث ذات القيمة الصناعية والتجارية ، وتخضع هذه الشركة بدورها لاشراف مؤسسة الطاقة النـووية الصهيونية وتوجيهها .

والمهم انه لم يمض سوى ست سنوات على افتتاح قسم الفيزياء النووية الأول ، حتى ارتفع عدد الباحثين فيه من ستة الى ستين عالماً وباحثاً ، ثم أصبح اليوم اضعافاً مضاعفة لهذا العدد

٣ ــ مجلس البحوث الصهيونى الوطنى

وهو عبارة عن مجلس تنسيقى للبحوث النووية التى تجرى فى المعاهد العلمية الصهيونية كلها .

وقـــد عين لهذا المجلس العـــالم الصهيونى (دوستروفسكى) سنة ١٩٦٠ وهو الذى كان يشغل منصب رئيس قسم النظائر المشعة فى معهد وايزمان فى رحبوت .

ويستقطب هذا المجلس كبار العلماء الصهاينة فى الخارج والداخل ، ويدعو اليه علمـــاء زائرين من دول الغرب وبخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية .

٤ ــ معهد التكنيون فى حيفـا

ويجرى تدريب الخبراء فى هذا المعهد ويهتم بانتاج الصــواريخ وتطويرها واستخدامها ، بالاضافة الى اهتمامه بالأسلحة النووية .

وكان يضم سنة ١٩٦٥ خمســة وعشرين مشروعاً ، منها ثمانية مشاريع على الأقل ذات فوائد عسكرية فى مجالى الصواريخ والسلاح النووى .

أما اليوم فقد تضخمت مشاريعه تضخما كبيرا ، وأكثر تلك المشاريع للأغراض العسكرية .

هذا بالاضافة الى التدريس فيـه وتخريج العلماء الصهاينة ومن الدول الأخرى المواليـة للصهاينة وبخاصة الدول الأفريقية التى لها علاقات سياسية مع العدو الصهيونى ومع بعض دول أمريكا اللاتينية .

٥ ــ مديرية العلوم فى وزارة الدفاع

تشرف هذه المديرية على جميـــع القضايا العلميـة للقوات المسلحة الصهيونية وبخاصة تطوير الأسلحة وانتاج السلاح النووى .

وتستعين هـذه المديرية بالخبرات العالية من العلماء الصهاينة ، لمعاونتها فى النهوض بواجباتهـا فى القضايا العلمية التى هى بحاجة الى العلماء من ذوى الاختصاص العالى .

وقد اختارت وزارة الدفاع الصهيونية جماعة من الضباط اللامعين الذين لهم ميول علمية ، فادخلتهم الجامعـات والمعاهد العلمية الصهيونية ، فلمـا تخرجوا فى تلك الجامعات والمعاهد ، اوفدتهم الى الجامعـات والمعاهـد الأجنبية فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ، فعادوا الى الأرض العربية المحتلة يحملون أعلى الشهادات العلمية .

وبذلك اصبح للعدو الصهيونى ضباط مختصون بالعلوم التطبيقية ، ومنهـا العلوم النووية والصواريخ والهندسة والكهرباء وانتاج الأسلحة التقليدية والمتطورة للاكتفاء الذاتى بالانتـاج الصهيونى .

ولا تضم هذه المديرية العلماء من الضباط فقط ، بل تستعين أيضاً بالعلماء المدنيين الصهاينة .

محمود شيت خطاب

حمى الدريس

قصة علي المك



تامل كيف اذعن النيل الأزرق للأبيض اخيه فيما اسموه المقرن ؟ وباعوا لكما ، ولكل من لهم آذان وعيون ، أسمعوهم بالراديو وأروهم بالتليفزيون ، وزينوا لهم أن أعذب الشعر ـ الذى هو دونما ريب اكذبه ـ ما كان نظم لحظلات زمان ، والآن ينظم ، وسينظم فيما ياتى من الزمان فى صفة هذا المكان : المقرن ، هذا الذى أفقد النيل الأزرق لونه وروحه ، وعليه هزم . صه ! انت مسرف فى حب هذا النهر .. وتلك هى (وفاء) تقول لها :

ـ من الذى اخترع اللبن الزبادى ؟

ـ أهل منغوليـا .. قالوا .. بل قرأت مرة ..

ـ كذباً كاذب ..

ـ من إذن ؟ .

تنظر اليها تفحص وجهها ، تحس انها تترقب اجابة ترد على سؤال اللبن الزبادى :

ـ أهل منغوليا ؟ لا .. بائع لبن حليب كسدت بضاعته !

تضحك هي . وانت تضحك .

●

فى الطريق الى بقعتكما المفضلة . فى فجوات الفراغ الصامت التى يتقب الهواء فراغها الصامت ، حين يمر داخل السيارة .. الفجوات القصيرات بمقدار الزمان الذى يمضى ، الفجوات اللائى لا يحشوهن الكلام الثرثار .. فيهن تنشغل مرات بتامل يزيدهن فراغا على فراغ ، الثرثار الكلام ، ذاك فراغ على فراغ .. انظر على الجسر تمر شاحنات وسيارات وحافلات ، ومساكين .. وما حكاية أهل القماير ؟ شاحنة تصر ان تتجاوزك ، جهاز التنبيه فيه ضعيف الصوت ، كانه كان ، ثم وهن .. مثل رجل بدين جدا ، سماعك صوته الخافت ، دون رؤيته لا ينبىء عن ضخامة جسده . لحظة فيك فارغة تضحك ها . ها . تمر الشاحنة تتجاوز سيارتك تحمل ورق طباعة .. ثقيل حملها ربما كان ثقل ما تحمله تنوء به ، سبب العجز فى صوت جهاز التنبيه .. الليلة يزف الورق الأبيض للآلات ، تزول صفته البياض بحبر أسود وحروف ، بكل ما فيهـا ـ الحروف ـ من اخطاء الطابع والمحررين ، واخطاء اخرى لا يمكن أن تنسب لمصحح او محرر ، وورق يزف الى الآلات الهدارات كما تساق الخراف الى المذابح ، كانك ترى الغد ماثلا لعينيك ، يوم تبصر بالورق الأبيض تفرش عليه كلمات صاحبنا الدكتور نصر الدين ، موضوعها واحد كشخص ما يوما يلبس جلابية ، وتارة قفطانا ، وطورا بنطلونا وقميصا ، والروح هى ذاتها ، هى اياها ، هي هي .. ياحفيظ .. السامة ، السامة ، السامة .

هذا صاحبكم المرح يقول فى النادى :

ـ ادعو اى فرد منكم للعشاء لو انه اكمل قراءة مقالة للدكتور نصر .. ها ..

ضحكتم كنتم جماعة ، منكم الفاسق بالتصريح ، والذى يريد أن يكون لصا ويشيد بيتاً من سبعة طوابق ، ليكون مقر سفارة أو سفير لدولة ذات منعة ومال ،ومال لا تاكله النيران .. فاى حلم ؟ وفينا من يحرص على الخمس الصلوات ويعتدل للبيرة المثلجة بعد العشاء يقول يحارب بها الصيف الحار . وذاك الذى امتص دمه حب يائس ، وثلاثة منا جربوا أقلامهم على رءوس اليتامى كاتبين فى الصحف باختصار ؟ كنا بضعة عشر .. قال احد الكاتبين ، كانوا ثلاثة :

ـ اقبل التحدى وامرى الى الله .. عشاء بالمجان ؟ امر يطمح اليه كل انسان فى هذا الزمان الصعب .

قال صاحب الاقتراح :

لثقتى فيما اقول : عشاء وزجاجة بيرة طمع صاحبنا الكاتب فى الزيادة قال :

ـ عرض سخى ـ قل زجاجتين ..

ردد البعض :

ـ الطمع ودر ما جمع .. الطمع ودر ..

قال صاحب الاقتراح :

ـ ماشى ، دكتور نصر الدين ممل .. ممل .. وساكسب انا الرهان !

هذا الذى يجول فى ذهنك ياخذ من عمر الزمان طرفاً جد يسير ،ولكنه يزحف على الراس فيغطيه ،هو ما تسميه حشو الدماغ حين يكف الكلام الثرثار . ولتعلم ان اهل السيارات والشاحنات والحافلات ادمغة وفيها فراغ وكلام ثرثار فيها ، هم انت ، صه ! انشغلوا عنك ، ما همهم من الأمر شيء سوى هذه التحفة الجميلة (وفاء) يقولون عنها ،بعضهم على الاقل ، ما تقول انت ربما عن ورق الطباعة والخراف ، ولكن ايها الذبيح ؟ وأين السلخانة . الرهان ؟ وما شانك بالقماير ؟ وهل اكملت قراءة اى مقالة للدكتور نصر الدين ؟ .

صير كتاب الحكايات ـ كل العصور ـ المصادفة قاعدة .. اما الاستثناء ؟ يقولون انه بينما كان يعبر الطريق بصر بها ، نظر اليها ، اليه نظرت حين نظرت الى عيني وفاء اول مرة كانت حمى الدريس ، كما تعرفها انت عن نفسك ، تفور فى وجهها ، ما وصف احد عيونا تغشاها حمرة ، هي حمرة الدماء .. كان كتاب الحكايات ، يتحدثون عن المصادفة ، كما اعتاد الشعراء نبش العصافير فى قبورها .. كل عصفور وصفوا عصفور ميت .. هل رأيت الاحمرار فى عينيها ، اذاك شيء جميل ؟ فيوصف ، اصمت ، صه .. تذكر صديقاً .. اذن دعني أقص عليك هذه .. نعم .. ذاك الصديق كان قد عشق .. امرأة يغشاها (دم التاير) كثيرا فى الصيف ، تحك جسدها ، يكاد يدمي .. قال ان مرضها ينبىء .. يتلمظ .. يقول ما يعنى ان ذاك الهيلج انما هو اعلان عن رغبتها فيه ، قلتم له : مسكين .. مريض انت ، لا هي ..

تعود الى أمر المصادفة عند كتاب الحكايات ، صدق أولئك ، كذبت أنت .. عيادة طبيب ، ايام كانت ادواء الحساسية تاخذك كل جانب ، العام جله ، تاره كله .. حكة تبدا على الاذن اليسرى ، تقول تعالجها بظفر اذ يبلغ مقامها ناب تستكين وتغفو ، تظن انك قضيت على ثورتها ، احتويت حدتها ، هذه لغة السياسة كما تعلم .. يقولون الاحتواء ..

واء .. واء .. واء .. انصرف عن هذا العبث السانج .. قل كلامك .. «حاضر طبيب» .. قلنا تهبط الثورة من الاذن اليسرى ، الى الساق اليمنى ، طريق معقد كما تراه ، ولها معبد اذ هى تسلكه غير هيابة سبيلها مجرى الدم ، فى لمحة او بعض لمحة ، تنحدر يدك تتبعها بظفر ، وقد تبلغ مكانها بناب ، لو انت أعسر تكون اليد اليسرى ،أو ايمن فباليمنى .. بديهى ايها الثرثار .. تقول حين تبلغ ساقك اليمنى بظفر من أصبع في اليد اليسرى ، أم هى اليمنى ؟ انت معقد ..

لاريب .. لانك اعسر ، تسمع كثيرا من يذكر الشيطان فى اليد اليسرى ، والاعسر يخالطه الشيطان . صه . يصعد الدم الفوار الى الكتفين والى الظفر نفسه الذى به تستعين . هذا يدعو أن تعض مكانه باسنانك كلها ، ثم تصير اوان يزهر النيم الى احمرار في العينين



يفيض ، وفيض من العطس . انت تعلم اصرارها ..

●

ذكر أن الدكتور سعيد ، طبه ناجع ، يده لاحقة باختصار رجل مبروك ومختص في مثل ما كنت منه تشكو وتتعذب ، ولتضف لهذا ذاك الصوت الصفيرى ، يجعل الصدر جحيماً ، قبل الربو ذاك . وجمعوا هذا كله فاسموها الحساسية ...

شجرة النيم التى فى البيت غرست يوم مولدك ، ان اجتثت تموت أنت ، وان جفت عروقها قضيت ايضاً ، ولله العجب ! فلها انوثة طاغية تزهر قبل الاوان ، وتؤذيك .. وما الصوت الصفيرى؟ وما حكاية الناس في القمائر ؟ والنزلات المعوية ؟

حسناً سافر الى بلاد ليس بها نيم ، كثيرة بلاد الله التى لم يدخل اليها اللورد كتشنر شجرته الأثيرة .. ذكروا هذا . وصدقنا ، فى عيادة الدكتور سعيد تليفزيون ملون ، ومصلي .. والناس ، المرضى مؤمن وغير مؤمن . جلس الى جانبها في العيادة ــ مصادفة اتفاقاً ــ كان صوته الصفيرى يسمع ، وسعاله متصل ، يلتفت اليك المرضى ، من الناس من يعرف بصوت سعاله ، سيقولون : هو ذاك ، هو ذاك ، وليس لديك نظارة فتخفى وراءها العينين الحمراوين ، كل اولئك قد لحظوا امر عينيك ، تكون كارثة لو تبع هذا اولئك ما اولئك سوى حك الأذن اليسرى ، فالساق اليمني وبعد ذلك الانف ، والسرة وهلم جرا .

اول ما نزلت أرض مصر راك احد معارفك من الطلاب السودانيين تحك كل مكان ، تارة تحك فيما يشبه العنف اللذيذ ، كالمحموم يلذ له الجلوس أو الوقوف تحت الشمس والشمس تصليه .. كنته انت .. قال صديقك الطالب في مصر «تغيير فى الهوا» ، كان المفروض ان تاكل بصلة ساعة وصولك اليها!» مسكين طالب وبائس ما عرف من خيرات أم الدنيا شيئاً سوى بصلها .

المصادفة ، الاستثناء وصار قاعدة تلتقيان بعدها .. قبلها قلت لك ان ذلك كله من بعض مايسمى امراض الحساسية منها حمى الدريس (هيى فيفر) . نطقتها نطقاً سليماً ، آه يا زمان فوريه ، تظنين ان لغة اهله الفرنسية هينة ناعمة ، موسيقى ولحون ، الا انه كان يلتزم خشونة فى الصوت حين يتكلم الانكليزية . لات ساعة مندم ، آه ولى عهد فوريه ، وما بقى منه الا الأطياف والا الصور .. وقال قدم الى لورنس كانساس يزور أخته اولا ويعالج لغته الانكليزية من بعد ، ويتحرى أصول البلوز .. لحظت انك اندهشت .. قالت :

نطقى فى الانكليزية لاباس به أليس كذلك لاتظن اننى مثل بعض مذيعى راديو أمدرمان ، لايعرفون الفرق بين أمريكا وأمريكا !!

ضحكتما .. انقضى أوان حمى الدريس وشهور حمى الدريس انقضين وسفر الصيف ، تاخذكما النشوة ، أو مثلها ، لتلك البقعة كانما هى من صنع افكارك ، لاارض فيها ، لاحقيقة لا سماء تظلها ، كالتى تحلم ان تشيد فترى .. بقعة على النيل الأزرق قبل اتحاده مع الابيض ، بالمناسبة لماذا لاتؤيد هذا الاتحاد ؟ أمر بسيط ، حد الأزرق من اندفاعه فيما يسمى المقرن ، واستسلم للأبيض ، ذكر الشعراء ان النهرين تعانقا هراء ما ذاك عناق ، اذعن الازرق للأبيض ..

لايملك هذه البقعة فيما يبدو احد ، المهم ليس عليها قصر ولا زرع ، يريد صاحبها أن يجعل منها شيئاً هو نفسه لايعلم ما هو .. شيئاً ما .. اقام عليها خفيراً عم حسين عجوز .. ومن غير العجائز يرضى بواد غير ذى زرع ؟ يغمض عنكما جفنه ،يحب السجائر اشد حب ، علبة ربما علبتين يقنع بهما ليغمض الجفن عنكما ، (أنا مكلف باللصوص فقط) يقول هو وتقول انت : وما يسرق اللصوص ؟ هذا الفضاء ؟ أم ماذا ؟

ويستطرد عم حسين «كلاب الحراسة نفسها لاتقاوم الرشوة ، تصور ، قطعة لحم ، احيانا انثى ها .. ها .. كل شيء وله نظام» ! ثم يتسلم السجائر في نشوة يقول ضاحكاً «ليس عند من هم مثلى أسنان .. ها ها ها ..» .

لم يكن زوج وفاء ثريا ، ليس مهما ، كان وظيفة سمينة فى ميزانية الجامعة ، غسل الامل عقلها بل محاه محوا حين تقدم لها نظرت لكل شيء بعينى أمها ، تراجع نفسها الآن ، بل هى تسترجع طرفاً من اطراف ، «قدرت فيه العلم ساعتها» تقول . اه إنك تتحدثين كأنك دولة .. تسرف فى الحديث عن تكريم العلم والعلماء ، والمبدعين .. تقول لها :

هناك علم فوق الثرى .. ودنيا ارحب تحته . ليس هناك فائدة طالما أن المتنبىء وانيشتاين ولوركا وكرومة تحت الثرى ..

عرفت الآن ابطالك الاثيرين !

كان معيدا فى الكلية ، رجل معمل ، أنابيب اختبار مساحيق ، في الوطن كما فى الغربة ، الفته المناضد والمكتبات عذب الورق عذاباً اليماً .. سمكة في بحر الجامعة الاجاج .. تصور كل هذه المنعة فى الماء ، حتى اذا خرج الى اليابسة مات اختنق ومات ، اختنق ومات ، اختنق ومات ، اختنق .. (الست بعض اليابسة ؟ .. بل انت كلها) ، ومنك السؤال والاجابة . تقول لها :

اسميك اذن انبوبة الاختبار ..

ماشى .. تعرف عصمت رجل منظم جدا حتى الان يحلق راسه عند حلاق واحد اعتاد عليه منذ كان تلميذا صغيرا .. امس كان يحدثنى عن المرايا حين كانت تجلب من أوروبا . قال عند هذا الحلاق كانت المرايا بلجيكية .. ولكنها استبدلت الآن ، ربما تهشمت .

ربما قصد تشيكوسلوفاكيا ..

قال بلجيكا .. لانه لايحب كان واخواتها ..

ومن هن ؟

تشيكوسلوفاكيا واخواتها .. أهلات الشرق ..

اذن فالجهات الأصلية عنده ثلاث

ضحكت وهى ترد :

والفرعية ايضا !

غرب وغرب وغرب ، وغرب غرب وهلم جرا !

نعود للمرايا ، قال انه على أيام المرايا البلجيكية كان شعر الراس يظهر عليها شعر رأس .. والأنف الافطس تظهره انفاً افطس .. والفك فكا .. والشارب شارباً و ..

يعنى تقول المرايا ــ ايام صباه ــ للأعور : أنت أعور .

طبعا كأى شيء زمان ! الا ترى

اليوم أن العيـــون في المدينـــــة أسمال عيون ! قال ايضا يصنعون المرايا اليوم في المنطقة الصناعية فى الخرطوم بحرى ..

نقطة نظام ابن عمتى عنده مصنع فى امدرمان وصار ثرياً بما غنم من بيع المرايا .

طبيعى كل انسان يريد أن يرى نفسه هذه الايام كما يريد أن يرى نفسه ، والمرايا تحقق له هذا ! المهم قال ان مرايا اليوم تظهر الانف الأفطس انفاً غير افطس ! والفك فكين ، والشارب ثلاثة شوارب وعسل العيون يظهر على المراة كزيت البذرة !

هذا نادر .. الم اقل انه عالم بدون شك .. ومحدث لبق ..ثم تعود له سخرية حارقة كلما تطرقا لموضوع زوجها يقول :

اليسوا هم أهل الاختراع ؟

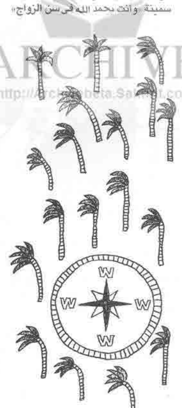
انت غبى .. هم الذين أوجدوا الحاجة !

ينذره تعليقهايستدرك قائلا :

ابدا سمعت أن عبقرياً لم يدخل الجامعة قط اصطنع جنسا من النمل الالكترونى .. نمل ابو ريش ، ولكن ليس له ريش ! ولدغته لاتؤلم غير انها تصيب الرجال بالعجز ، تقعدهم عن الجنس ، وتدفعهم لطلب المعالجة واللهث الحثيث ، وتمنح النساء خصوبة مطلقة ، انى أرشحه لجائزة نوبل ...

نوبل لاينالها الا من اسعفه الحظ فطرد من بلاده ليصل الى امريكا بتذكرة سياحية ! ومثل عصمت لايطرد من أى بلد لانه لايرى ما يراه الناس .. والحاكم عنده دائماً صالح ، انى اعرف هذا النوع تماماً .

اسلم النيل الازرق روحه حين صالح الابيض صلحاً افقده لونه وعنفوانه ، لهذا كانت تلك البقعة على النيل الازرق المستقل مكاناً فريد الحسن اذ هى تقع قريبا من مكان خسر النهر حريته . فيه تحس ان الحياة في الجروف تماثل الحياة فيما يعلو الجروف شيئاً ، الصغير ياكل الكبير ، من المنتصر من الخاسر ؟ علاقة غريبة بين الشط والنهر يظن الاهلون أن الشط يمنع عنهم غضبة النهر ، وواقع الامر أن هذه الامور وضعت باتفاق ازلى ،والاهلون لايعلمون فالنهر يعلو بقدر ما تحتاج الشواطىء من خصوبة وحياة ، وهو دائماً يخشى ان تنساب مياهه على الصحارى فتعود تلك تبادله غزوة بغزوة ، فهو حين يضمن للشطان مايكفى حياتها الخضراء يكون ضمن حياته ايضاً ، اذ أن خضرتها دفاع مستميت عن وجوده العذب ، وقد تفقد الشطئان طرفـــاً مـــن أرضهـــا تقدمـــه كعـــذارى وفـــاء للنيـــل ، هـــذا بعض ضريبة البقاء ،بل هو بعض ادخار ، اذ حين ينحسر يعيد للشط ماكان شطاً ليكون شطاً ، وعليه طمى وملح وشباب يتجدد هنا وهناك ، اخذ وعطاء .. الصحراء فكلا ، الف كلا لها الريح والشمس والقمر .. تمنحها الشمس والقمر الضوء والنظر الممل والحريق ، وتنشر الريح رسالتها الرملية ذرات . اخذ وعطاء .. هل انت سعيد ؟ وهل أعطيت لتاخذ ، أم هل اخذت لتعطى ؟ وهل تفعل ما تفعل لانك تجد راحة لاتجدها فى بيتك ؟ افضل الا تتحدث عن بيتك ! وانت حين زوجت رجلا ما كان حين تقدم اليك في نظر امك الا وظيفة سمينة «وانت بحمد الله فى سن الزواج»



كان عمرك ساعتئذ ثلاثاً وعشرين سنة .. حديثة التخرج في الجامعة «معليش لانريد ان نذوق من رزقك الآن ، بحمد الله ابوك يعمل والحال ميسور» ، تريد أن تزوجك سريعاً سريعاً ، «وهو شاب مركزه ممتاز ، أستاذ .. الجامعة ..» النحلة الطنانة صوت أمك ، «من أسرة .. يعنى .. عريقة ..» . اى مذهب للعراقة يعتنق اهل المدينة اليوم ؟ زمان كانوا ادق اختيارا ، يتبعون أصول الاسر الى العباس عم النبى ، كل عائلة ويتصل نسبها بالعباس او تنحدر من الشريف فلان والسيد علان تتذكرين ، وكان بالمدينة سادة ونقيض هؤلاء ، النقيض هذا من بعض ما رأيت انت من أهل ذلك الحى ، فى امدرمان ولو فحصت ارجاء المدينة جلها . سوادها ، لوجدت فيها من ذلك الحى مشابها ، وبعض هذه الانحاء صارت تقنع بفقرها ، لاتريد أن تتمرد عليه ، كالنيل الأزرق ، ذاك الجميل الذى اذعن .. قنعت تلك الاحياء بتاريخها ، كقول سراة القوم «يا سلام امدرمان القديمة» ، و هل أتى اعجابهم هذا باللبن للاطفال ؟ وهل أكل اهلوها السمك والفراخ ؟ أو كقول بعض الخواجات «آه انا نحب امدرمان جدا ، لانها اصيلة .. اما الخرطوم فانها مثل اى مدينة اخرى ، بالمناسبة هل تعرف بيتاً للايجار هناك يعنى فى الملازمين مثلا أو علي الشاطىء !» ، وهل تسر المدينة لمثل هذا الكلام ؟ أم هل أمكن للرجال التعساء أن يفدوا أولادهم بذبائح في العيد الكبير ؟ صه ! .

رحلة وطويلة قطعتها بالمثابرة والشوك والعذاب . وغير هذا ، زمان وانقضى . تذكر ذلك التحول المذهل فى حياتك يا ابن المامور .. تذكر كيف جاءك يوم لبست فيه عيونك عدسات الحقيقة ، لم تعد تفهم بعده ـ كابناء الأفندية ـ ذاك الهيكل الوظيفى الذى تسير عليه البيوت ، رب البيت ، ربة الدار ، الأبناء ، والخادم خادم ، ياتى للبيت أوان الفجر ، يكدح ، يمسح ينظف لحين أن يهبط المساء يعود ادراجه لكن الى أين ؟ من أولئك من كان يطمح للتعليم ، يدرس فى المساء ، مثل هذا ترغبون عنه لأنه ينصرف للدرس قبل حلول المساء ، إما المدرسة وإما العمل ، من يريد عملا فعليه أن يقنــع بجهالته ، مرة ما جاء الخادم فى الموعد المعلوم ، اذهب فتش عنه ، اعمل حسابك انه يسكن حياً

حمدى الدريس

ليس كحيكم ... اليوم يوم الغسيل والبيت مترب يحتاج نظافة ، والبيت كله اشتعل غبارا ، وناس سالم افندى معزومين عشا عندنا .. ذهبت غير مقتنع ، سالت سالت فارشدت .. ها هى امامك اشباه بيوت ، اقزام بيوت ، ليس فيها من مقام فتسميه بيتا ، نصف سقف هنا ، وههنا طرف جدار ، معزات هزيلات ، دجاج نحيل ، اطفال يمشون يا الله الله .. مثلما هم نيام .. وهزال ، وسالت ، سالت ، فارشدت . لقيته : خادمكم مريض ، وقد كان نشاطه فى العمل ينبىء انه سيظل على حاله ذاك الى ما شاء الله . واليوم ليس كما عهدت ، هذا نوع من البشر ان طرح جسده على مرقد فارقته العافية . ما كان اسمه ؟ لا تذكر .. الزمن طال .. لكنه لم يعد الى بيتكم ابدا .. ربما مات او تمرد او التحق بمدرسة ليلية .. ربما .. ربما .

تسالها :

ـ اى السحاب المطر ؟

ترد :

ـ الذى يحمل فى طياته الماء !!

هذه هى اللعبة التى ترتاح اليها ، تسالها فتجيب اسئلة تتسم بالغرابة والفجاءة .

ـ من هو طاغيتك الأثير ؟

ـ جنكيز خان ..

ـ عصره بعيد هذا اعنى طاغية مودرن !

ـ مسلم ام نصرانى ؟

ـ ليس مهما كل طاغية كافر إذ كل دين هو الانسان .

تفكر قليلا ترد :

ـ فاجاتنى تماما ، على كل انتخب شاه ايران وسوموزا

ـ فيك الخير ..

ـ كفى الليل لا يحتمل اكثر من اثنين !!

ـ فيك الخير ؟ .

ـ إذن الثالث النيل الأبيض لانه ابتلع الأزرق أخاه !

ـ شاه ايران وسوموزا ؟

ـ الشاه وتعرف أمره أما سوموزا فلأنه ثقيل !!

زوجك طاغية العصر ، لأن حزبه واحد هو نفسه ، وهو الصمت والاستغراق فيما لا ينفعك انت ، جمع حوله قداسة العلم ، إن شئت الصراحة الدقيقة عزلة العلم ، الوحشة ، عبقرى قالوا ، تذكره انت أيضاً كان يسبقك بسنين فى الجامعة ، تذكر صورته ، من ذلك النوع الذى تتحمس الجامعة لتبتلعه فى جوفها البارد ، صيد تؤهله الطبيعة لها ، مثلما الغزلان فى الغاب تعد لأجواف الأسود واقوياء الحيوان .. فصيلة هو منها ترى أن الحياة خارج الجامعة ضرب من الموت ، الجامعة ماء بحر او نهر ، وهو من صنوف اسماكها ، فيها صغير وكبير ، بلطى وخريش وكبروس ، وفيها القرش الكاسر ، ونظام بديع ، بديع حقا لأننا نقبله .

كنت تحلم أن تلقى وفاء فى موعد ليس يقاس بزمان ، فى مكان ليس يتسم إلا بانه لا تبصر به فى خارطة ، لا يوجد فى القارات الخمس اللائى جعلن للجغرافيا أساتذة زائرين .. وقاعات درس !

ـ وماذا لو عثروا على السادسة الضائعة .. أم هى الغارقة فى ماء الزمان ؟

ـ ليس مهما سيكون فيها عين ما فى الأخريات ! نساء حائرات وسلطان جائر !

تقول لها ، وترسم صور لما تريد ، إذ صارت وفاء قسماً من متعة اليوم وعذابه معاً .. اليك تعود افكار الخيال اليائس الرهيف .. ينتقل اليها مثلما هى تقرا ما انت فيه تقول باسمة وقد قرات افكارك :

ـ هل أنت على وعدك فى انشاء دولة الملح ؟

تقفز من التامل تصيح :

ـ قطعاً ، لن يدخلها مرضى ضغط الدم العالى ..

ضحكت واستانست بلهو الحوار ترد :

ـ وانا انشىء دولة السكر ..

تقول :

ـ ونجتمع أنت وانا بحق الجوار ،



ونجرى مباحثات ونصدر بيانا ختاميا .. يهتف يختطف الكلام :

ــ ونقول فى البيان اننا ننظر بعين القلق لما يحدث فى الشرق الأوسط ، وان الحل هو الالتزام بالقرار رقم ٢٤٢ .

ــ اه قيل ان الانكليزى اللورد رفع عن اقتراحه الحماية ، لحسه لحسا .

ــ هل لقيه مر المذاق ؟

ــ كلا بل سذاجة الركون اليه هى المذاق المر .

الصمت الفجاءة ..

تعودين بعد الضحك والاستئناس بلهو الحديث أم لغوه ، الى حجرات عالمك فى أيام دراسته بامريكا كان يهرع الى مكتبة الجامعة يوارى صمت نفسه فى صمت الكتب . وله غرفة صغيرة فى مركز الأبحاث . اوان الصيف فى الغرب الأمريكى ، فى ولايات السهول ، هواء رخاء صاف ، كانه مصنوع ، كل نسمة مقدار اخرى ، فى ثناياه رائحة اللانهائية ، والبرارى ورقصات السنابل حين يهب عليها ..

تخرجين احيانا فى المدينة الجامعية الصغيرة تتفحصين الناس وواجهات الحوانيت .. ومحلات الاسطوانات .. ثم تقفلين عائدة اليه :

ــ هل استمعت الى نات كول ابدا ..

ــ نات كول ؟! زمان .. زمان .. الم يمت بسرطان الرئة ؟؟

ــ ليس مهماً لقد مات على كل حال .

غاص فى صمته ، والى صمتك تعودين نات كول ثم موريس فوريه الذى كان يبصر امريكا بصوت نات كول ، وكانت بشرته كالحليب وشفتاه مثل الكرز ، جاء يزور اخته وزوجها من اهالى لورنس / كانساس ويعمل فى الجامعة زميلا لعصمت مصادفة ، إما بيع الاسطوانات تجمع كل الأذان عاشقة اللحون ، شفتاه كرزتان فوريه ، ما الذى يدفع امراة لتشتغل بالنسيب هكذا ، كتاب الحكايات صدقوا . هذه صدفة اخرى ، فرنسى فى كانساس ؟

ــ ما الذى اقدمك الى كانساس ؟

ــ وما الذى اتى بك انت ؟ .

ــ آه جئت لأرى شمس افريقيا فى غلالة السهول الأمريكية .. أليس هذا هو أصل البلوز ؟

ــ صه !!

وليل لورنس ما كان بليل ، ادنى من ثلاثين ألفا سكانها :

ــ هل تريدين الذهاب الى دودج سيتى تقولين بقلبك :

ــ امضى الى الصين إن تريد انت ..

ــ كل شىء معد ، فيرجسون سيتحدث الى عصمت ، فرصة لمشاهدة الكاونتى فير وبقايا الغرب الأمريكى .. هل سمعت عن بيلى ذا كيد ؟ طبعاً ، قيل قتله بوب فورد !

لم يكن لشفتيه مراى الكرز وحسب بل مذاقه ، يا هذه سبقت كل قومك ، انظرى .. ألف الناس يرون الرجال السمر يغنمون بيض النساء ، اولئك الذين يتزوجون وهم فى بعثات دراستهم . وغير هؤلاء اما فتاة سمراء تعشق رجلا أبيض فمحال ، انت لا تخونين زوجك وحسب انت خائنة لقومك . ولكن لكل شىء بداية لقد بدأت هذا . يحس فوريه ما يجول بذهنك .. مرهف الحس فوريه يقول مازحا :

ــ أنا أعلم قد لا تقبل اخلاق قومك ما انت فيه ، ولكن لكل امر بداية ، سيقدر الموقف يوماً ما ! بعد مئة عام أو مائتى عام كل عظيم عبقريته بعد مرور زمان ، يبدأ امره عذابا ، وامثاله يستعذبون ذاك العذاب ، وينتهى شيئا غيره مثل كلود ديبوسى انت ، يعنى قيل انه مجنون والآن توج عبقريا ! هذا حال الريادة فى كل شىء لاسيما الابداع ! ها .. ها .. الا ترين ان فوريه يذهب فى تفسير الامور مذاهب شتى ، بعضها جد بعيد .. عشية العزم على رحلة (دودج سيتى) جاء عصمت مهرولا صالح فرحا :

ــ وفاء .. وفاء .. قولى مبروك سينشر بحثى فى المجلة العلميــــة فى عدد ديسمبر ..

ثم يصمت قليلا ، يجمع انفاسه المبهورة يستطرد :

ــ بروفسور وايزمان اقترح بعض التعديل عليه .. هذا اعظم عالم فى هذا المجال فى كل الدنيا .. لذا سابقى عطلة نهاية الأسبوع كلها أراجع ..

نظرت اليه ببرود مثلما هى تفحص عالمه بعناية ، حقا لم يكن ذاك بوردا إنما كان هناك شىء ينشىء فى روحك فكرة ، قرار ، شىء يقول كونى طرفاً من اطار عالمه ، يصير هو حول اطار عالمك ، ان الغيرة لا تاتيه من اى مكان ، إلا اذا تفوق عليه فى العلم انسان :

ــ مبروك يا عصمت مبروك ..

ها هو يلقى بجسده على السرير ، يهز السرير مثلما هو طفل يلعب ، لنفسه يبتسم كانه يرى المجلة العلمية ، ويقلب صفحاتها منتصرا .. ثم يقول وهو منصرف الى اهتزاز السرير : ــ

ــ فيرجسون قال انهم سيذهبون الى الكاونتى فير .. اعتذرت انا لهم ، على كل حال يمكن ان تذهبى .. ساكون مشغولا طيلة العطلة ، طبعا يجب ان اراجع المقالة .

كان يمعن الى السقف نظرا ، على كل هذه فرصتك فاغتنمى .. فى الكاونتى فير مساء السبت جنة أضواء مسرفة الضوء ، مطاعم ، ومراقص ، وقبلات وعناق عاشقين ، مما لا يشعر المرء ان عينا فى مكان ما ، ترقب ، ترصد وتعاقب ... مازلت تحلقين بروحك فى كانساس ، سنوات طويلات قد خلون ، رقصتما ، صعدتما الى المراجيح ، ذقت خوف اللهو الكهربائى ، صرخت فزعا ، احتضنك فوريه .. لبدت على صدره مثل طفلة تمسح دموعها بكيس حلوى ..

تعودين الى بقعتكما حيث انت الساعة ، اللحظة ، الآن ، المجلة العلمية وحوت لعصمت مقالات ومقالات أخر .. وهذا هو الحال ، وحمى الدريس . وانت تعود للبقعة بعد سياحة رايت فيها دنيا ورايت الناس فى القماير ، رحلة وطويلة لاشك ..

فى الليل الارض تبدو سوداء ، على اديمها قطع من الضوء ، والمكان صامت لا يوحى بشىء سوى ان الرحلة كلها قد انقضت .

ها هو الجسر ، خلفكما شاحنة فارغة لعلها تلك التى اخذت ورق الطباعة للطباعة ، تعود الشاحنة خفيفة أصابت راحتها بعد جهد ثقيل ، هذا أوان الاياب ، قريب موعد يغفو الجسر بعين ويتقى باضوائه المنايا .. لماذا كان فرنسيا فى ذاك البحر الأمريكى المتلاطم؟ أهى القاعدة أم الاستثناء ؟ أم هى المصادفة ؟ نفسك افضت الى نفسك ، ونفس وفاء باحت لنفس وفاء ، واتصل بين نفسيكما الظاهرتين حديث ، والأوراق البيضاء يقتلها حبر الكلمات فى عصر السأمة ، المجلة العلمية ، الكاونتى فير ، القماير ، عصمت ، القماير ، فوريه ، مقالات الأستاذ ، بيلى ذا كيد ، الجسر اوان غفوته امامكما ، خلفكما ، شمالا ، يمينا ، ليس هناك إلا الصمت الفجاءة ، والفراغ السحيق .



يوميات بوبي ساندز

«إنني واقف على عتبة عالم اخر مرتجف ، فليشملني الله برحمته» .

كانت هذه هى الكلمات الأولى التى افتتح بها بوبى ساندز يومياته فى السجن فى السبعة عشر يوماً الأولى من اضرابه عن الطعام والذى دام ٦٦ يوماً .. وقد قام بنشرها فى شكل منشور الجناح السياسى للجيش الايرلندى السرى . وفيما يلى بعض المقتطفات نترجمها عن (الغارديان البريطانية) :

● اليوم الاول :

الأحد اول مارس ١٩٨١ ..

« كان القداس جليلا ، والاولاد كعهدهم متوقدين . ليلة أمس اكلت قطعة الفاكهة المقررة لى أسبوعياً .. كما شاء لى القدر . وكانت برتقالة بالسخرية ! إنها مرة . مازالوا يتركون طعامى أمام الباب ، وحصتى ، كما يتوقع ، اكبر كثيراً عن المألوف . «وصلتنى عدة رسائل من أسرتى واصدقائى ، قرأت منها ما خطته امى . كان ذلك ما احتاجه . لقد استردت روحها القتالية . انتى الآن سعيد» .

● اليوم الثالث :

«دخل على الاب تونر (وهو قسيس يبدو ان بوبى ساندز يتهمه بانه ساهم فى نسف الأضراب السابق) .. واشعر أنه يزنني سيكولوجيا لميعاد اخر لا حق .. فان كنت مخطئا فانى أعتذر ، ولكننى اظنه يحاول ذلك . ولذا جهدت للتخلص من اية فكرة عن تلك الليلة واعتقد انه فهم الموقف» .

● اليوم الخامس :

«استدعانى مكتب الخدمات الاجتماعية (بالسجن) وابلغت بمرض والدى ودخوله المستشفى . كانوا يحاولون ان يرونى اتوسل اليهم ليسمحوا لى بزيارة خاصة له .. مع اسرتى كنت مهموماً بمرض والدى ، ولكننى ارتحت بالا حين علمت انه خرج من المستشفى . يجب ان اواصل ، مهما كانت الامور .

«قرات ما قاله «اتكينز» وزير الدولة لايرلندا الشمالية) أمام مجلس النواب . ولم يقلقنى ما ردده عن موقف الحكومة فى شىء ، لأن ذهنى كان معداً لمثل هذه الاشياء .. واعرف انتى ساسمع المزيد منها .. الى النهاية المرة» .

«إننى اتلو صلواتى .. وربما قال احدهم اننى نهضت اليها فى اخر لحظة .. ولكننى أؤمن بالله .. بل يمكننى أن اتطاول واقول ان علاقتنا الآن على ما يرام .

«استطيع ان اتجاهل حضور الطعام الذى يحدق مباشرة فى وجهى طيلة الوقت . ولكن بى رغبة فى خبزٍ اسمرٍ غير مقشور وزبدة وجبنة هولندية وعسل .

«ها .. إنه (الاضراب عن الطعام) لا يحطمنى ، لانى اعتقد أن الطعام الذى ياكله البشر لا يمكن مطلقاً أن يبقى المرء حيا الى الابد واعزى نفسى باننى سانال الوجبة الكبرى هناك .. فى الاخرة .. ان كان بى فضل لاستحقها . ولكن تخالجنى فكرة مفجعة ، وهى انهم لا ياكلون هناك ..

«لقد اشتد غضب رياح مارس هذه الليلة» مما يذكرنى باننى سابلغ السابعة والعشرين فى يوم الاثنين» .

● اليوم السادس :

«ظللت افكر بان بعض الناس ، وربما اناس كثيرون ، يلوموننى على هذا الاضراب عن الطعام ولكن .. لقد حاولت كل طريق ممكن للحيلولة دونه .. ولم يبق مما قعدت عن محاولته سوى الاستسلام» .

«بمقدورى أن اسمع اسراب طائر الكروان وهى تعبر .. فوقى . انها زنزانة موحشة ، ونضال موحش .. ولكن هذا الطريق يا اصدقائى سلكه كثيرون قبلنا .

● اليوم السابع :

«السماء ممطرة ، ولا احس برداً . ومعنوياتى طيبة ، ومازلت ادخن فى احايين ــ انحلال ؟ ليس كاملا . ولكن من منا كامل ؟

● اليوم التاسع :

« إنه عيد ميلادى ، والرفاق يغنون لى . طوبى لسماحة قلوبهم . وقد تشجعت حتى بلغت الباب لأن رفاقى طلبوا منى ذلك .. لألقى كلمة» .

● اليوم العاشر :

مما قراته فى الصحف ، اصبحت قلقا بشكل متزايد وحذراً جداً .. لانه قد تتم محاولة فى وقت لاحق لسحب البساط من تحت اقدامنا ، وتقويض موقفنا ، ان لم يكن نسف هذا الأضراب عن الطعام ..

ذلك لن يحل اية مشكلة . ولكن انفجارا هائلا مقترنا بصوت الجهات الكاثوليكية العليا يمكن ان يضر بموقفنا . ومن رايى انهم لا يريدون تحت اية ظروف ان يروا السجناء يكسبون وضعا سياسيا او وسائل مساعدة تشبه او يمكن ان تمكننا من الحصول على ما يتضمن الوضع السياسى والاعتبار السياسى .

«زنزانتى ابعد من ان تكون نظيفة .. ولكن يمكن احتمالها . والماء بارد دائما ، ولا استطيع المجازفة بالاصابة بنزلة برد او انفلونزا .

● اليوم السادس عشر :

تركوا عشائى داخل الزنزانة هذه الليلة عندما كان الاب «مورفى» معى .

● اليوم السابع عشر :

«هذا يوم ذكرى القديس باتريك . كنت فى القداس وقد قص شعرى قصيرا وكان افضل مظهراً . لم اعرف الاب الذى قام بالقداس . وكان الحجاب يوزعون الطعام على كل العائدين من القداس . وقد حاولوا ان يعطونى طبقا .. ووضع الطعام امام وجهى . ولكننى واصلت طريقى وكان شيئا لم يكن .

اليوم كنت افكر فى هذا الأضراب . ان الناس يقولون الكثير عن الجسد ، ولكنهم لا يثقون به . وفى رايى ان هناك نوعا من القتال .. حقيقة فالجسد فى البداية لا يقبل عدم وجود الطعام ويقاسى من اغراء الطعام والمظاهر الاخرى التى تدغدغه بشكل دائم . ويقاوم الجسد ، ولكن كل شىء يعود فى النهاية الى الاعتبار الأولى .. الى العقل .. فالعقل هو الاكثر اهمية .

انهم لن يحطمونى .. لأن الرغبة فى الحرية وحرية الشعب الايرلندى فى قلبى» .

وقد مات بوبى ساندز فى الخامس من مايو الماضى بعد ٦٦ يوما من الأمساك عن الطعام .



شاعر جنوب افريقيا : ميشى مابونيا

الارض الجائعة

على شرف الذكرى الخامسة لانتفاضة «سويتو» قامت فرقة (باهو موتسي) من جنوب افريقيا بجولة فى بريطانيا لعرض مسرحية «الارض الجائعة» . وفى فترة لا تتجاوز الثلاثة أشهر ، انتهاء باغسطس ١٩٨١ ، قدمت الفرقة المكونة من ثلاثة اشخاص بقيادة الشاعر «ميشى مابونيا» اكثر من خمسين عرضا فى مدن مختلفة ببريطانيا .

والمسرحية التى لن يقدر للجمهور فى جنوب افريقيا ان يراها تحت ظل نظام بريتوريا تصور بقوة جذور التفرقة العنصرية وآثارها على السود فى جنوب افريقيا ، كما تعكس الثقة المتنامية فى ادب جنوب افريقيا باقلام افريقية ، والذى لم يعد فريسة للارهاب الثقافى الاوربى بعد ان وجد منطلقه وارتكازه افريقيا وبشكل فذ .

وتستكشف المسرحية التفرقة العنصرية من خلال نظرة مجموعة الفرقة التى تتبادل الادوار والعلاقات اثناء اطراد نمو المسرحية متتبعة ذل واقع العمال المهاجرين من ثكنة العمال الى المزرعة بالقطر ، والى المناجم ـ وهى التى يشير اليها عنوان المسرحية .

فى هذا العمل المسرحى الفذ تجتمع النظرة الافريقية للتاريخ مع الاحداث المعاصرة لتبلغ قمتها فى المنظر الذى يصور بداية فرض قانون «هوية المرور» ، وتذبيح المتظاهرين فى شاربفيل وذلك فى خلفية من الصرخات الهستيرية الصادرة من النسوة اللائى مات ازواجهن اثناء الحفر اللانهائى فى مناجم الذهب ، عصب وجود النظام العنصرى فى بريتوريا .

يعترف «ميشى مابونيا» ـ ٣٠ سنة ـ بانه مدين للمسرحى الألمانى بيرتولد بريخت ، ولكنه يؤكد ان مسرحيته هذه افريقية ، وعن افريقيا ، وقد طورها باسلوب يجعلها افريقية لحما ودما . إن النقطة المركزية فى هذا العمل هى استخدام اللغة بشكل مثير من قبل الفرقة التى ترسم المواقف فى مزيج من اللغة الانجليزية ولغة الافريكان ولغة الزولو والسوتو ، ولكن ما يعطى العمل اصالته وتجذره فى تراث المسرح الأفريقى الأخلاقى هو استخدام التعليقات الايقاعية الكورالية :

«اننا نستخدم اللغات الافريقية» كما يقول مابونيا «لانها اغنى واقوى من اللغة الانجليزية فى إثارتها الدرامية ..

ولان اللغات الافريقية كلها صادرة عن نبع واحد .. لان الناس كانوا يتحدثون لغة واحدة ذات يوم .. ونحن نريد ان نجعل تلك الروابط اقوى» .

ولكنه يعى بشكل فريد ضرورة عدم الكتابة بلغته الام وحدها ، لانه ان فعل سيكون متواطئا بالمساهمة فى تطبيق نظرية التنمية المنفصلة التى تديرها بريتوريا . ويعتقد (مابونيا) ان الحاجة الملحة لاكتشاف ثقافة جنوب افريقيا من جديد يمكن ان تشكل احبولة وفخا للغافل من الكتاب .. وفى ذلك يقول :

«هناك مسارح كثيرة فى جنوب افريقيا تتعامل مع الشباب القادمين الى المدن من الريف ، والذين يواجهون شتى المشاكل ، ثم يعودون الى اهليهم .. وهى ما يطلق عليها مسارح «جيم يذهب الى جوهانسبيرج» . وتجد هذه المسارح سندا كبيرا من سلطات بريتوريا لانه كلما زاد عدد السود الذين يتقبلون لنظام المناطق والاقاليم ، ازدادت السلطات البيضاء اطمئنانا بنظام التنمية المنفصلة» .

ولذا تحاول فرقته ، فرقة (باهو موتسى) والتى يعنى اسمها «خفف الهم عنا» ، ان تطور مسرحا ملتزما . وهذا هو المسرح الحى ، كما يقول (مابونيا) ، لانه من السود انفسهم ، ويجتذب جمهوره منهم لانه مرآة وصوت المستلبين ، ولكنه محفوف بالمخاطر ، من ناحية مالية ومن ناحية السلامة الجسدية الشخصية للعاملين به .

وكان (مابونيا) قد كون فرقته عام ١٩٧٦ بعد أشهر قلائل من انفجار الغضب فى سويتو وقد الهمته مسرحية كتبها القس «ماكسينيا» بعنوان «هبنا هذا اليوم» ، وحرم عرضها أخيرا فى عام ١٩٧٥ ، وهى عن صرخات وشكوى شعب جنوب افريقيا الاسود .. وكانت مثل صلاة .. وقد اقنعت (مابونيا) بأن ما يحتاجونه هو «مسرح يقوم على سند من الناس ، وبدوره يقوم بمساندة الناس فى نضالهم» . وكانت مسرحيته الأولى «الصرخة» سياسية واضحة ، عرضت مرتين فقط ثم أوقفت السلطات عرضها .. وأصبحت محظورة .

فى عام ١٩٧٨ قدمت لمابونيا منحة دراسية من اتحاد المسرح البريطانى لدراسة الدراما بكلية سنت مارى بشلتنهام . وقد اقتنع بعد ستة اشهر من الاقامة والعيش فى حرية وسط عالم محافظ .. أن قضية (سويتو) لابد من النظر إليها فى اطار عالمى .

وفى مسرحيته الثانية (السلام والغفران) استخدم قصة تقليدية حول الصراع بين القبائل فى افريقيا ، وذلك كرمز للصراع بين السود والبيض اليوم . وقد عرضت امام جمهور من جنسيات مختلفة ، فى جوهانسبيرج و (سويتو) . ولكن مسرحية (الارض الجائعة) لم تعرض على الرقيب ، وبذا لم تمثل فى جنوب افريقيا الا امام نخبة من المشاهدين فى (سويتو) .

ورغم حرمان الفرقة من المساعدات المالية فى جنوب افريقيا ، وتقييد العروض التى تقدمها بقانون «هوية المرور» ، فان اعضاء الفرقة يواصلون نضالهم وجهادهم .. فهم يعملون فى وظائف تستغرق جل يومهم لكى يستطيعوا مواصلة تقديم عروضهم :

«لست رجلا يؤمن بالعنف .. ولكن علي ان افعل شيئا لتغيير الاحوال الى احسن» يقول (مابونيا) ، الذى انبثقت رؤيته من مزيج من الحب والحقد ..

وربما اخيرا
عندما يهبط الستار على الفصل الاخير
من الدمار الذى سببوه
ربما استطاعوا ان يدركوا
عمق حبنا لهذه الارض
ومدى عنايتنا بكل من عليها
بيضا كانوا أم سودا
احرارا وغير احرار .



شاعرة ام تحفة من الغرابة ؟

علق الناقد ف . ر . ليفيز ذات مرة بان آل سيتويل ينتمون الى تاريخ الدعاية اكثر من انتمائهم الى تاريخ الشعر ، وكان يمكن للصورة ان تكتمل ان اضاف انهم يتعالون بانفسهم فى



الشاعرة البريطانية إديث سيتويل

نوع من الدراما الشخصية الى حالة من الفن ، وذلك ما قامت به إديث سيتويل حين قالت عن نفسها وأخويها الاصغرين : (إن لنا جميعا ما يظهرنا كاسطورة) .

وترى الناقدة فكتوريا جلدينديج فى كتابها الصادر حديثا عن دار نشر كنويف ان اروع قصيدة الهمتها الشاعرة الانجليزية هى اديث ستويل نفسها ، إذ تقول :

إنها أروع قصيدة الهمتها ، وكانت قد وصفت نفسها ذات مرة فى دفق من الأخيلة الرقراقة قائلة إن جزرا ومدا يجريان فى دمى ، وطبيعتى عاصفة ومتغيرة كما المياه» . وتبدو فى رداثها الأسود وجسمها النحيل ولحظات صمتها المباغتة كما لو كانت واحدة من تلك الظلال السوداء الحزينة التى تحوم كالاشباح فى بيتهم .. وكواحد من نذر الشؤم والهلاك .

وسرها هو حضورها الجسدى الخارق .. فهى بقامتها الفارعة وانفها الطويل كمنقار الصقر ، كانت ستبدو شخصا شاذا ان حاولت ان تشبه الناس العاديين . وعوضا عن ذلك حولت نفسها الى شىء رائع كما لو كانت لوحة قوطية .. فكانت تغطى راسها بما يشبه القلنسوة ، وترتدى ثيابا مقصبة وخواتم ضخمة بارزة من العاج ، وتنظر للعالم من عل بعيون بيزنطية .

وقد وصفها المصور سيسل بيتون الذى تبدو وكانها خلقت من اجل الة تصويره بانها كانت طويلة ورشيقة كالفزاعة .. ولها بدا قديس من القرون الوسطى .. وتبدو وكانها قد مرقت كاملة الخلقة من فتحات حصن وبرج قاعة رينيشهول كشكل من النسيج المزدان بالصور .

كانت اديث ستويل تبصر نفسها كمنافحة عن الفنون فى وجه حشود همجية . وكانت بها قدرة خارقة كالعبقرية فى إجتذاب الشخصيات المهمة لمؤازرتها فى حربها المقدسة . وفى ثمانية عشر عاما قضتها فى «بايرز ووتر» فى لندن بعيدا عن العائلة ، كانت حفلات الشاى التى لا تقدم فيها سوى كعك يابس وفسحة لوضع قدم محط تدافع فنانين وكتاب من امثال ت . س . إليوت و اى م فورستر ووليم بتلر ييتس وفيرجينيا وولف .. وحين يكون المرء تحت رعايتها ، مثلما حدث للشاعر الشاب ديلان طوماس او الرسام الروسى المغترب باڤيل شلتيشيف الذى احبته اديث طوال ثلاثين عاما بكل قلبها العذرى ـ كان يعنى ان يكون المرء موضوع اخلاص وولاء رهيب وخانق واقطاعى فى بعض الاحيان فى صرامته . اما ان يكون المرء عدوا لها ، فذاك يعنى ان يوضع فى قائمة سوداء ، وربما قدم لمحاكمة ولكن المؤكد انه يسب ويلعن دون مواربة .

لقد تعاظمت الصغائر فى عالم الادب ، وارتفعت كدودة لتهيننى» كما قالت مرة مغضبة ، وكانت غارقة فى الديون .

وعند نشوب الحرب الكونية الثانية كانت اديث ترتق الجوارب بينما تنصت لموسيقى (ديبوسى) وتجترع الجن فى شراهة . وكانت اسطورة ال ستويل التى حوفظ عليها منذ الحرب الأولى جاهزة للتقاعد .. مثل الامبراطورية البريطانية .. فنزحت اديث بسمعتها الخرافية الى الولايات المتحدة .. حيث وجدت استعدادا لدى الامريكيين لدفع ٣٥ دولارا ثمن تذكرة الدخول لسماعها تلقى الشعر بمصاحبة موسيقى وليم دالتون . وصار كل فعل يصدر منها خبرا . وتحولت الى الكاثوليكية فى سن الثامنة والستين ، وزارت هوليود بصحبة مارلين مونرو ، التى وصفتها بانها (شبح ربيعى صغير وجنية بريئة للخصوبة وروح نباتى لما كانته اوفيليا) .

وفى شيخوختها امست عرضة للسقوط وهى مرتدية اثوابها واغطية راسها الضخمة .. وكانها طائر ضخم جريح . وما كادت تفرغ من كتابة سيرتها الذاتية حتى قضت نحبها فى عام ١٩٦٤ فى سن السابعة والسبعين ، مخلفة سؤالا ما زال ينتظر الاجابة (هل كانت شاعرة من الطراز الأول ام مجرد تحفة من الغرابة والطرافة الانجليزية .

مؤلفة هذا الكتاب الجديد ترى انها كانت الاثنين معا ، وهى تسبغ الاطراء على نظرتها الى العالم كحديقة رمزية . وهى بالتاكيد فى قصائدها عن العصر الذرى رائية حديثة ومفسرة لآلام البشرية . وما كانت خرافة اسرتها لتحيا لو لم تهتم اديث بالشعر . وهذا انجاز كبير بحد ذاته فى عصر النثر .

استعادة الكنوز الفنية لدول العالم الثالث



كشفت ندوة عقدت مؤخرا فى لندن حول «التراث المفقود» عن مدى وحجم الدمار الذى سببته القوى الاستعمارية حين قامت بنقل الكنوز الثقافية من المستعمرات الى بلادها الاوروبية ، وشجعت عبر التهريب والاتجار غير المشروع استمرار تلك العملية .

وبالرغم من ان الاحصائيات مازالت مفتقرة الى الدقة ، فان مدير الآثار النيجيرى يقدر ان نيجيريا وحدها قد فقدت اكثر من نصف ممتلكاتها الثقافية بدخول الحكومات الغربية والاديان الغربية إلى اراضيها . اما دول جنوب المحيط الهادى فيمكن الجزم بانها فقدت كل شىء

ومما يزيد الشعور بالمرارة والظلم لدى دول العالم الثالث ان الغرب ظل ينظر الى الاعمال الفنية التى تزين متاحفه ومجموعات المقتنيات الخاصة فيه باعتبارها مجرد تحف وزينة فنية وزخرف . وحتى بيكاسو الذى وجد فى الفن

الافريــقي كشفـا ووحيا وراى فى المنحوتات الغريبــة علــى عينيه وعيون زملائه ما ينطق بلسان عالمي بدائي ، لم يستطع ان يدرك أن الفن الأفريقي حتى فى ذلك الوقت كان فنا وظيفيا اكثر منه فنا تعبيريا ، وفنا مباشرا يتمتع لدى متلقيه الاصليين بقيمة ثقافية وروحية رفيعة « فالبنسبة لنا » كما يقول الامين العام لمنظمة المتاحف والآثار والمواقع الاثرية بافريقيا « فان نحت (بنين) او الذهب المشغول فى الاشانتي هو اكثر من مجرد قطع فنيه .. فاهمية هذه الاعمال لنا فكرية بقدر ما هي عاطفية »

ومما يذكر ان الرئيس الكنغولي موبوتو كان قد شجب سرقة الآثار التى تسلب بلاده من اعمالها الفنية ، كما ان معهد الثقافة ، الافريقية بالسنغال يعمل باصرار على ترسيخ مبدأ عام بقبول اعادة الآثار والاعمال الفنية الافريقية الى اهلها . ويقوم اليونيسكو بمحاولات دبلوماسية هادئة مناصرة لقضية إعادة الآثار والاعمال الفنية المسلوبة الى بلادها . وتمت تحت رعايته مفاوضات ثنائية لاعادة اعمال بعينها . ولا يأمل اليونيسكو بالطبع فى إعادة كل ما اخذ ، ولكنه يسعى لاعادة تلك الأعمال التى تمثل قيما اساسية بالنسبة للتراث الثقافي للبلد المعني .

ولا يجد طلب اعادة الممتلكات الثقافية سوى سند ضئيل من القانون الدولي ، كما ان الدول الغربية تتلكا فى رد الآثار التى استحوذت عليها من العالم الثالث لخوفها من الاعتراف الضمنى بان تلك المقتنيات قد تم الاستيلاء عليها بصورة غير شرعية . ومع ذلك فقد اعترف مدير المتحف البريطاني فى الندوة بان القطع موضع النزاع قد نقلت الى الغرب بطرق مهما



بدت غير اخلاقية او غير سليمة بمقاييس عصرنا إلا انها كانت قانونية ومشروعة ضمن ذلك الزمن الاستعماري .

وقد اقترح فى الندوة انشاء صندوق لتمكين العالم الثالث من استرجاع ثروته الثقافية عن طريق شراء القطع التى تعرض فى السوق ، وشرعت تجريبيا بالفعل فى شراء بعض القطع بسعر السوق ، ولكن ذلك غير متيسر بالنسبة لمعظم دول العالم الثالث الفقيرة . فقد عرضت ــ مثلا ــ قطعة نادرة تعود الى القرن السادس عشر ، وهى عبارة عن مخطوط مصور من بنغلاديش ، للبيع فى بريطانيا . وكان صاحبها قد عرضها على متحف بنغلاديش القومي بسعر مخفض . ومع ذلك كان السعر اكبر من جملة ميزانية المتحف البنغالي لثلاث سنوات .

والعائق الأساسى المبدئى هو ان الدول التى بحوزتها الآثار الثقافية المتنازع عليها هي التى يتوقع منها ان توفر الجزء الاكبر من مال الصندوق المزمع اقامته لاخراج تلك الممتلكات منها .

الشعر فى ظل الرعب النووى

ما قيمة الشعر فى عالم مهدد بالكارثة ؟
لمعالجة هذه القضية اجتمع حشد من الشعراء فى ندوة عقدت فى يونيه الماضى بجامعة كمبردج . وقد عبر الناقد «جورج شتاينر» عن عدم الارتياح والرضا بهذا الطرح قائلا ان الشعراء لا يستطيعون وضع مانيفستو عن الاحتياجات بنفس القدر الذى لا يمكنهم برمجة ما هو ضرورى .

وشهدت الندوة نقاشا حول التهديد النووى لمستقبل البشرية ، اضاعته قصيدة بعنوان «ساحل كمبردج الرملى» للشاعر «ادريان ميتشيل» ، صور فيها الصحراء الغارقة فى الاشعاع الذرى التى ستبقى بعد انفجار نووى ماوى للخارجين من احد المخابىء بعد الحرب العالمية الثالثة ، ولكن شتاينر انتقدها واصفا اياها بانها نوع من «بروباجندا» الاثارة .

اما مايكل روان روبنسون ، وهو شاعر وفلكى ، فقد حاول ان يصور الكارثة المحيقة بالبشرية على ضوء رؤية فلكية كونية قائمة على ان الشمس ستضحى عملاقا احمر يبتلع الأرض . ومع ذلك كان من رايه ان للشعر قيمة وامكانيات اخلاقية وسياسية هائلة ، احترقت روما ام لم تحترق ، وحتى اذا كانت السفينة غارقة لا محالة ، فلابد ان تستمر الاوركسترا فى العزف .. تخفيفا لثقل الكارثة ، وضبطا للنفس .

وكان من راي انطونى رودولف ــ وهو شاعر ومحرر ــ ان يعطى اهتماما اكبر للمسائل والقضايا العامة ، فمن لا يفعل شيئا او يظل صامتا انما هو فى واقع الامر متواطىء مع القوى التى تعد العدة للرعب النووى .. وان اشتغال الشعراء والمثقفين عامة بالقضايا المتخصصة وحدها فى ظل الرعب النووى هو انتصار لتلك القوى المدمرة .. فاذا ما قامت الحرب الثالثة لن يستطيع شتاينر الذى يدرس الأدب المقارن بجامعة جنيف بسويسرا المحايدة لن يستطيع أن يستمتع بالموسيقى الجيدة او بقراءة الشعر او كتابة النقد .. لانه لن يكون ثمة معنى لاي نشاط إنسانى .. والعالم قد مات . ولكن شتاينر رد بان الشاعر اذا ما سال نفسه عن قيمة وفائدة قصيدة له ، فانها ستكون بهذا المنظور قصيدة من الدرجة الثانية . فالشاعر الحق يمثل فعلا خلاقا ينبع من الضرورة المطلقة . فاذا لم يكن ضروريا يمكننا الاستغناء عنه . والقصيدة ، كما يرى ، هى اكثر حــــدث مهم فى وجــــه لغة الدولة التى تعيش خارج اطار المجتمعات متعــــددة الوظائف .. وشبه مثل تلك القصيدة بالاوكسجين فى حجرة مغلقة . كما اصر على انه ما من قصيدة يمكن ان تهز حكومة غربية تماما مثلما لا يمكن لكتاب ما ان يغير حساسية او وعي السياسة الغربية .

ويبدو ان الشعراء قد اجمعوا على انهم لا يمكن ان ينخرطوا فى دور .. وفى النهاية قدم اقتراح اجيز بالاغلبية يدعو الى توجيه خطاب الى رئيسة وزراء بريطانيا يطلب اليها إزالة كل الصواريخ النووية والقواعد من ارض بريطانيا .

الإبداع فى الشعر

بقلم الشاعر الإنجليزي : ستيفن سبندر
ترجمها بتصرف : شاكر عبد الحميد سليمان

فى البداية يجب أن أعترف أن لكل شاعر طريقته الخاصة فى الكتابة وفي التفكير وفي النظر الى الأشياء والشعور بها ، لكن في كل الحالات فان نشاط كتابة الشعر يحتاج الى قدر كبير من الانتباه كما ينبغي أن تتوفر له كفاءات خاصة فى عمليات الإبصار والسمع والخيال والذاكرة وغيرها ، والشاعر يجب أن يكون قادراً على التفكير من خلال الصور كما يجب أن يتمكن من لغته ويسيطر عليها ، فاللغة بالنسبة للشاعر كالالوان بالنسبة للمصور ، وكل ما سبق يعني انه فى المجتمعات الانسانية يجب أن يكيف الشاعر نفسه ــ سواء من خلال الكثير او القليل من الوعي ــ مع متطلبات وضروريات عمله ، ومن ثم فان خصوصية الشاعر والشروط الغريبة المرتبطة بالالهام تعد من وجهة نظرى ضربا من الجنون !

إن الشاعر يجب أن يكيف شخصيته لمتطلبات فنه وهذا قد يساعد فى فهمنا للشعراء الآخرين وايضاً فى فهم بعض اشعارهم . واليوم نحن نفتقد دون شك وجود نظرة كلية شمولية للشعر. كما اننا نركز على جوانب معينة من الشعر ونهمل الجوانب الأخرى ، فحركات الشعر الحر والسريالية والتعبيرية والخيالية ، والشعر الذاتي وغيرها تجعل بعض الأفراد يظنون أن الشعر هو مجرد نشاط يتعلق بالكتابة الايقاعية أو هو قيام بانتاج تداعيات وارتباطات طليقة وغير مقيدة بين الأشياء ، أو هو التفكير من خلال الصور فقط والرسم بالكلمات بما يقترب من حافة الجنون (السيريالية) وان ذلك يتم من خلال الربط البعيد أو غير المباشر بين بعض الكلمات مثل : ليل ، ظلام ، نجوم ، أزرق ، سحب ، صحراء ، نار ، قمر ، وغيرها . فهل هذا هو الشعر ؟ إن الأمر اكبر من ذلك وأعظم عمقاً بكثير ، ولعل في محاولتي لتوضيح كيف يؤدى الشاعر عمله ومن خلال خبرتي الشخصية ما قد يؤدى الى بعض الوضوح فى هذه الصورة غير الدقيقة عن الشعر وعن الشاعر .

التركيز

إن جوهر الكتابة الابداعية يتعلق أساساً بعملية التركيز ، ومن ثم قد يقوم بعض الشعراء باكتساب بعض العادات أو الطقوس التى تسهل عملية التركيز بالنسبة لهم والتركيز بالنسبة للشعر

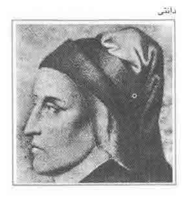

موزار


بيتهوفن



الشاعر بول فاليرى مع عائلته

يختلف دون شك عن حالته بالنسبة لحل مشكلة أو مسألة حسابية ، إنه تركيز للانتباه بطريقة خاصة ، وفيه يكون الشاعر واعياً بكل الدلالات وإمكانيات التطور والارتقاء الخاصة بافكاره ، إنه تركيز يتجه ناحية الضوء والدفء ومن خلاله تتفجر ينابيع الابداع ، إن القهوة هي وسيلتي المفضلة في اجتلاب التركيز ، أما « أودن » فقد كان يشرب عدداً كبيراً من أكواب الشاى ، وقد لاحظت أنه مع تزايد التركيز فانني أنسى مذاق السجائر في فمي ومن ثم فانني أميل الى تدخين سيجارتين أو ثلاث في



دانتي

نفس الوقت ، إن هذا يكون من اجل إيجاد احساس خارجي يخترق جدار التركيز الذى ضربته حول نفسي ، وقد اخبرني الشاعر « دي لامير » ذات مرة أنه يعتقد أن الرغبة في التدخين اثناء كتابة الشعر تنبعث من خلال الرغبة الداخلية العميقة في ذلك ، أكثر من كونها مجرد مثير خارجي ينبه المرء ، فهي تجعله قادراً على التغلب على عوامل التشتت وعوائق التركيز التى تاتي من البيئة في كل لحظة ، بل والتى تاتي أيضاً من داخل الجسم نتيجة لحاجاته البيولوجية الملحة .

إن الشعراء يتحدثون عن الضرورة الشديدة والملحة التى يشعرون بها لكتابة الشعر أكثر من حديثهم عن حبهم لهذا النشاط ، فالكتابة عملية شاقة تماماً إنها إجبار واضطرار نفسي وضغوط من العقل كي يصل المرء الى اعلى مستويات الفن ، ومن ثم فهي ليست بالعملية المبهجة أو السارة تماماً ، ومن وجهة نظرى فانه من الضرورى التمييز بين نوعين من التركيز : فبعض الشعراء يكتبون أعمالهم بطريقة مباشرة ، وعندما تكتب فانها نادراً ما تحتاج الى المراجعة ، أما البعض الآخر فيكتبون عدة نسخ من القصيدة ، وعلى مراحل بحيث انهم عندما يصلون الى النهاية تكون علاقة النسخة الأولى بالنسخة الأخيرة علاقة طفيفة ، ويمكن أن نجد هذا واضحاً حتى في مجال الموسيقى فنجد ان « موزارت » كان يكتب الحانه بسرعة وبطريقة مباشرة ، وأثناء رحلاته ، وخلال تعامله مع عديد من المشكلات والمواقف الحياتية يكتبها كاملة غير منقوصة ، اما « بيتهوفن » فقد كان يكتب شذرات متفرقة من الموضوعات ويحتفظ بها بجانبه ويكملها عبر السنين ، وغالباً ماكانت افكاره الأولى غير بارعة ، ولكنه كان قادراً على أن يصنع منها اشياء عظيمة بعد ذلك ، والفرق بين الاسلوبين ان الأول يكون قادراً على أن يسبر الأعماق بطريقة خاطفة وبمجهود خارق ، سريع ومتواصل ، اما الثاني فهو يحفر طبقة وراء طبقة ، أعمق فأعمق والمسئول الأول عن اي من الحالتين هو الرؤية الفنية للمبدع التى ترى وتكشف وتواصل حتى توصله للهدف ، وهذا هو منطق العمل الفني ، والشاعر قد يوهب عقلا رائعا وقويا و موجها ، وقد يكون بطيئا أو متهوراً .. هذا لا يهم .. المهم هو أن يحدث تكامل بين الهدف والقدرة ، للوصول الى الهدف دون أن يفقد المرء ذاته ، وبالنسبة لي فانني اقوم خلال كتابة الشعر بعمليات تركيز مباشرة ، لكنني اخاف كثيراً من عدم تمكني من إكمال القصيدة ، فلدى قصائد كثيرة غير مكتملة ، ومن ثم فان الاسلوب الذى اتبعه هو أن اكتب كل الأفكار الممكنة فى كراسة خاصة بالشعر ، ولدى حوالي عشرين كراسة ممتلئة بقصائد مكتملة وغير مكتملة ، وهذه القصائد اهتم ببعضها وأهمل بعضها الآخر ، إن الشاعر يجب أن يميز جيداً فى عقله بين ما يجب قوله وما لا يجب قوله ، وهو يستطيع أن يقول الكثير من خلال موسيقى الشعر ودلالات الألفاظ .

إنني اتفق تماماً مع « بول فاليرى » في قوله « ان الله أو الطبيعة قد ينعمان علينا بمطلع القصيدة لكن اكمالها هو اكتشافنا الخاص » ، إن خبرتي عن الالهام تتلخص في انه قد تاتي لي كلمة أو عبارة أو اشارة او فكرة غامضة

الإبداع فى الشعر

● الذاكرة هى الجهاز الحساس الذي يتميز به كل الشعراء المبدعين الذين امتدوا إلى ماوراء السطح الظاهر للزمان والمكان!


ورد زورث


وليم شكسبير

كالسحابة البعيدة التى اشعر بضرورة تكثيفها فى شلال من الكلمات ، إن هذا يعني أن أهمية الالهام ـ إن وجد ـ هي أهمية قليلة بجانب ما يستطيع الشاعر نفسه أن يعطيه ، إنه بالنسبة لي يشبه ضوءاً خافتاً يساعدني فى الاستبصار بما حولي ومن ثم فانه يصعب علي ان أتصور وجود شيء يفوق فيأهميته وعي الشاعر بفنه وبالعالم الذى يعيش فيه .

الذاكرة

يتميز كل الشعراء المبدعين بوجود جهاز حساس ومتطور هو الذاكرة ، فهي تجعلهم يعودون ويتذكرون كل الخبرات المبكرة ولا ينسون الانطباعات الحسية الهامة التى تاتي اليهم فى لحظات هامة من حياتهم ، فمقابلة « دانتي » الاولى مع حبيبته « بياتريس » عندما كان عمره تسع سنوات فقط هي الخبرة التى اعتمد عليها فى تكوين وبلورة « الكوميديا الالهية » والطبيعة الجميلة والصاخبة المنتشرة فى قصائد «وردزورث» هي نتاج خبرات متراكمة مر بها عندما كان طفلا صغيراً ، ورغم انني لا أمتلك ذاكرة جيدة لأرقام التليفونات وللاعداد الحسابية والعناوين والوجوه البشرية ، إلا انني امتلك ذاكرة جيدة بل ومتفوقه بالنسبة للاحساسات الخاصة ببعض الخبرات التى مررت بها والتى تبلورت داخل نفسي وكونت دلالات معينة ، وقد تثار في نفسي بعض الهواجس فجاة وتعود بي وتردني مباشرة الى فترات مبكرة من طفولتي فاتذكرها وأعيش فيها لحظات انسى خلالها حاضري ومكاني .

●●●

وربما كان من الحقيقي أن نقول إن الذاكرة هي ملكة الشعر حيث أن الخيال نفسه هو بعض التدريبات التى تقوم بها الذاكرة ، إن قدرتنا على التخيل ترتبط الى حد كبير بقدرتنا على التذكر لما مررنا به من خبرات ومحاولة تصوره فى مواقف جديدة ومختلفة ، وهكذا فان أعظم الشعراء هم من استطاعوا ان يمتدوا بذاكرتهم الى ما وراء السطح الظاهر للزمان وللمكان .. الى كل ما يستطيع الخيال ان يصل إليه ومع اقل قدر ممكن من التمركز حول الذات ، بل من خلال الامتداد والشمول لكل ما تشمله الطبيعة من كائنات واشيـاء .

الصـدق

إن حياة العديد من الشعراء أمثال شكسبير ووردزورث وغيرهما تبرز أهمية ودور الصدق مهما اختلفت شدته ومداه فى الابداع الشعرى ، إن الشعر بالنسبة لي عمل مقدس ، إن خبرات الشعراء الخصبة وإدراكاتهم النهائية ومشاعرهم العميقة وإحساساتهم الحادة بالصدق والحقيقة هي امور جوهرية بالنسبة لطبيعة الشعر ، وهي ما ينبغي أن يكرس له الشعراء كل جهودهم .

الموسيقى

وفى النهاية ينبغى أن أشير الى اهمية الموسيقى فى الشعر فاحيانا ما أكون فى حالة بين النوم واليقظة فيمر عبر ذهني تيار من الكلمات قد لا تكون لها معان محددة ولكن لابد وأن تصاحبها أصوات ذات طبيعة خاصة ، أصوات انفعالية وعاطفية ، أصوات تذكرني بالشعر الذى اعرفه ، وأثناء الكتابة فان الموسيقى الخاصة بالكلمات التى أحاول تشكيلها غالبا ما تاخذني بعيداً الى ماوراء مدى ونطاق هذه الكلمات حيث أجد عالما من الموسيقى والايقاع والرقص والبهجـــة .

● قصــة قصـــيرة ●

أنا الرجل

بقلم : عباس خضر

انا الرجل .. انا سيد البيت وصاحب الكلمة فيه .. لا ينبغي أن يعلو صوت فوق صوتي ، زوجتي موظفة ، نعم ولها راتب شهرى ، لا انكر ان له اثرا فى حياتنا المادية ، ولكن انا الرجل ... قلت لها مراراً أن تترك الوظيفة وتقعد فى البيت ، فلم تسمع ، الحقيقة اني لا أغضب من رفضها ترك الوظيفة وإن كنت اتظاهر بالغضب كي أحافظ على المظهر الذى يجب أن يكون فى البيت .. فراتبي وحده لا يكفي وخاصة بعد ان انجبنا وتفتحت وجوه الانفاق وصار كل وجه منها يطلب ويلح ، ويقول : انا ضرورى .. كل من فى البيت يقول : أنـــا !

الزوجة تقول : انا أكد واكدح في البيت وفي العمل « ومش عاجب ! » زوجي (سعادة البيه) يريد أن أخدمه خدمة العبد للسيد .. ما علينا ، فانا اقوم بهذه الخدمة شعوراً مني بالواجب ، بل باكثر من الواجب .. أصحو من النوم قبله بمدة كافية لأن احضر له الفطور والشاى ، حتى الغداء اقوم باعداده حين أعود من عملي ـ كما يعود ـ لا من العمل وحده ، بل كذلك من المواصلات . اسخن ما اخرجه من الثلاجة وما سبق أن أعددته وتعبت فيه ، وإذا ندت مني شكوى قال متغطرسـا :

ـ اتركي العمل ، هل ينقصك شيء ؟ انا كفيل بكل شيء !

واسكت على مضض . فلا اقول له :

ـ وهل يكفي المبلغ الذى تعطيه لي اول الشهر وحده ؟

فانا اضيف الى ذلك المبلغ اكثر منه ، وتبتلع الحاجات كل شيء وخاصة فى هذا الغلاء الذى أذرى بقيمة النقود ..

على اني حين اخرج فى الصباح الى عملي اشعر كاني استنشق نسيم الحرية واتحدث مع زميلاتي ، فاتنفس الصعداء .. وقد تفضي كل منا بما عندها وتختم كلامها في تعجب : « ومش عاجب ! »

● ● ●

قالت له مرة فى حالة غضب :

ـ على م هذه النفخـة الكاذبـة ؟

قال في غطرسته المعهـودة :

ـ انا الرجل .. وكلمتي هي المسموعة !

وادار « الاسطوانة » الى آخـرها !

ذهب ذهنها فى رحلة قصيرة الى الشقة المجاورة حيث يسكن الاستاذ كامل وزوجته التى لا تعمل ، فهي « ست بيت » انه لا يقول لها مثل ما يقول زوجها : انا الرجـل .. الخ ، بل يقول لها دائما : انت ست البيت .. وبالاضافة الى ذلك يساعدها فى أعمال البيت .

ثم تتذكر احاديث زميلاتها فى العمل عن ازواجهن ، إن معظمهم مثل زوجها فى النفخة الكاذبة ، والأولى بهم أن يحمدوا الله ويسكتوا .

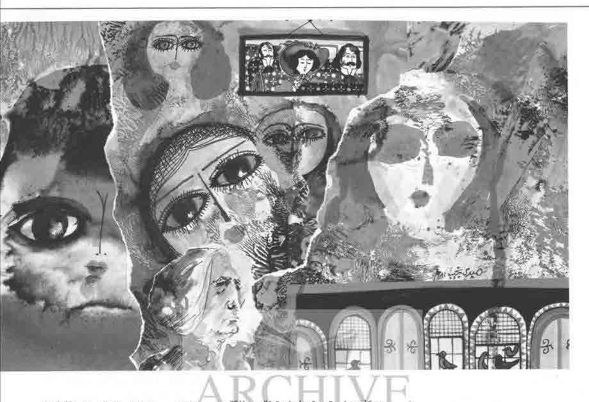
قالت إحدى الزميلات ان زوجها اشركها معه فى مشروع مالي تشترك فيه بجزء من راتبها كل شهر ، ولكنه كتبه باسمه دون اسمها كشريكة ، ولما سالته فى ذلك اجاب : عيب أن أذكر اسم المرأة فى مثل ذلك !

وافضت زميلة اخرى بانها تخفي من راتبها جزءا تعين به امها المحتاجة ، تخفيه عن زوجها حتى لا يعلم به وتكون مصيبة !

وقالت إحداهن انها إن قالت الشرق قال زوجها الغـــرب ..

قالت هي : تماما مثل الذى لا يسمى .. (زوجي) ، فى الصيف الماضي أردنا أن نقضي جزءا من الاجازة فى احد المصايف ، فاسرعت بالاشارة الى الاسكندرية ، فقال فى حسم : لا ، رأس البر ..

وذهبنا الى رأس البر ، ليس إلا لأني



أنا الرجل

قلت الاسكندرية !

وهناك أشياء تافهة ، ولكنها ذات دلالة .. كان الولدان عند خالتهما ، فذهب لاحضارهما ، فقالت له اختي :

ــ هل أرسلتك زوجتك لأخذهما ؟

فقال لهـــا :

ــ لو قالت لي ما جئت !

• • •

غاب « الرجل » عن بيته عدة أيام بعد شجار و «نقار» بينه وبين زوجته ، ثم ترامى اليها انه تزوج امرأة أخرى .. توقعت أن تكون الزوجة الجديدة غير عاملة ، ولكنها فوجئت بانها موظفة ، فهل ياترى يكون معها سيد البيت ؟ فليكن من يكون ، لا يهم ، وليذهب الى الجحيم .. رمت طوبته .. وتسلت بولديها منه ، وعكفت على تربيتهما ، لم تطالبه بنفقة ، ولم يسأل هو ، وشعر الصغيران أن أباهما رماهما ، والتصقا بالأم مكتفيين بحنانها .

قال الولد الأكبر ــ وقد كبر ــ لجدته :

ــ أتعرفين يا جدتي ؟ في المدرسة أحياناً أشتبك مع احد الأولاد فيشتمني ويقول لي : يا ابن الكلب أو ملعون أبوك ، فلا أغضب !

قالت الجدة الطيبة التي تساعد ابنتها في العناية بولديها :

ــ ولكنه أبوك على كل حال يا حبيبي .

ــ أنا لا أعرفه ..

ويقول الولد لنفسه كلاماً كثيراً جداً لا ينطق به ، بخلاف ما كان أبوه يهذر ، لم يرثه في هذه الناحية ، وهل يرث الابن أباه البعيد في الصفات المكتسبة ؟

والناس تقول .. تقول للزوجة :

ــ لماذا تتركينه ؟ ارفعي عليه قضية .

ويتبرع أحدهم قائلا :

ــ أنا أعرف لك محامياً بارعاً تخصص في قضايا الأحوال الشخصية .

وتجزع الزوجة من ذكر القضايا والمحاكم ، وتتخيل الحكم بحرمانها من حضانة الطفلين ، فتقول :

ــ لا .. منه لله ..

• • •

الواقع انها تستريح الى هذا الوضع .. لا تريد منه شيئاً . تفضل أن تكد وتكدح وتربي طفليها ، وتحب أن يكبرا بعيداً عن أبيهما ، قد وضعت كل آمالها فيهما .. يسرها دوام إهماله ، تريد أن تشهد الدنيا على ادانته ، إن لم يكن في الزواج بأخرى ففي إهماله ولديه .

ويوماً يجيء منه خطاب يقول فيه انه اشتاق الى الولدين ويريد أن يراهما ! سكنت رعشة يديها وهي تفتح الخطاب ، وقالت ساخرة :

ــ الآن اشتاق ! مجاناً !

ولم يكن بد من اللقاء .. بين الأب وولديه . أعد لهما هدايا ولعبا . نظر الولدان الى الهدايا واللعب شذراً .. وقال الأكبر :

ــ عندنا مثلها ، اشترتها لنا أمي ..

وقال الأب :



ـ قولا لي ماذا تريدان وأنا أحضر لكما ما تريدان .

ـ لا نريد شيئاً .

وكانهما يقولان له : دعنا فى حالنا واذهب لا نحتاج الى شىء منك .. وكان الأصغر ساكتا ماخوذا بغرابة الموقف ، قال له الأب وهو يحاول أن يخرجه عن صمته بالمداعبة :

ـ وانت يا حبيبى .. ماذا تحب ؟

ـ من أنت ؟!

ـ أنا أبوك يا حبيبى .

ـ لا أعرفك ! أنا أحب ماما .

كان الولد الاكبر يريد أن يقول مثل ذلك ، ولكنه خجل ولاذ بالصمت ، وقال صمته ما هو ابلغ من الكلام .. نظر اليه كشىء غير مرغوب فى بقائه .. ود لو يمضى ويقصر فترة الحرج ..

ماذا يريد منا هذا الرجل ؟ لقد رآنا كما اراد ، فليذهب ،ليته لا يعود ! انا وأخى سعيدان مع امنا ، لسنا فى حاجة الى هذا الرجل ، ما اثقل يده وهو يربت بها علي ! فليذهب .. فليذهب .

ذلك شىء مما دار بنفسه ، أما الأب فقد غرق فى حيرته .. لم يكن يتوقع هذا ، كان يتوقع أن يرتمى الولدان على صدره ويقولان : بابا .. بابا .. ولكنه لم يظفر من احدهما بهذه الكلمة ، لقد فقد هذه الكلمة ، وما أعظم الفقد !

زوجته الجديدة عاقر ، لم تات له بمن يقول له : بابا .. ولكنها «تعسل» له الكلام وتخفض صوتها فى حديثها اليه كانها تقول له : أنت السيد .. أنت الرجل .. أنت رب البيت . وهذا ما كان يفتقده فى الزوجة القديمة ، فكان يضطر الى أن يقوله ..

ولكن يا للعجب .. الجديدة تلين وتظهر الخضوع ، ولكنها فى النهاية تفعل ما تريد ، والقديمة كانت تعارضه بالكلام ، بالكلام فقط .. ولسان حالها يقول : ها أنا ذى شريكة مساوية ، وعليك أن تدع هذه الغطرسة الكاذبة !

يا إلهى .. فليكن اى شىء ، لاكن رجل البيت أو لا اكون ، ولكنى لا اريد أن افقد الصغيرين ، لا اريد أن افقد وجهيهما مدبرين وأنا مقبل مشتاق !

● ● ●

ـ لا ، لست الآن ولداً .. أنا أبوك وانت ولدى ، وعلى هذا أسالك ..

ـ قلت لك أنا حر فيما افعل ، وليس لك ولا لغيرك أن يتدخل فى حياتى وشئونى الخاصة .

ـ شئونك الخاصة ! اليس بيتك واولادك من شئونك الخاصة ؟ لماذا خلفتمونا إذن .. ؟ أوليست مسئوليتك عن هذا البيت ومن فيه من الشئون الخاصة ؟

شاهد الولد تلك المسرحية فى المنزل مع امه واخيه الصغير ، وكم سروا بها ، لأنها «جاءت على الجرح» وخطر له أن يقوم بدور ذلك الشاب مع أبيه ان عاد .. ولكنه ـ لما كان امامه ـ لم يجرؤ ، لأنه لايزال صغيراً ولم يكبر بعد ويستطيع ان يتجرأ مثل ذلك الشاب ، وشعر بالتعاسة إذ تذكر قسوة ابيه الشديدة فى معاملته وهو طفل .

تذكر الابن الأكبر شيئاً كان قد عزم على ان يقوله لأبيه إن عاد ، تذكر ما شاهده فى مسرحية عرضت على شاشة التليفزيون ، فيها الأب يتصل بفتاة ويتفق معها على الزواج والسفر الى جهة ما ، حيث يبعد عن بيته وزوجته واولاده ويتخلى عنهم . ويعلم الأولاد بذلك . وعلى حين يستعد الأب للسفر وقد أوهمهم انه مسافر فى عمل وعائد قريباً ـ وقف الابن الأكبر الشاب فى وجهه وقال له :

ـ الى أين .. ؟ لماذا تريد أن تترك البيت وأولادك وزوجتك التى عاشت مخلصة خادمة لك كل هذه السنين ؟ لماذا ؟

ـ من اين عرفت هذا ؟

ـ لا يهم من أين عرفته ، المهم انه حقيقة ، اليس كذلك ؟

ـ انا حر فى حياتى الشخصية ..

ـ اسمع يا أبى ، طالما وقفت منك موقف الابن أمام أبيه ، والآن حان الوقت لان نتبادل الوضع ..

ـ ماذا تعنى يا ولد ؟

ثم ماذا يفيد الآن ان يقول لأبيه شيئاً ؟ لقد تنبه ذلك الأب (فى المسرحية) الى حقيقة موقفه والخطا الذى يوشك أن يقع فيه ، فعدل عما كان يزمع . أما هذا فقد فعلها وانتهى الأمر ، فماذا يفيد الكلام ؟

عباس خضر



هكذا تكلم جبران خليل جبران

● وقاتل الجسم مقتول بفعلته وقاتل الروح لاتدرى به البشر !

● باطلة هى الاعتقادات والتعاليم التى تجعل الانسان تعساً في حياته ، وكذا هي العواطف التى تقود الى اليأس والحزن والشقاء لأن واجب الانسان أن يكون سعيداً على الأرض ، وأن يعلم سبل السعادة ويكرز باسمها اينما كان .

● لا يستطيع صوت الحياة الذى في ان يصل الى أذن الحياة التى فيك ، ولكن فلنتكلم على كل لئلا نشعر بوحشة الانفراد !

● نفوسكم تتلوى جوعاً وخبز المعرفة أوفر من حجارة الأودية ولكنكم لا تاكلون .. وقلوبكم تختلج عطشاً ومناهل الحياة كالسواقى حول منازلكم ... فلماذا لا تشربون ؟!

● للرجل العظيم قلبان ، قلب يدمى ، وقلب يتجلد .

● إن الأمة المستعبدة بروحها وعقليتها لا تستطيع أن تكون حرة بملابسها وعاداتها ..

● كم مرة عزوت لنفسي جرائم لم ارتكبها قط كي لا اظهر أرفع ممن يجالسني من المجرمين .

● يارب : اجعل قوة اعدائي مضارعة لقوتى كي لا تكون الغلبة إلا للحق ! .

● بعض الناس يسمعون بآذانهم والبعض ببطونهم والبعض بجيوبهم والبعض لا يسمع أبداً .

● ما أشبه أرواح بعض الناس بالأسفنج ، فانك لا تستقطر منها إلا ما امتصته منك .

● أبعد الناس عن قلبي راغب يمثل دور مرغوب .

● لو وجد رجلان متشابهان لما وسعتهما الدنيا .

من هو ؟

● جبران خليل جبران (١٨٨٣م ـ ١٩٣١م) ، كاتب وشاعر ومصور ومفكر ، وتعلم فى مدرسة الحكمة ببيروت .

● هو الأدب والرسم معاً ، ودرس الفن بباريس حيث تعرف بالمثال العالمي رودان (١٨٤٠م ـ ١٩١٧م) .

● هاجر الى الولايات المتحدة مع بعض اقاربه وهو صبي ، ثم عاد اليها شاباً ، وهناك مارس الرسم وانتج معظم شعره ونثره ، وفى عام ١٩٢٠م انتخب رئيساً للرابطة القلمية التى ضمت الأدباء المهجريين دعاة التجديد فى الأدب العربي .

● عكست كتاباته الأولى دعوة عنيفة للتمرد وشوق محرق للعدل ، ثم اتجه الى الفلسفة الروحانية الشرقية ذات الطابع الصوفي .

● يجمع فى اسلوبه بين الحرارة الوجدانية والتأثير الخطابي .

● كتب بالعربية : الموسيقى ـ دمعة وابتسامة ـ عرائس المروج ـ الأرواح المتمردة ـ الأجنحة المتكسرة ـ المواكب ـ العواصف ـ البدائع والطرائف .

● وكتب بالانجليزية : المجنون ـ السابق ـ النبى ـ رمل وزبد ـ يسوع بن الانسان ـ آلهة الأرض ـ التائه ـ حديقة النبي .

● توفى فى امريكا ، ونقل جثمانه الى قريته « بشرى » حيث اقيم متحف ضم رسومه وكتاباته .

● عندما تبلغ قلب الحياة تجد انك لست أرفع من المجرمين ولا ادنى من الأنبياء .

● اكثر ذوي العواطف الرقيقة يتسرعون بمس عواطفك خوفاً من أن تسبقهم وتمس عواطفهم .

● عندما يلمس الرجل بيده ، يد امرأة ، يلمس كلاهما اذيال ثوب الأبدية .

● ما اكثر النساء اللواتي يستعرن قلب الرجل ، وما اقل اللواتي يمتلكنه .

● لو لم تكف المجرة في داخلي لما عرفت بوجودها .

● انما الحياة موكب يسير ابداً الى الأمام .. فالفيلسوف يستطيع أن يوقفها دقيقة بفكرة مبتكرة ، او بتعليم جديد ، ولكنه لا يقدر ان يصدها عن متابعة السير الى حيث لا تدري !

ماذا نستطيع أن نفعل ؟

« .. لو كنت جائعاً بين أهلي الجائعين ، مضطهداً بين قومي المضطهدين ، لكانت الأيام اخف وطاة على صدري ، والليالي اقل سواداً امام عيني ، لأن من يشارك أهله بالأسى والشدة ، يشعر بتلك التعزية العلوية التى يولدها الاستشهاد ، بل يفتخر بنفسه لانه يموت بريئاً مع الأبرياء .. »

« ليت شعرى ، ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه ، لو كنت سنبلة من القمح فى تربة بلادى ، لكان الطفل الجائع يلتقطني ويزيل بحياتي يد الموت عن نفسه .. لو كنت ثمرة يانعة فى بساتين بلادى ، لكانت المرأة الجائعة تتناولني وتقضمني طعاما ، ولكن واحر قلباه ، لست سنبلة من القمح فى سهول سوريا ، ولا بثمرة يانعة فى اودية لبنان وهذه هى نكبتي ، هذه هي المأساة الموجعة التى تعقد لساني ، وتكبل يدى ، ثم توقفني بلا عزم ، ولا ارادة ولا عمل ..

« يقولون لي وما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم .. نعم ولكن نكبة بلادى نكبة خرساء ، نكبة بلادى جريمة حبلت بها رؤوس الأفاعى والثعابين .. نكبة بلادى مأساة بغير أناشيد ولا مشاهد .. »

مات أهلي الى الصليب : ماتوا وأكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب ، وعيونهم محدقة بسواد الفضاء ، ماتوا صامتين لأن آذان البشرية قد أغلقت دون صراخهم ، ماتوا لأنهم لم يحبوا أعداءهم كالجبناء ، ولم يكرهوا محبيهم ، ماتوا لأنهم لم يكونوا مجرمين ، ماتوا لأنهم لم يظلموا الظالمين ، ماتوا جوعاً فى الأرض التى تدر عسلا .. ماتوا لأن الأفاعي أولاد الأفاعي قد تنفسوا السموم فى الفضاء الذى تملؤه انفاس الأرز وعطور الورد والياسمين .

مات أهلي واهلكم أيها اللبنانيون .. فماذا نستطيع ان نفعل لمن لم يمت منهم ؟ .


جبران خليل جبران مع ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة

لبنانكم .. ولبناني !

لكم لبنانكم ، ولي لبناني .. لكم لبنانكم ومعضلاته ، ولي لبناني وجماله ، لكم لبنانكم بكل ما فيه من الاغراض والمنازع ، ولي لبناني بما فيه من الاحلام والاماني . لبنانكم رجلان ، رجل يؤدى المكوس ورجل يقبضها .. اما لبناني فرجل فرد متكىء على ساعده فى ظلال الأرز وهو منصرف عن كل شيء سوى الله ونور الشمس .



رسالة مهرجان "كان" السينمائي

اليهود

فى ثلاثة أفلام

من انجلترا . فرنسا . إسرائيل ... والغريب أن تأتي المفاجأة من شاب إسرائيلي

رءوف توفيق

تشهد هذه الصفحات من «الدوحة» ، اننى كتبت كثيراً عن اليهود ، وكيف يلجأون الى سلاح الفن عموماً .. والسينما بالذات .. لكى يذكروا العالم بوجودهم وقضيتهم .. وكيف انهم لا يكفون عن تأنيب العالم على تشريدهم وتعذيبهم أيام النازية ، ولا يكفون أيضاً عن طلب التكفير عن هذا الذنب القديم ، أو أى ذنب جديد قد يتورط فيه أحد ضدهم !!

وكتبت كثيراً عن الأفلام التى ينتجونها بأموالهم ، داخل اسرائيل أو خارجها .. بمساعدة حلفائهم فى الشبكة الصهيونية !

العازف الالمانى وهو يعزف للمقاعد الخالية .لقطة من فيلم « هؤلاء والآخرون»



الممثلة «جيرالدين شابلن» من أبطال فيلم المخرج «ليلوش»



لقطة من أجمل مشاهد الرقص فى فيلم «هؤلاء الآخرون»

وكتبت ايضاً كثيراً .. بمرارة غالباً .. وبحماس دائماً .. استنجد بالاموال العربية لكى تتجه الى سلاح الفن ، والسينما بالذات ، لكى تواجه هذا العدوان على الفكر العالمى .. واثبات الوجود العربى ، والحق العربى .. وانعاش ذاكرة من يحاول أن ينسى أو يتناسى جوهر القضية العربية ، وحضارة الانسان العربى .

ولكن لم اتصور ابداً ان اجد نفسى امام هذه المفاجأة المذهلة ، المؤلمة .

احد العرب يضع امواله وخبرته واتصالاته ، فى خدمة فيلم انجليزى الجنسية يقوم أساساً على تمجيد اليهود والاشـــادة بكفاحهـم وأصرارهـم وبطولاتهم !!

والفيلم لا يقدم هذه التحية الحافلة والحارة ، على استحياء ، أو بصورة رمزية ، أو من خلال جملة حوار ، أو لقطة مدسوسة بذكاء .. أو عن طريق شخصية ثانوية .

أبداً .. الفيلم يعلنها صريحة واضحة .. وفى كل ثانية من مدة عرضه (ساعتان وأربع دقائق) يؤكد انه مع هذا البطل اليهودى الذى يريد ان يحقق النصر دفاعاً عن وجوده وكيانه !!

● **الفيلم اسمه « عربات النــار »**

وقد اشتركت به انجلترا فى المسابقة الرسمية لمهرجان « كان » السينمائى لهذا العام ، وسط حملة دعاية مكثفة .. وفى اليوم التالى لعرضه فى المهرجان بدأ عرضه فى العواصم الأوربية .

وعندما شاهدت هذا الفيلم داخل المهرجان .. لم اتمالك نفسى من شدة الصدمة .. ما الذى جعل هذا الشاب العربى يمول ــ او يشترك فى تمويل ــ هذا الفيلم ؟!

فالفيلم يبدأ بابيات من قصيدة «القدس» للشاعر «ويليام بليك» .. تقول :

.. احضرى لى قوسى من الذهب المحترق

.. احضرى لى سهامى من الرغبة

.. احضرى لى رمحى

.. يا أيتها السحب المنتشرة

.. احضرى لى عربات من النار ..

وعندما ندخل الى صلب موضوع الفيلم .. ندرك ان هذه الابيات ، قد

رسالة مهرجان "كان" السينمائي

اليهود في ثلاثة أفلام

اختيرت للتعبير عن اصرار هذا الشاب اليهودى «هارولد ابرهامز» الذى التحق بجامعة كمبريدج فى عام ١٩١٩ .

فى ذلك الوقت كانت بريطانيا تحاول استرداد انفاسها من الحرب العالمية الأولى .. وجامعة كمبريدج ، قلعة حصينة بتقاليدها العريقة ، وشرف الالتحاق بها مرهون بمن يحافظ على اسمها وسمعتها .. وهذا أمر ميسور لابناء الطبقة الغنية الأصيلة .. ولكن بالنسبة للآخرين .. فالمسالة تحتاج الى مزيد من ضبط النفس والقدرة على الاحتمال ، والمواصلة واثبات النجاح .

وقد كان هذا الشاب «هارولد» واحداً من بين هؤلاء «الآخرين» .. فهو ابن ذلك الرجل اليهودى الذى كان يعمل فى المراهنات والربا .. وهو لا يستطيع ان يباهى بشيء سوى براعته فى مسابقات العدو .. فمنذ اليوم الأول لالتحاقه بالجامعة .. وفى احتفالات قبول الدفعة الجديدة من الطلبة .. يقدمه الفيلم بانه الشاب المعجزة الذى يبهر انظار اساتذة الجامعة بمهارته فى سباق العدو .. وبدماثته ، ورجولته .. ويوالى الفيلم تدعيم قصة هذا الشاب ، من خلال احراز بطولات جديدة فى سباق العدو .. وايضاً التقدم المذهل فى الدراسة .. فهو يرهن نفسه لقضية اثبات وجوده !

شعب الله المختار !!

وكما يقول لصديقته التى تحاول ان تفهم سر أصراره المستميت للفوز : «اننى ادافع عن نفسى لكونى يهودياً» !! .. ثم يسألها «إنك غير يهودية .. أليس كذلك ؟» .. وتهز رأسها بالنفى .. فيتمتم هو بصلابة وعناد : «انى وضعى مختلف .. اننى احمل المستقبل معى» !!

فتنظر له باعجاب شديد .. وتردد فى ابتهال : «انت رجل عظيم .. انت رجل الله .. ستهزمهم .. انت قادر على ان تنتصر» !!

ويدق الفيلم على هذا الوتر بايقاعات عالية ومنتظمة ، طوال الفيلم .

فهناك ايضاً احد اساتذة كمبريدج الذى يؤكد «ان اليهود هم شعب الله المختار» !

● إنها معركة حقيقية .. ولابد من الفوز

وعلى الجانب الآخر .. يقدم الفيلم قصة طالب (اريك ليدل) .. وهو ايضاً احد ابطال العدو فى الجامعة ، والذى يعتبر العدو وسيلة للاقتراب اكثر من الله !! فقد وهب نفسه لخدمته .. وهو يتصرف ويتكلم ويعظ كانه احد رجال الدين .. وله جمهوره ومستمعوه .

وتقرر انجلترا الاشتراك فى اوليمبياد عام ١٩٢٤ الذى يقام فى باريس .. وتختار ثلاثة من طلبتها لتمثيلها فى بطولة العدو .. وتسلط الاضواء عليهم اكثر .. وتجند الصحافة نفسها لتتبع اخبارهم !

ويشعر الطالب اليهودى «هارولد» ان هذه الفرصة قد جاءت له لاعلان هويته للعالم اجمع .. فيجند نفسه لتدريب شاق ومستمر .. ويختار مدرباً محترفاً لتدريبه .. رغم اعتراض الجامعة على هذا المدرب .. الا انه يتمسك به .. فالقضية قضيته الخاصة .. (ملحوظة .. فاز الممثل يان هولم الذى ادى دور المدرب بجائزة احسن ممثل مساعد) .



المخرج الاسرائيلي «ياكي يوشا» فضح اسرار صناعة الموت فى اسرائيل

وياتى موعد الدورة الاوليمبية .. وعندما تلمس قدماه أرض الملاعب فى باريس .. وينظر حوله ليجد منافسيه من جميع انحاء العالم يتدربون قبل موعد المباريات .. تتاكد لديه الرغبة فى الفوز .

انها معركة حقيقية وعليه ان ينتصر .

بينما يثير زميله المتدين (اريك) مشكلة ان المباراة التى سيشترك فيها ستقام يوم الأحد ، وهو اليوم الذى يحرم فيه على نفسه اى نشاط جسمانى !! .. وتكاد تحدث ازمة ، لولا تدخل زميلهما الانجليزى الثالث ، الذى يعلن عن استعداده لان يتبادل مع «اريك» يوم المباراة وبالتالى نوع السباق .. فاريك كان قد جهز نفسه لبطولة المائة متر .. ولكنه فى مقابل التبادل مع زميله .. عليه ان يخوض سباق الاربعمائة متر !

انها مجموعة من التحديات .. وكل منهما له قضية يدافع عنها ..

وياتى يوم المباراة .. وسط جو مشحون بالتوتر .. يسجل الاثنان فوزهما الساحق .. ويكتب اسمهما فى تاريخ الرياضة !!

● المهم .. تحقيق الهدف !

وهكذا ينتهى الفيلم .. ليقول لنا المخرج «هيو هدسون» من خلال حديث صحفى معه : «ان هذين الشابين كانا يبحثان عن اسلوب للسيطرة على انفسهما .. برفض اية عوامل جانبية تؤثر على الأهداف التى يسعيان إليها ، والقيم التى يؤمنان بها .. وفى الحقيقة ليس مهما ان يكون الموضوع عن رياضة العدو .. ولكنه ببساطة طريق لتوضيح تصميمهما لاثبات وجودهما الانسانى .. بالرغم من كل الصعاب .. ودون ان يفقدا ذاتيهما بالرضوخ للظروف !

« لقد كان النصر مهما بالطبع .. ولكن الأهم منه انهما اصبحا رجلين بالصورة التى اراداها

ما الذى يمكن ان يقال اكثر من هذا .. وبهذا الوضوح .. لاعلان مضمون الفيلم وهدفه ؟!

صحيح .. انه فيلم جيد من الناحية الحرفية .. وبالذات فى التصوير والمونتاج والموسيقى .. بالرغم من انه العمل الأول للمخرج «هدسون» الذى جاء



فيلم «عربات النار» .. الشاب اليهودى وهو يحدث صديقته بصورة مزيفة عن التحدى الذى يواجهه

للسينما الروائية ، عن طريق افلام الاعلانات وبعض الأفلام التسجيلية .

ولكن مهما كانت براعة بعض العناصر الفنية .. الا ان الموضوع نفسه هو الأساس .. وهو الذى يبقى فى وجدان المتفرج .. وقد كان هذا الموضوع عن اضرار اليهود ، موضوعاً سخيفاً ومكرراً ، بالنسبة للمتفرج العالمى ، الذى اصابه الملل من هذه النغمة العنصرية ! .. فما بالك نحن .. ؟!

● فرنسا .. وفيلم « هؤلاء والآخرون»

وهو ما حدث ايضا بالنسبة لفيلم «هؤلاء والآخرون» للمخرج الفرنسى ، اليهودى الأصل «كلود ليلوش» !

فبالرغم من كل البذخ والجهد الفنى الواضح فى ذلك الفيلم ، والذى اشتركت به فرنسا داخل المسابقة الرسمية لمهرجان «كان» هذا العام .. الا ان الفيلم ستقبل بفتور شديد .. ولم يفز الفيلم باية جائزة .. أو كلمة تقدير من ناقد .. رغم توقعات «كلود ليلوش» الشخصية

وقد كان المؤتمر الصحفى الذى عقده بعد العرض الأول لفيلمه داخل المهرجان .. نموذجاً صارخاً لهذا التجاهل .. فقد جلس «ليلوش» ومعه عدد كبير من ممثلى فيلمه ، فى انتظار اى سؤال من ناقد او صحفى .. ومضت الدقائق الطويلة ، ولم يتقدم احد بسؤال .. فانفعل فى مرارة وهو ينظر حوله فى دهشة : «ألا يريد احد منكم ان يسالنى عن شيء » ؟!!

وخطا المخرج «ليلوش» فى فيلمه «هؤلاء والآخرون» الذى كتب له السيناريو .. انه اختار موضوعاً قديماً .. وحاول ان يبتكر شكلا جديدا لعرضه .

ولم تستطيع كل الألاعيب والحيل الفنية ان تغطى فقر الموضوع !!

● اضطهاد اليهود مرة اخرى

فقد أراد ان يقدم أربع عائلات من باريس وموسكو وبرلين ونيويورك فى زمن الثلاثينات .. ثم ما حل بهم من أهوال فى الحرب العالمية الثانية .. ثم ما جرى لأولادهم ومن بعدهم أحفادهم حتى عام ٨٠ .

واختار ان يكون أسلوب الربط بين هذه العائلات على مر السنين هو الموسيقى .. فهم إما عازفون .. أو راقصون .. أو مغنون !

والفكرة طموحة جداً .. ولكن هذا التعدد فى الشخصيات ، والانتقال من جيل الى جيل (باستخدام نفس الممثلين تقريباً مع تغيير الماكياج) .. ثم الدخول فى تفصيلات وأحداث فرعية .. أفقد الفكرة اتساقها .. مما جعلها تبدو وكأنها لأربعة افلام مبتورة أعيد تجميعها فى شريط واحد !

ولا ينسى المخرج «ليلوش» أصله اليهودى .. فيعيد إلينا تقديم نفس الحدوتة القديمة عن تعذيب اليهود أيام النازى ..

فالأسرة الفرنسية .. التى قدمها .. تتكون من اثنين من عازفى الاوركسترا فى احد الملاهى الليلية .. أحبا بعضهما .. وتزوجا .. وأنجبا طفلا .. ولأنهما من اليهود .. فقد كان عليهما ان يدفعا الثمن (!!) .. ونشاهد بالتفصيل عملية اقتيادهما عن طريق جنود النازى ..

محطة سكة حديد باريس .. وطوابير اليهود تملأ الأرضية والكبارى العلوية .. لتنحشر داخل عربات قطار كئيبة ومغلقة تماماً .. وسط حراسة مشددة من النازى ، والذين يدفعون الامهات واطفالهم الرضع بقسوة داخل العربات الخالية من اى مقعد أو نافذة !!

ومع هذه العائلة .. الزوج والزوجة والطفل .. يجسد المخرج إحساسهم بالمأساة .. وبانه لا أمل على الاطلاق فى النجاة .. فيسرع الزوج بانتزاع الطفل من بين احضان امه .. ويلقى به جانبا على شريط القطار .. على أمل ان يلتقطه احد المارة ويرعاه .. ويدوى صراخ الأم الفاجع ، وهى تفقد طفلها أمام عينيها ، لتعيش اياما عصيبة داخل المعتقل .. بينما يموت الأب .. وتنتهى الحرب .. وتخرج هى من المعتقل لتعود إلى نفس المكان الذى ألقى فيه الطفل ، لقد مرت سنوات .. وتغيرت اشياء كثيرة .. وتبحث فى كل مكان عن طفلها ولا تجده !

بينما الطفل قد كبر .. وأصبح محاميا مشهورا له مؤلفات ويظهر على شاشة التليفزيون .. ويأتيه من يبلغه بأن امه مازالت على قيد الحياة .. ويحاول ان يعثر عليها .. ليجدها قد فقدت ذاكرتها .. ولم تعد تدرك شيئا .. وعندما تلتقى بابنها بعد انقطاع سنوات طويلة .. تنظر له بعيون مذهولة .. ولا تستطيع ان تتكلم .

انها ماساة اليهود مرة اخرى !!

ولا ينسى المخرج «كلود ليلوش» ان يؤكد ــ فى نفس الفيلم ــ على قوة اليهود وقدرتهم على الانتقام .. وذلك من خلال قصة العائلة الالمانية .. حيث نرى هذا



المخرج «كلود ليلوش» اثناء تصوير مشاهد ترحيل اليهود من محطة باريس

العازف الشاب الذى يعزف فى حفل يحضره هتلر ، ثم يقود فرقة موسيقية تابعة للجيش اثناء الحرب .. بينما الحرب تحصد زوجه وطفله .. وتمضى السنون .. ويصبح هذا العازف قائداً لاكبر اوركسترا موسيقية تقوم برحلات فى عواصم العالم .. وعندما يصل الى نيويورك يفاجأ بان احداً لم يحضر حفلته الموسيقية ، رغم ان كل التذاكر مباعة !! .. انه امام الكراسى الخالية .. يسأل فى غضب شديد عما حدث .. ويأتيه الرد ان اليهود اشتروا كل التذاكر حتى يعاقبوه على جريمته السابقة بالعزف امام هتلر ومع جيشه النازى !

ان اليهود قادرون على الرد !

وهكذا يسقط الفيلم فى براثن الدعاية الصهيونية .. مزوقاً بعناية شديدة ببعض الحلى من جمال الموسيقى ، وبراعة الراقصين ، وشدو المغنيين !!

الغريب تماماً .. ان يأتى هذا المخرج الاسرائيلى الشاب «ياكى يوشا» ليقلب المائدة .. ويقدم فيلما مفاجأة يفضح فيه أسرار صناعة الموت فى اسرائيل !

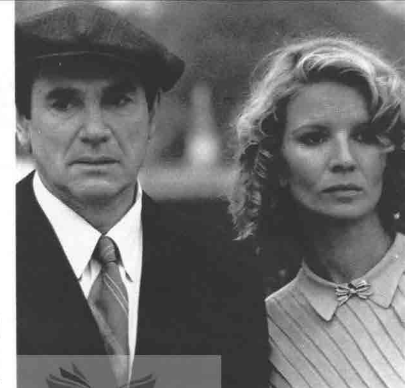
الفيلم اسمه «النسر» .. وقد عرض فى مهرجان « كان » داخل قسم نصف شهر المخرجين .. وجاء المخرج مع فيلمه ليحكى المشاكل التى صادفته من الرقابة فى اسرائيل ، بعد عرض الفيلم .

قال المخرج بالنص : «فى البداية قامت الرقابة بمشاهدة الفيلم مرتين .. ثم قررت عرضه كاملا .. وفى اليوم الأول لعرضه الجماهيرى .. جاء صحفى من الذين يستفيدون من الموت .. وكتب مقالا يهاجم فيه الفيلم ، وقد توقعت ان يكون سبب الهجوم هذا الجزء من الفيلم الذى ينتقد هؤلاء الناس الذين يصنعون الأموال من اقامة النصب التذكارية للجنود القتلى .. ولكن نتيجة ما كتبه هذا الصحفى ، غيرت الموقف تماماً .. وزارة الدفاع طلبت من الرقابة اعادة النظر فى الفيلم .. وكل المنظمات التى تمثل ضحايا الحرب اعلنت انها لن تقف مع الفيلم .. وقامت الرقابة بدعوة كل هؤلاء الذين ضد الفيلم ليدلوا بآرائهم .. وقد طلبت من الرقابة ان تأخذ رأى أباء الجنود المفقودين والذى قام الفيلم من أجلهم .. ولكن الرقابة رفضت طلبى .. وفى النهاية حذفوا أربعة مشاهد من الفيلم .. والآن استطيع ان اقول ان هذا الموقف غير صحى .. فاسرائيل تسعى لان تكون دولة ديمقراطية .. ولكن ما حدث لفيلمى لا يدل أبداً على اى ديمقراطية» !

وقد جاء المخرج «يوشا» مع النسخة الكاملة من فيلمه ، ليعرضه فى مهرجان « كان » .. وشاهدت الفيلم كاملا ..

● ماذا فعل ذلك «النسر» ؟!

يبدأ الفيلم بالهجوم المصرى والسورى على اسرائيل يوم ٦ اكتوبر ٧٣ .. مع توالى نشرات الأخبار بالعبرية عن سير العمليات .. بينما نرى فى ساحة القتال مدى الذعر والارتباك على الجنود الاسرائيليين الذين فوجئوا بالهجوم .. فتساقط منهم القتلى .. ومن عاش منهم بدأ ينهب جثث الجنود المصريين .. ويعود هذا الجندى الاسرائيلى الى تل ابيب ، وهو يرتدى فى معصمه ساعة سرقها من احدى الجثث .. ويجلس فى احد المقاهى ، ليفاجأ بوالد زميله فى جبهة القتال .. ويحاول ان يتجاهله ، ويهرب منه .. ولكن الأب يتعقبه وينتظره بالساعات امام بيته .. ليسأله كيف كان



الزوجان اليهوديان فى فيلم «هؤلاء والآخرون»

ابنه قبل الموت .. هل كان شجاعاً ؟!

ويحاول الجندى ان يهون على الأب ، فيحكى له قصصاً اختلقها عن بطولات ابنه .. ويساله الأب .. ألم يكتب لى شيئاً ؟!

ويستمر الجندى فى قصصه الوهمية ليحكى ان الابن قبل وفاته كتب لابيه قصيدة شعر !

ويتشبث الأب بطلب قراءة هذه القصيدة التى كتبها ابنه .

ويعده الجندى باحضارها له فى اليوم التالى .. بينما لا يدرى كيف يخرج من هذه الورطة .. واخيراً يهتدى الى حيلة .. ان ينقل قصيدة شعر من كتاب قديم ويحاول ان يكون خطه شبيها بخط زميله القتيل .. وبعد ان ينتهى من نقل القصيدة فى دقائق .. يجرح اصبعه ليسقط بعض قطرات من الدم على الورقة .. ويكور الورقة فى يده .ويغمسها فى التراب لتبدو وكانها خارجة من سترة الجندى القتيل !!

ويذهب بها الى الأب .. الذى يفرح لها بشدة ، ويفتح بيته لهذا الجندى .. ويقدم له زوجته وخطيبة ابنه الذى مات .. ثم يدس فى يده بعض النقود مساهمة فى نفقة المعيشة .. ويطلب منه الأب ان يساعده اكثر فى تجميع كل صور ابنه وخطاباته القديمة التى ارسلها الى زملائه ، ليصنع من كل هذه الأشياء البوماً خاصاً من ذكريات ابنه !

وينهمك الجندى فى البحث عن الخطابات والصور القديمة .. وفى نفس الوقت يقيم علاقة مع خطيبة زميله القتيل .. ويلجا اليه بعض آباء الجنود القتلى ،لكى يصنع لهم البومات مماثلة عن ابنائهم !!

وهكذا لا يعيش حياته .. وانما يعيش حياة الآخرين ، ويستفيد من موتهم .. لقد اصبح مثل ذلك «النسر» الجارح الذى ينهش الجثث ويتغذى بها !!

وتعجبه هذه اللعبة التى تورط فيها .. ويجد كل شىء ميسراً له .. المال والعلاقات العاطفية .. وينصح احد زملائه العاطلين بأن يدخل فى «لعبة» تصميم النصب التذكارية للجنود القتلى .. فهناك حمى فى كل قرية ومدينة لاقامة هذه النصب التذكارية !!

وهكذا يستفيد الجميع من الموت !

وينتهى الفيلم ، وهذا الجندى مكلف بتدريب فرقة من المتطوعين الشبان .. يقف بينهم وهو يتكلم بمرارة وكانه يهذى : «لا تصدقوهم ان الحرب بطولة .. الحرب موت» ! ثم يطلب من جنوده فى سخرية : «امام كل واحد منكم خمس دقائق ليكتب قصيدة شعر بخط يده ثم يسلمها لى » .

انه يعرف ان مصيرهم للموت .. اما هو فعليه ان يواصل حياته بالاستفادة من تجارة الموت !!

وتتردد اغنية المشهد الأخير ، تقول بعض كلماتها «لقد أوهموهم ان الحرب جميلة .. لقد ضحكوا عليهم .. انهم ذاهبون للموت .. وستشرق الشمس على قبورهم .. فمن يقول لهم اتركوا الحرب واتجهوا للسلام» !

هذا هو الفيلم الاسرائيلى الذى استطاع ان يقول بعض الأشياء عن الوهم والحقيقة فى المجتمع الاسرائيلى

ولا يمكن الا ان نحترم شجاعة هذا المخرج الشاب الذى لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وهو يقدم فيلمه فى كتاب المهرجان قائلا !

«هذا الفيلم يفضح «صناعة الموت» التى تقف خلف الحروب الاسرائيلية .. فاسرائيل هى الدولة التى تعتبر الحرب هى القاعدة وليس الاستثناء .. وربما كانت اسرائيل هى المكان الوحيد فى العالم الذى يصبح فيه الموت اكثر سهولة من البقاء على قيد الحياة» !

● ●

ما الذى يمكن ان يقال بعد هذا .

امامكم فيلمان من انجلترا وفرنسا ، كنموذج من بين سيل الافلام التى تحاول بها الصهيونية العالمية ،ان تبرىء اليهود ، وان تضعهم فى مصاف الابطال القادرين على كل التحديات .

وامامكم هذا الفيلم من داخل اسرائيل ذاتها .. يفضح كل شىء .. وينعى الحياة والكرامة والشرف ..

من نصدق ؟!

ومرة اخرى .. ماذا نحن فاعلون ؟!

والسؤال مازال موجهاً للذين يملكون الأموال .. ويريدون ان يساهموا بدور فى ساحة الفن .. للكشف عن الوجه الحقيقىوالانسانىللقضية العربية .. !!

«رءوف توفيق»

هذه مقالة عن ابن خلدون للمستشرق الفرنسي « ديمير سمان » ، وهي تكشف عن نظرة العقل الفرنسي الى العبقرية العربية التى كان لها أثرها العميق في الفكر العالمي والتى يجسدها ابن خلدون فى مقدمته التى فتحت لعلم الاجتماع أول باب من نوعه فى تاريخ الثقافة الانسانية .

ابن خلدون

من وجهة نظر فرنسية

ترجمة : عبد المنان زعرور
حمص



عام ١٤٠١ تمت المقابلة الشهيرة فى دمشق بين ابن خلدون وتيمور لنك

جوال لا يتعب ، لديه دقة ملاحظة شديدة لأصغر الأشياء ، موظف حكومى توصل الى شغل المناصب الأكثر سموا والأكثر تنوعا ، ذو ميل فطري أصيل لا يرتوي من الثقافة ، عالم دينى منفتح على تطور المذاهب ، تلك هي خصائص شخصية ابن خلدون التى ينبغي أن تسترعي انتباهنا .

ولد في تونس فى السابع والعشرين من ايار عام ١٣٣٢ وتوفى فى القاهرة فى السابع عشر من اذار عام ١٤٠٦ فى الرابعة والسبعين من عمره . وقد كانت له معرفة فريدة من نوعها بالعالم الاسلامي فى عصره من نواح عديدة ، وإن مجرد تعداد الوظائف المتنوعة التى شغلها هذا الرحالة العظيم تجعلنا نحس ببعض اللهاث فكيف إذا أردنا أن نحكم عليها !

كان كاتبا للسلطان الحفصى أبو اسحاق الثانى فى العشرين من عمره وارتبط بادارة السلطان الميريني أبى عنان ، ثم أرسل بسفارة الى اشبيلية من قبل ابن الاحمر ملك غرناطة وخدم فى الحكومة الميرينيــة ثم عين ثلاث مرات قاضيا للقضاء المالكي فى القاهرة .

هذه التذكرة البسيطة تبرز بشكل واضح تنوع معارفه وتجعلنا نعرف : أى الآفاق الواسعة كانت افاقه !

فحسب عادات عصره ، كان تكوينه القرآني متطورا جدا ، فلم يحفظ القرآن



ابن خلدون : ميل فطرى متعطش للثقافة بشكل دائم ، هكذا تخيله احد الفنانين العرب القدامى !

فقطبل أعاد دراسته إحدى وعشرين مرة، واضافة لذلك فقد تلقى ككل أديب طامح تأسيسا قويا فى النحو وفقه اللغة والقضاء .. ولكن البذرة التى وضعت فيه بهذه المعارف الأولى تفجرت فيما بعد .

فنحن نعرف من سيرته الذاتية انه كان مطلعاً على كل المذاهب كما كان يأكل من جميع الثمار ، واعترف بطموحه منذ صباه الى تحصيل المعارف كما كان متحمسا للتردد على المدارس والدروس .

وتذكر سيرته الذاتية باعتزاز علاقاته مع عدد كبير من العلماء الشهيرين فى عصره .

وفى عام ١٣٥٤ كان كاتبا لدى السلطان ابي عنان ولكنه لم يترك العلم (إننى اتابع مع ذلك ، كما قال ، الانقطاع للدراسة واتلقى دروسا من كثير من الشيوخ المغاربة والشيوخ الاندلسيين الذين يقدمون الى فاس) .

وفي عام ١٣٦٨ كان لدى السلطان أبي حمو ولكنه ارسل بمهمة الى بسكره ورفض أن يلبي نداء السلطان وحلم بمتابعة فطرته العلمية في الجزائر .

٣ وبين شهري تشرين الثاني وكانون الأول ، تمت رحلته الى تونس بسبب ضرورات الدقة العلمية ، وهناك كانت شهرته العلمية راسخة جداً إذ أن تلاميذ عديدين من بينهم تلاميذ ابن عرفه مفتى البلاد وإمام الجامع الكبير تزاحموا لطلب الدروس منه ، مثيريــن بذلك حسد هذا العالم الذى كان يمقت قلبيا ابن خلدون منذ صباه .

في عام ١٣٨٣م أعطى دروساً فى القاهرة فى الجامع الأزهر وصار استاذاً فى كلية القمحية ، ويخبرنا بأنه من عام ١٣٨١ الى عام ١٣٩٤ انقطع الى عزلة كاملة ملؤها الدراسة والتعليم .

وفي عام ١٤٠١ تمت المقابلة الشهيرة فى دمشق مع تيمورلنك حيث أن سعة إطلاع ابن خلدون وسهولة تكيفه أعطيا الفائدة المرجوة . فاذا صدقنا ابن عرب شاه . فان شيوخ المدينة راسوه تلقائيا للقاء المخيــف ، سعداء لاحتمائهم خلف هذا الرجل العالم والمتميز ، فانطلق معهم لابساً عمامة خفيفة وثيابا تدل على ذوق رفيع وبرنصا ناعما مثل تفكيره ، يشبه بلونه القاتم خيوط الظلام الاولى .

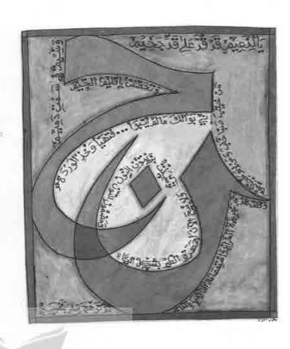
ويروى التاريخ انه ابهر تيمورلنك الى درجة انه عرض عليه أن يصحبه معه ولكن اجابة ابن خلدون كانت جديرة بمثقف من طبقته فقد طلب منه أن يمكنه من اللحاق بكتبه فى القاهــــرة :

(لا شيء يحزنني غير ابتعادي عن كتبي التى قضيت حياتي فى تاليفها وانا أعمل ليل نهار ، انها تضم زبدة دراستي وتاريخ العالم منذ بدء الخليقة وتاريخ ملوك الشرق والغرب) .

هذا اللقاء الشهير ذو السحر الأسطوري يفتح آفاقاً لما لدى ابن خلدون من اصالة ولباقة وتمدن عميق ويبرز بشكل واضح سعة اطلاعه بين الادباء الشرقيين .

القصيدة البنفسجية

شعر: حسن طلب



هـــذه قصيــدةُ القصائــــدْ
ومحمَلُ الطّيوفِ في الحُـروفِ
تـلـك أوّلُ القُـطوفِ
واستسلامةُ الخالدِ للبائـدْ

أسلمَني الطّيفُ إلى الحَرْفِ.. فلُذْتُ بآلاءِ اليـاءْ
كانتْ تتبرّجُ في مُستوياتِ الضَّوْءِ الحيِّ
وتأخذُ زينتَها من أُبّهةِ المـاءْ
قلتُ: فمَنْ تنتظرينَ؟ أشارتْ نحوِ المَرْجِ وقالتْ:
إن شِئتَ قصَصْتُ عليكَ تباريحَ الوَرْدَةِ
.. أو أنبأتُكَ عن وَرَعِ الحِنطـةِ
قلتُ: أشـاءْ
فانضَبَطتْ فوقَ العُشْبِ
وَمَا إنْ أدرِي إلاّ أنْ قد تَرَكَتْ دائرةً زرقـاءَ
عَلى مَرْمى البصـرِ
وخَلّفَتِ المَرْجَ يتيـمًا
قلتُ: فَيا للبُرَحاءْ!
وَهتفتُ: خذيني أَنْ يا طارئةً أطلقَتِ الدّهشةَ في أَوْرِدَتي
أَيْ أسْرَتْني
قالتْ: فاصْبِرْ حَتّى تنتصِفَ الوَحْشَةُ.. واعْبُرْ
مِنْ نَسَقِ الأسماءِ إلى فوضى الأشياءْ
وَانفلَتَتْ
مَا إنْ أَدرِي: هل سكتَتْ أمْ هَلْ همَسَتْ:
سيكـونُ لِقـاءْ

فتَعَلّلْتُ وقلتُ أَلاَ:
مَا كُلُّ حبيبٍ أمْسَكَ بعدَ استرْسَالِ
سَـالِ
وتَساءَلتُ: لِمَنْ أَشكو في حِلّي أو تَرْحَالِي
حَالِي؟
وقلتُ: هذِهِ فريدَةُ الفَرائـدْ
وسُؤْدَدُ العُروجِ للبُروجِ
تلكَ عَسْجَدُ المُروجِ
واستلهامَةُ الغَائبِ للشاهِدْ

وتحصّنْتُ بإقليمِ الجيـمْ
وتزيّنتُ بمحضٍ منْ أزَلِ النارِ
وَومْضٍ منْ أَبَدِ النُّورِ
توطّنْتُ فلسْتُ أنامُ ولسْتُ أُنيـمْ
وتمكّنْتُ حَنَنْتُ، وكنتُ ظننتُ حَنيني سيُواتيني
كانتْ تسْطَعُ في تِيهِ ظنوني
تسمَعُ رَجْعَ أنيني.. وتُناديني
فَيَجيءُ إليَّ الصّوتُ
تَرَانيمَ.. تَرانيمْ
فبَكيتُ وكُنتُ أتَيتُ:
دَليلي الصّمْتُ وَحادِيَّ الصّوتُ
صَمَتُّ وكُنتُ تكلّمْتُ
فمَالتْ عَبْرَ الزُّرْقَةِ والوَقْتِ وقالَتْ:
يا أَنْتَ: بَكيْتَ فأبكيتَ فمَنْ أنتَ؟ أجَبْتُ:
وَسيمٌ في سَمْتِ دَميـمْ!
فاتّشَحَتْ بالدَّيْنُونَةِ.. واتّضَحَتْ
بينَ اللونِ وبَيْنَ الكَيْنونَةِ.. قالَتْ:
لَكأنّكَ قَدْ يا هـذا جَرّدْتَ البَهْجَةَ عَنّي
لَكأنّي بِكَ قدْ أفسَدْتَ المهْجَةَ أوْ كِدْتَ فَزِدْني
قلتُ: مُحِبٌّ أتْلَفَ بالعِشْقِ النّفْسَ

وَصَبٌّ كَلَّفَ بالشَّوْقِ الحِسّ
فباحَتْ بالمَكنُونِ وصاحَتْ:
يا النَعيمِ قَدْ قُدَّ على قَدٍّ جَحيمْ
واتَّحدتْ بتواريخِ الحُبِّ.. وقالَتْ: إنّي أَشْهَدُ تلكَ:
مَنْ خَيَّبَ صَبًّا خابَ ومَنْ لامَ مُحِبًّا لِيمْ
وَأَضافَتْ:
إنّي بَوّأتُكَ مالَمْ يُتَبَوَّأْ.. فتهيّأْ وَخُذِ الوَرْدَةَ
قلتُ الوردةُ حادِثَةٌ"
قالتْ لكنّ العِطْرَ قديمْ
قلتُ صدقتِ.. فيا لَخَرابِكِ يا ذاتي
.. قدْ أفسدتِ الأرضُ أداتي
غُفرانَكَ أنْ يا مَرْئيّ
وعَفوكَ أنْ يا مَسْمُوعْ
وصَفحَكَ أنْ يا مَشْمُومْ
وتساءلتُ: ألا يا أنتِ أمتِّ وأحييتِ فمَنْ أنتِ؟
أجابَتْ: أنا مَنْ كُنتُ أتيتُكَ عِندَ المَرْجِ..
وخَلّفتكَ والمَرْجَ يَتيمًا لِيَتيمْ
قلتُ الآنَ ذكرْتُكِ:
كُنتِ تجلّلتِ بزُخرُفِ هذا الكَوْنِ
وَصلْتِ عُيوني ببدايةِ أَحْرُفِ هذا اللّوْنِ
فقالتْ: أوَ لِلّونِ بداياتٌ؟
قُلتُ: أجَلْ وَخَواتيمْ
وهتفتُ: تعالَيْ.. إنَّ إليَّ الأيلولةَ
بلْ وَلَعلّكِ كُنتِ المجْعُولةَ لي
فأقيمي عُرْسَ الحِسِّ
أديمي مَسَّ الأُنْسِ
أجابَتْ:
أنْ رُبَّ أديمْ
فتهيّأتُ.. وصرتُ تنبّأتُ
بأنَّ الحُزنَ زوالًا سيزولُ وأنّي سأؤولْ
إلى فَرَحٍ مَعْلومْ
في صُبحٍ معلومْ
من يومٍ معلومْ
منْ أسبوعٍ معلومْ
من شهرٍ معلومْ
من عامٍ لا معلومْ
وهتفتُ: ألا
يا راحِلةً والحُزْنُ مُقيمْ

وتهلّلْتُ.. فيالي مِنْ غِرٍّ صَدَّقْتُ خيالي
يا لي
وتعلّلْتُ.. وقلتُ ألا:
ما كُلُّ حبيبٍ قصَّرَ عَنْ رَدِّ مقالٍ
قالٍ

وقلتُ هذه وَحيدةُ الوَحائِدْ
وَوَمْضَةُ الصِّفاتِ في الذواتِ
تلكَ فِضّةُ اللغاتِ
واستِعْجامةُ الكَثْرةِ في الواحِدْ

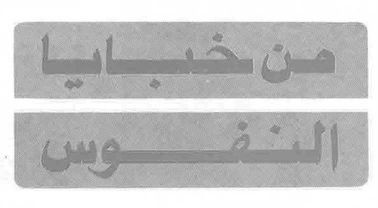
وتوسّلْتُ بزيتونِ النُّون
وتأمّلتُ: رأيتُ العالَمَ لَوْنًا
واللّونَ دمًا
والدّمَ بُستانًا
كانَ البُستانُ يُخانُ.. وكانَ الزَّيتونُ يَخُونْ
فتلذّذتُ برائحةِ الزُّرْقةِ

ثُمَّ تعوّذتُ بآيةِ أنْ: يا وَسْنانةُ هُبّي
أيْ أنْ يا فتّانةُ صُبّي
خَمْرَ الفِتْنةِ للمَفتُونْ
فأتاحتْ مَنْدُوحةَ حُسْنٍ للعَيْنِ ولاحتْ بينَ اللوْنِ وبينَ اللّوْنِ،
وصاحتْ أنْ دُونَكَ والغايةِ
إنّي خيّرتُكَ فاخترْ.. بينَ الحَقلِ وبينَ الغابةِ
قلتُ السُّنبُلةُ استثناءٌ والوَرْدةُ قانُونْ
فتنهّدَتِ.. انتشتِ انضبطتْ بينَ الماءِ وبينَ الضّوْءِ وقالتْ:
قدْ والله فضحْتَ السِّرَّ وأفشيتَ المَكنُونْ
وَأضافتْ أنْ وَيحَكَ.. الْزَمْ قيثارتَكَ الصّمْتَ..
ولا تبُحِ الآنَ لِجَمْهرةِ الطّيْرِ بشكلِ الياءِ ومَضْمُونِ النُّونْ
قلتُ: دعيني
إنْ أنا إلّا نَغَمٌ مُتَفانٍ
يَصْدُرُ عن طَيْرٍ فانٍ
يَخطُرُ في أفْنانٍ
فبكتْ بحَميمِ الدّمْعِ الحَيِّ.. وقالتْ:
ستُسَبِّحُ باسمِكَ زَنبقةُ الماءِ
وتبكيكَ بَنفسجةُ الأرْضِ
ويذكُرُكَ الليمونْ
قلتُ فزيديني.. قالتْ:
ويُخلّدُكَ البَشَرُ الفانُونْ
قلتُ تعالَيْ فلأنّكِ أنتِ الخُلْدُ
وأنتِ الزّمَنُ الفَرْدُ.. تعالَيْ
قدْ آنَ أوانُكِ لي آنَ أوانُكِ، قالتْ:
بَلْ سيؤُونْ
عندَ القَمْحِ لقدْ كُنتُ أتيتُكَ أمْسِ
وتحتَ الدّوْحِ أكونُ سآتيكَ غَدًا
قلتُ ألا: ما أنضَبَ ماءَكِ يا قدْ كانَ
وما أشحَبَ ضَوْءَكِ يا أنْ سيكونُ !!
وتماسَكْتُ وقلتُ: ألا
كُلُّ بَعيدٍ ينعكسُ على مِرآةِ آتٍ
وتماءلتُ وقلتُ: سأغرَقُ في نهرِ مَلَذّاتي
ذاتي

وقلتُ هذهِ خَريدةُ الخرائِدْ
وغايةُ الكلامِ في الغَرامْ
تلكَ آيةُ الخِتامْ
واستِعْصامةُ الذاهِبِ بالعائِدْ

وتوغّلتُ.. فأرجعَني الحَرْفُ إلى الطّيْفِ
فعُدْتُ لآلاءِ الياءْ
كانتْ تتبتّلُ في مِحرابِ الحاءِ.. رأتني:
نهضَتْ فنهضْتُ
وكانتْ تنتظِرُ البَرْقَ فأوْمَضْتُ
رأتني أكثرَ فانتفضَتْ
ما قالتْ شيئًا بَلْ رَكضَتْ.. فرَكضْتُ
وأغمضَتِ العينينِ.. فأغمضْتُ
كأنْ صِرْنا مِنْ حُلْمٍ في حُلْمِ
وكأنْ من مُطلَقِ ذا الكَوْنِ استصْفَينا رَوْنَقَ ذا اللّونِ
وَذُبْنا في مائيّةِ هذا الماءْ

القَمْحُ العُشْبُ الدّوْحُ المَرْجُ الزّيتُونُ الماءْ
وبي إلكاتُ الكَوْنِ - اللونِ تبرّجْ
فاتّحدَ الأزرقُ بالأحمرِ.. ثُمّ توهّجْ
صارَ بَنفسجْ



من خبايا النفوس

بقلم: د. يحيى الجمل

(١)

سيدي

صدقني إذا قلت لك انني لم اكن اتصور أن النفس البشرية يمكن أن تصل فى تناقضها الى هذا المدى قبل أن اعرفك على حقيقتك .

لقد كنت بالنسبة لي فى وقت من الاوقات مثلا من الأمثلة النادرة فى هذه الدنيا : رجاحة عقل ورهافة مشاعر وصفاء قلب . وكنت لا اجد راحة بقدر ما كنت اجدها معك . وكنت لا افزع لأحد إذا حزبني أمر أو كربني كرب إلا اليك . واظن انني كنت لك كما كنت لي وما أكثر ما مر عليك من أيام سود وأزمات طاحنة اوشكت أن تهدك هدا وكانت كبرياؤك تأبى عليك أن تظهر ما أنت فيه لأحد إلا لي .

كنت تقول لي لا أحب أن يطلع أحد على ضعف نفسي سواك . وكنت القاك حفيا بك حريصا عليك محاولا جهدي كله أن أخفف عنك ما يصيبك من عنت فى هذه الدنيا وما أكثر ما أصابك فيها من عنت وجور ونكران .

وأصابك الى جوار ذلك خير كثير وأشهد أنك لم تتغير ولم تتبدل ولم تتلون وانما كنت نفسك كما عهدناك : لين جانب وبشاشة وجه ورغبة صادقة فى الخير ما استطاعت الى ذلك من سبيل .

ولم تجامل فى حق ولم تظلم أحيانا لكي يقال عنك عادل وما أكثر الذين يظلمون طلبا لشهرة العدل وهم بعيدون عن جوهره .

ماذا أقول عنك ؟

أشهد انني وقد ذهبت الى شرق وذهبت الى غرب وعاشرت اخلاطا من الناس عديدين أشهد انني لم أعرف أحدا فى مثل صلابتك ولم ألق أحدا فى مثل وضوح رأيك ولم أصادف من هو أكثر منك صفاء قلب ودقة احساس .

أتذكر كيف كان الصحاب ينظرون الينا ؟

كان بعضهم يغبطنا على تلك العلاقة النادرة فى قوتها وعمقها . وكان بعضهم يحسدنا أشد الحسد ويتمنى لو يحدث فى علاقتنا صدع ، وكنا واعين لذلك فلم نمكن أحدا أن يسعى بيننا بسوء ..

وكانوا جميعا - الغابطين والحاسدين - لايروننا إلا رأيا واحدا وموقفا واحدا فيما كان يعرض من أمور يؤخذ فيها الرأي أو تحتاج الى قرار .

ألم يكن ذلك كله صحيحا . ألم يشهد بذلك كله كل من كان له بنا صلة من قريب أو بعيد ؟ .

وهبت على حياتك عاصفة هوجاء أصابتك باضطراب ليس بعده اضطراب وأعمل الناس السنتهم الحداد ينهشونك فى غير رحمة ، ولم تجد لك ملاذا سواي . وبلغت من الضعف النفسي أقصى مداه ووقفت الى جوارك أحاول قدر طاقتي أن أعينك على استعادة نفسك ورتق جرحك والخروج من أزمتك وأظن انني بلغت من ذلك كله بعض ما كنت أريد .

وكان القدر أراد لنا - حتى ذلك الحين - أن نبتلى بأزمات متشابهة فما كدت أنت تبرأ بعض البرء مما أصابك حتى دارت الدائرة علي . فاذا بي يصيبني شيء غير بعيد مما أصابك ، وإذا بحياتي الخاصة تضطرب اضطرابا شديدا ، وإذا بما كان خافيا من أمرها على مدى سنوات طوال يتفجر تفجرا واضحا ، وإذا بي أجد نفسي فى أوضاع بالغة القسوة والصعوبة . وأشهد أنك أشرت علي بأمور أخذت ببعضها ورفضت بعضها . وأشهد أن ما أخذت به من مشورتك كان خيرا محضا مازلت أسعد باثاره ونتائجه .. لست من الجحود بحيث أنسى ذلك كله وسط غمرة الحزن الواصب والهم المقيم الذى أصابني نتيجة ما أقدمت عليه من تصرفات بعد ذلك .

● ● ●

وزين لك الشيطان أمورا وأغراك الضعف النفسي ، فاذا بك تنزلق الى مستنقع آسن ليس له من قرار . ولم أكن أصدق فى البداية . فما كنت أتصور أن هذا الذى يتهامس به الناس يمكن أن يصدر عنك . فقد كنت ماتزال كبيرا في



مخيلتي .. ومع ذلك فاني لم أملك نفسي أن أراقب من بعيد ، فقد بلغ اضطرابك وغرابة اطوارك مبلغا ملفتا للنظر الى المدى الذى جعلني وقد كنت بالنسبة لي ما كنت ـ أراجع نفسي فى أمرك ، ولا القى بكل ما كان يصلني من همس بعيد الى حيث يلقى الناس بما لا قيمة له ولا فائدة فيه . وإذا بالأمور كلها تتكشف وإذا بك غارق فى الحماة وإذا بى أواجهك فلا تملك إلا البكاء .

صدقني لقد كانت فجيعتي فيك بغير حدود .

وزلزلت الأرض زالزالها ، وانهارت الجبال كلها فى لحظة وأسدل بيننا ستار صفيق .

● ● ●

وحاولت ان تدافع عن نفسك عن طريق بعض الصحاب . فما كنت أطيق أن أراك . وما كنت تجرؤ أن تلقاني ، وكان دفاعك ـ لأول مرة فى قضية من قضاياك ـ دفاعا ضعيفا ركيكا لا يستقيم أوله مع اخره ، ولا يجوز على أحد .

● ● ●

ومضت شهور واعقبتها شهور ..

واني لاتساءل اين انـا وايـن انت الآن ؟

أما أنا فصدقنى إذ قلت لك اننى قد برئت منك ومن كل ما كان ، وان حياتي قد استقامت على نوع من الرتابة التى ارتضيتها لنفسي . وان الله قد عوضنى عن كثير مما فقدت فى غير قليل من جوانب الحياة .

أما أنت ، فلعلنى الوحيد الذى يعلم حقيقة ما انت فيه .

أنا أعلم انك تصبح وتمسي ، يحاصرك شعور رهيب من الاحساس بالذنب ليس إلى فكاك منه من سبيل .

وأعلم انك تصبح وتمسي فى هم ونكد وخلف .

ولست اكتمك اني احس احيانا براحة عندما تتنامى الي أخبار ما انت فيه من شقاء ، فنحن من بني البشر ، ولست احس بالرضا عندما أرى امامي القدر وهو يقتص لي منك .

ومع ذلك فصدقنى إذا قلت لك ، إننى احيانا أحس بما انت فيه ، وأصدق ما قلته مرة لأحد الصحاب من انك ضحية ، وانك مجنى عليك أكثر منك جان ، وأحاول قدر طاقتى أن أغفر لك.

أحاول ذلك كله أحيانا ، ولكنى لا اكتمك انى لا اقدر عليه فى اغلب الأحيان

أتريد ياسيدى أن اقول لك فى نهاية هذه الرسالة التى أعلم انها ستقع على نفسك وقعا اليما ، وانها ستنكا الجراح التى يحاول الزمن أن يعمل فيها عمله : لا شيء ياسيدى فى هذه الدنيا يمكن أن يحقق التوازن ويبعد الاضطراب عن الحياة قدر ذلك الذى يقال له «الاستقامة»

واللـــه يتولاك ويتولانا جميعا برحمته .

الجماهير

والمسرح الهزلي والميلودراما في السينما

بقلم : حافظ أحمد أمين

احصائيات تبدو ـ للوهلة الاولى ـ غريبة متناقضة ، فهي تشير الى ان اكثر اقبال الجماهير في المسرح على المسرحيات الهزلية ، ولكنها تشير ايضا الى ان انجح الافلام السينمائية ـ من حيث اقبال الجمهور ـ هي الافلام الميلودرامية ·

ماذا يريد الجمهور العريض اذن؟ الضحك والفكاهة ؟ أم البكاء والمواعظ ؟

ان نجوم شباك المسرح المصري ـ مثلا ـ هم عادل امام وفؤاد المهندس وعبد المنعم مدبولي ، ونجوم شباك السينما المصرية هم فريد شوقي ومحمود المليجي وفاتن حمامة ··· الاولون كوميديون والاخرون أقرب الى الميلودراما ·

وقد عمل كل من يوسف وهبي ونجيب الريحاني ـ لفترة طويلة ـ في المسرح والسينما ، فكان نجاح الاول في السينما اكبر من نجاحه في المسرح ، ونجاح الثاني في المسرح اكبر من نجاحه في السينما ، والاول ميلودرامي والثاني كوميدي ·

هنا نطرح سؤالين :

الاول : هل يجذب الفن المسرحي ـ في الاغلب ـ افرادا يميلون بطبيعتهم الى الضحك، بينما يجذب الفن السينمائي أفرادا آخرين يميلون بطبيعتهم الى البكاء ؟

الثاني هل يدخل معظم الناس المسرح طلبا للبهجة والسرور ، فاذا ما قصدوا ـ هم انفسهم ـ السينما، تطلعوا الى فن حزين مليء بالمواعظ؟

تفسير الظاهرة

كان لابد اذن من استكمال الاحصاءات ، بغرض الحصول على تفسير للظاهرة · طرحنا سؤالين بسيطين لتصنيف جمهور المسرح وجمهور السينما والجمهور المشترك ولمعرفة ما يطلبه كل جمهور عندما يقصد الى مكان العرض الذي يفضله :

هل تفضل الذهاب الى المسرح أم السينما ؟ ··· ولماذا ؟

قال معظم من فضل الذهاب الى السينما ان المسرح الان اصبح معظمه هزلا لا جد فيه ، وأنه يجد في السينما موضوعات تؤثر في نفسه تأثيرا عميقا ·

أما من فضل الذهاب الى المسرح فانه يسعى وراء سهرة ممتعة ، يضحك فيها ويبتهج ·

وكان هناك فريق ثالث ، يذهب أحيانا الى المسرح ، وأحيانا الى السينما ، أما الاختيار فيتوقف على



عبد المنعم مدبولي



عادل امام


فريد شوقى


فاتن حمامة


يوسف وهبى

حالته النفسية ، وعلى الصحبة التي يخرج معها ·

من هذا يتبين ان متفرج المسرح يختلف عن متفرج السينما ـ حتى ولو كان المتفرج شخصا واحدا ـ وهذا في رأينا ـ راجع الى اختلاف طبيعة الفن المسرحي عن طبيعة الفن السينمائي ، ولعل اهم اختلاف يتركز في أعتماد السينما على الصورة ، وأعتماد المسرح على الكلمات ، في التأثير على المتفرج ·

استسلام المتفرج

ولكن ما علاقة الصورة بالرغبة في البكاء ، والكلمات بالرغبة في الضحك ؟

اذا كان الحوار أساس المسرح ، فالصورة اساس السينما ··· جمال البطلة وقوة البطل يظهران في السينما عنطريق تركيز الكاميرا على مفاتن جسم البطلة ، وما يفعله البطل من حركات وافعال تشير الى القوة، بينما لا يستطيع المسرح أن يصف هذه القوة وذلك الجمال الا عنطريق الكلمات والمنطق والحوار ·

وتختلف الصورة في السينما عن الصورة في الصحف والمجلات في ان الاولى متحركة والثانية ثابتة ·

ان عرض الفيلم السينمائي يعني تتابع عدد من الصور في كل ثانية امام عين المتفرج ، وعدد مانعرض على المتفرج عددا ثابتا من الصور في مقدار ثابت من الزمن ، فاننا تضعه في حالة من الحيره ، كتلك التي تنتاب راكب القطار ، عندما يستمع الى صوت احتكاك العجلات بالقضبان ـ صوت واحد لا يتغير ، يتكرر كل وحدة زمنية معينه ـ وكننا يعلم ان هذا الصوت يثير عند الراكب الرغبة في النوم ، ثم يستيقظ اذا أبطأ القطار أو اسرع، أي اذا تغير معدل تكرار الصوت ·

ان هذا التتابع في الصور أمام المتفرج ، يضعه في حالة من الاستسلام، يسهل معها التأثير عليه، يوهمه بأن ما يجرى على البطل انما يجرى عليه ، فالمتفرج الذى يتابع أفلام فريد شوقي ـ مثلا هو الذي يضحي بنفسه من اجل نجاح أولاده، والمتفرجة التي تتابعأفلام فاتن حمامة تضع نفسها مكان البطلة الفاضلة التي تضحي بحبها من اجل حبيبها ··· وهكذا ·

الاحساس بالمجتمع

متفرج السينما يدخلها ـ غالبا ـ ليرى نفسه ، وهو يريد أن يرى هذه النفس فاضلة ومظلومة ، وهذا يثير الحزن والبكاء كما يثير الاعجاب بالمواعظ والحكم ، أما متفرج المسرح فيدخله ـ في الاغلب ـ ليشاهد صراع البطل مع خصمه وعدوه ، وهو يريد أن يرىهذا الخصم ـ رئيسه أو حماته ـ في صورة قبيحة مزرية ، وهذا يثير البهجة والضحك ·

واذا كان متفرج السينما انسانا مستسلما مخدرا ، فمتفرج المسرح يقظ منتبه ، ذلك ان الكلمات من طبيعتها مخاطبة العقل ·

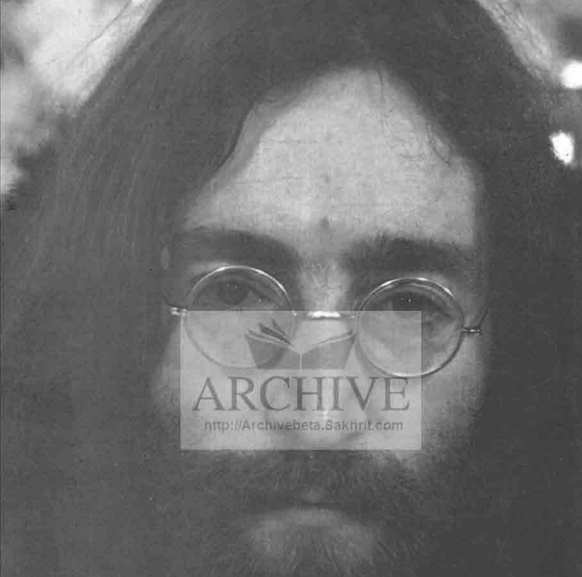
واذا كان متفرج السينما وحيدا ـ حتىبين اصحابه ـ فمتفرجالمسرح انسانا اجتماعيا ـ حتى لو دخل المسرح وحده ، فمتفرج المسرح يشعر بأنه أحد العناصر الهامة فيالعرض وانه يساهم ـ مع من بجواره ـ في انجاح المسرحية ، وفي انضاجها ليلة بعد ليلة، وان مشاعره محسوس بها عند الممثلين وعند باقيالجمهور ·

ومما يؤكد ظاهرة يقظة متفرج المسرح ، وحالة التخدير التي تنتاب متفرج السينما ، الاحساس غير السار الذي يشعر به متفرج السينما اذا فوجيء باستراحة قبل نهاية الفيلم فالاستراحة تعني انقطاع حالة الاستسلام المريح في السينما ، هذا بينما يسعد متفرجالمسرحبالاستراحة اذ تساعده على تجديد نشاطه ، واستعادة ما سمع ، ومناقشة الموضوع مع اصحابه ·

واذا ما اجتمع الاحساس بالمجتمع معحالة التخدير والاستسلام للصورة صار من السهل التأثير على متفرج السينما ، واظهار كل ما كان يبطنه من الام واحزان ، وهذا هو سر نجاح الافلام الميلودرامية في اجتذاب الجمهور الكبير ·

واذا ما اجتمع الاحساس بالمجتمع مع حالة اليقظة والانتباه للحوار ، صار من السهل التأثير على متفرج المسرح ، واظهار كل ما كان يبطنه من رغبة في اصلاح الفساد من حوله وهذا هو سر نجاح المسرحيات الهزلية في اجتذاب الجمهور الكبير ·

حافظ احمد امين



جون لينون

ومقتل أسطورة شعبية

رسالة لندن من

مجدي نصيف

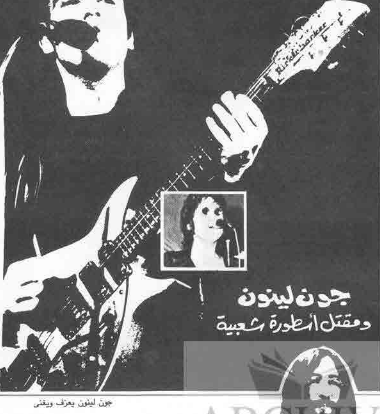


فرقة البيتلز : جون وبول ورينجو وجورج

كلنا نظر الى فرقة «البيتلز» على انها «تقليعة» فى عالم الموسيقى والغناء . وكان شباب الستينات وأوائل السبعينات يقلدونهم فى كل شىء ، حتى أنه عندما كنا نشاهد شاباً قد اطال شعره كنا نقول عنه انه «خنفس» . وفى ظل هذا «التسطيح» ضاعت حقيقة فرقة البيتلز وموسيقاهم وأغانيهم وأفلامهم .

وبعد مقتل جون لينون ظهر فى بريطانيا خلال هذه الفترة القصيرة التى لا تزيد عن ستة أشهر أكثر من ست كتب عن لينون ، بعضها قديم وأعيد نشره . وهذه فرصة لأن نعيد تقييم موسيقاه وأغانيه ، وبشكل اشمل موسيقى وأغانى «البيتلز» . انها نظرة جديدة الى كل هذا دون أن تعمينا مظاهر الشعر الطويل وجنون البيتلز .

وقد اعتمدت فى هذا على الكتب المتاحة وكذلك على مقال الناقد الفنى سيمون آرت .



جون لينون ومقتل أسطورة شعبية

جون لينون يعزف ويغني

«موت بطل !»

كان هذا هو العنوان الذى نشر فى صدر الصفحة الأولى لصحيفة «الديلى ميرور» البريطانية ، والذى أعلن مقتل الموسيقار والمغنى جون لينون ، بيد أحد معجبيه . واذا لم يكن القارىء على علم بتفاصيل الحادث التي انتشرت قبلها بسرعة البرق ، عن طريق الاذاعة المسموعة والمرئية ، لاعتقد ـ على عادة الصحف الشعبية فى بريطانيا ـ ان الذى قتل هو أحد جنود الجيش البريطانى الذى يحتل ايرلندا الشمالية .

كان رد فعل وسائل الاعلام لموت جون لينون ، أحد افراد «فرقة الخنافس» ساحقاً وشاملا ، فيما بدا وكانه سلسلة من الأحزان الخاصة ، تحول بفضل الصحف الشعبية ـ التابلويد ـ وتجار الاسطوانات الى «كارثة قومية» . كان من الصعب ان يتبين الانسان معنى كل هذا الحزن والرثاء . بدت وسائل الاعلام اقل حذقاً ومهارة ، عما اعتادت ان تكون عليهما ، بدت هذه الوسائل غير متقنة التكنيك فى محاولاتها الاستجابة لصدمة شعبية اصيلة وحقيقية .

إن ما وصل عبر قنوات وسائل الاعلام لم يكن مجرد حنين جارف لـ «فرقة الخنافس» التى توقفت عن العمل ، لكنه كان حزناً محدد المعالم ، على فقدان خصائص «فرقة الخنافس» التى راحت مع موت جون لينون . المدهش فى أمر وسائل الاعلام ان تلك الخصائص لم تكن تتوافق بسهولة مع ايديولوجية «فليت ستريت» اللندنى ، أى شارع الصحافة البريطانية .

قال جون لينون ذات مرة لمحرر مجلة الشامة الحمراء اليسارية ملخصاً ما يؤمن به ، وما تمثله «فرقة الخنافس» : «الفكرة ليست أن تريح الناس ، ولا أن تجعلهم يشعرون بتحسن ، لكن أن تجعلهم يشعرون أنهم .. أسوأ» .

إن صحيفة «الميرور» التى ازداد حسها الشعبى مؤخراً بسبب سياسة السيدة مرجريت تاتشر رئيسة وزراء فرنسا المعادية للنقابات والطبقات الشعبية ، هذه الصحيفة قد ادركت المزاج الحقيقى الذى ساء الناس لموت جون لينون . من المؤكد أن جون لينون كان اقرب ما يكون الى «بطل» قومى بالفعل . ومن عاش فى بريطانيا يدرك هذا . انتى أعرفه بلغة المعجبين الذين يجنون باسطواناته فيقبلون على شرائها واقتنائها ساعة صدورها ، والذين يرغبون فى صداقته الخاصة ومودته ، أو كما قالت احدى المعجبات وهى تبكى بعد أن سمعت النبأ: لن اقابله أبداً .. بعد الآن» .

ورغم أننى أعيش فى بريطانيا الآن لما يزيد عن ثلاث سنوات ، عاشرت فيها البريطانيين خلال عملى ككاتب وصحفى من كافة المهن والفئات والطبقات ، إلا أننى لم أدرك فور سماعى للنبأ ورد الفعل مغزاه العميق فى قلوب البريطانيين . لقد تعلمت هنا كيف استمتع بموسيقى وغناء جون لينون ، ولكنى مع ذلك لم أدرك العلاقة بين المتعة التى كنت أحصل عليها من الاستماع لأغانيه وموسيقاه ، وبين «البطولة» . بدأت أدير محطات التليفزيون الثلاث وأتابع الأخبار . حاولت أن أجد تفسيراً منطقياً لحزنى الذى كان حقيقياً . لم تكن المسألة بالنسبة لى مجرد تتبع الأخبار كما هو الحال دائماً بالنسبة لى ، لماذا أشعر بهذا الشعور تجاه نجم من نجوم الغناء «الغربى» ؟ لماذا ؟



مع زوجته اليابانية



شوبارت



هارولد ويلسون

لماذا ؟

بدأت الاجابة العقلانية تتشكل شيئا فشيئا . كانت المعلومات موجودة بالفعل . لكن اهم ما ساعدنى فى الاجابة على هذا السؤال هو رصيد اغانى وموسيقى جون لينون ، ذلك الرصيد الذى تعرفت عليه واستمتعت به خلال السنوات الاخيرة فقط .

كان جون لينون بطلا ، بما يرمز له ، لأنه خاض المعارك العنيفة ضد المفهوم العلاى لتجويف موسيقى البوب . وقاوم المناورات ، ومحاولات الدفع نحو التجارية . ووقف ولم ينزلق متحولا الى سلعة تجارية من سلع الغرب . بل لقد استمرت هذه المعارك بعد موته ، من خلال افتتاحيات الصحف والمقابلات الاذاعية التى اعيدت بصوته والملاحق التى صدرت خصيصا وبسرعة مز دانة الصورة كان الجديع ، ومن كافة الاتجاهات ، وخاصة تجار الاسطوانات والاغانى ومتخصصى تشويه الثقافة الحقيقية . كانوا يدعون بان لينون كان صديقهم . وانه كان رمزا لثقافتهم و «بضاعتهم» !

وكتب بريان ماك اليستر فى صحيفة الجارديان البريطانية معلقا على هذا كله:

ـ «اذا نظرت الى هولاء الذين يقولون انهم اصدقاء جون لينون ، لفهمت لماذا قرر المسكين ان يذهب ليعيش فى أمريكا» .

وفى عام ١٩٧١ قال لينون :

ـ يجب ان يشعر المرء بكم كبير من احتقار الذات ليكون على ما كان عليه «الخنافس» وهذا ما ارفضه . اننى لم ادرك هذا وقتها ، لم اعرفه ولم اتنبا به . لقد حدث الأمر شيئا فشيئا وبهدوء ، حتى وجدت هذا المجنون يحاصرنى . لقد وجدت نفسى أمارس بالضبط ما أردت تجنب ممارسته مع اناس تمقتهم ، انهم نفس الناس الذين كرهتهم عندما كنت فى العاشرة

وكان اكثر اصدقاء جون لينون اثارة للاشمئزاز (اذ قال انه يعرفه تمام المعرفة !) هو رئيس الوزراء البريطانى السابق هارولد ويلسون ، الذى شرح لبرنامج «العالم فى الساعة الواحدة» كيف رشح لينون والخنافس للحصول على «وسام الامبراطورية» لان لينون ـ كما قال ـ كان سببا فى ابعاد الشباب عن الشوارع ! وعندما سأله مقدم البرنامج روبين داى الشهير «الم يضرب لينون قدوة سيئة للشباب بتشجيعه تعاطى المخدرات ؟»

اجاب هارولد ويلسون : «آه .. نعم .. لقد أخطأ فيما بعد» . اخطأ لينون .وبدا آنذاك ، وهو مايبدو لي الآن ، ان خطأ احد «الخنافس» يعتبر حدثا سياسيا هاماً . لقد ادرك لينون أى نوع من «الأبطال» يريده ويلسون . كان ويلسون يريده «بطلا» كبطل كلمات أغنية لينون الشهيرة «بطل الطبقة العاملة» :

ابقوا مخدرين بالجنس والصحف والتليفزيون ، وتصدقون انكم ماهرون وفى مجتمع بلا طبقات واحرار ، لكنكم مازلتم فلاحين قذرين كما أرى ، ... بطل الطبقة العاملة هو امل الجميع .

مازال هناك مكان لك فى القمة ، يقولون لكم ، ولكن اولا تعلم كيف تبتسم وانت تقتل ، هذا اذا اردت أن تكون مثل هؤلاء الذين فى القمة ، ... نعم . بطل الطبقة العاملة هو امل الجميع . اذا أردت ان تكون بطلا .. فاتبعنى ، اذا أردت أن تكون بطلا ، فما عليك إلا أن تتبعنى .

انت تعرف ان المسالة صعبة .. !

كان جون لينون مراهقـــا من الخمسينات وليس من الستينات . بدأ عزف موسيقى الروك ـ اند ـ رول عام ١٩٥٦ ، عام حرب السويس ، والعدوان الثلاثى على مصر ومحاولات الاستعمار التمسك بمعاقله فى بلادنا العربية . كانت موسيقاه اناك تغذى مشاعره بفساد عالم الكبار ، لكن بطريقته الشخصية .

كانت موسيقى الروك ـ اند ـ رول هى أصوات منتظمة تصاحب «النضالات» فى المدرسة والبيت ، ضد عملية «غسيل المخ» لجذب الشباب الى «مهنة ناجحة» والحصول على درجات متفوقة فى الدراسة ، وعلى «الاحترام» فى المجتمع الاستهلاكى الغربى الذى يحاول من خلال نظم التعليم السائدة أن يصب قوالباً يتصرف الناس على أساسها ، يضع من خلالها القيم والتقاليد التى «يجب» أن تسود .

برز «البيتلز» عام ١٩٦٠ كاربعة من الشباب يعزفون موسيقى الروك ـ أند ـ



فى منزله بعيدا عن زحمة الجمهور



كانت زوجته اليابانية تشترك معه فى العزف

رول . كانت الستينات فترة خصبة عظيمة بالنسبة للشباب الغربى على وجه الخصوص . انه العقد الذى شهد استقلال معظم الدول الافريقية والمد الهائل لحركة التحرر الوطني والكفاح ضد الامبريالية ، وشهد أيضا حركات الشباب التى اخذت تبحث عن انماط ثقافية خاصة ، بعد أن رفضوا الانماط القديمة «المقولبة» . كان الخنافس يمثلون نمطا جديدا يقدمونه لشباب العالم ، فشقوا طريقهم بسرعة هائلة نحو القمة . الى درجة ان علماء المجتمع والأخلاق البريطانيين قالوا ان «البيتلز قد أصبحوا ظاهرة ثقافية اجتماعية معاصرة ، زرعوا نمطهم فى ارض التمرد الجديد ، الى درجة ان تلاميذ المدارس رفضوا دراسة الموسيقى الكلاسيكية والفولكلور البريطاني ، وطالبوا بدراسة كلمات اغانى وموسيقى «فرقة البيتلز» .

وشهدت بداية الستينات حركة تمرد هائلة فى أوساط الشباب ، اتخذت اشكالا مختلفة منها الايجابى ومنها السلبى ، وتركزت الحركات السلبية فى مودة «الهيبيز» الذين فضلوا الانعزال عن المجتمع الاستهلاكى بقيمه الكاذبة المتدهورة ، وفضلوا ان يأكلوا من صناديق القمامة على الاشتراك فى عملية الانتاج فى مجتمع يسخرهم ويسخر انتاجه للحروب والاعتداء على الشعوب . أما الاتجاهات الايجابية فتمثلت في حركة الاحتجاج الواسعة التى عمت جميع انحاء الولايات المتحدة – بل وأوربا وبقية انحاء العالم – ضد حرب أمريكا فى فييتنام ، فرفض الشبان اداء الخدمة العسكرية وقاموا بمظاهرات الاحتجاج .

وفى هذا الاطار لعبت الفرق الموسيقية التى شكلها الشباب دورا هائلا .. لقد رفضوا الموسيقى الموجودة من الفيس بريسلى وجيله ، واخذوا يبحثون عن الجديد ، فوجدوا فى «فرقة البيتلز» ضالتهم المنشودة .

فى عام ١٩٦٢ غنت اغنية «احبينى .. احبينى» ثم اغنية «اسعدنى من فضلك» واغنية «طعم العسل» وقفزوا الى القمة . وقال عنهم ليونارد بيرنشن الموسيقار الألماني : «لا احد يستطيع ان يصم أذنيه عن ايقاع موسيقاهم ، انه

قبل الحادث بأيام



يسري مع حركة عضلات الجسم ، ويبلغ لعبهم بالألفاظ والحروف الساكنة والمتحركة فى الكلمات حد الكمال .. اما أوزان الشعر نفسها فقد اختاروها مليئة بالحيوية والعنفوان ، لذا فان انسياب الموسيقى الذى يشبه عزف شوبرت ، مع جمال الأداء الغنائى ، كل هذا جعلهم موسيقى الافتتاح لسيمفونية المستقبل» .

كان الأربعة الذين يشكلون فرقة البيتلز : جورج هاريسون ، وبول مكارتين ، ورينجو ستار ، وجون لينون من نفس أعمار الشباب الذين يستمعون اليهم . يضاف الى ذلك انهم جاءوا من قاع المجتمع البريطانى ، من ميناء ليفربول ، لتعبر موسيقاهم وأغانيهم عن أحاسيس القطاع العريض من الجماهير العاملة ، ليس فى بريطانيا وحدها ولكن فى العالم الغربى كله ، وفى العالم الثالث . لقد عبروا بصدق وبدون ادعاء بلغة فهمها الجميع عن الأحلام العريضة فى الحب والسلام والحرية والعدالة ، وهى أحلام عجز المجتمع الاستهلاكى فى الدول الصناعية المتقدمة عن تحقيقها للطبقات الشعبية العريضة .

وقد اشتهر جون لينون على وجه الخصوص من بين «البيتلز» الأربعة ، بوعيه السياسى المرتفع . كان هو العقل المفكر والشخصية القيادية التى لعبت دورها فى تطور الفرقة . وأصبح لينون من الشخصيات التى يمكن تشبيهها بلعبة من اللعب يحتضنها الصغار ، وصار جزءا من تيار المعارضة الجارف ضد الانصياع



حديث تليفونى قبل مقتله

للمؤسسة والتقاليد السائدة .

لم يكن جون لينون وحيداً فى ذلك ، إنما كان مثله مثل العديد من فتيان الخمسينات . لكن الفارق الاساسى ان لينون استمر يمثل هذا النبض ، بينما فقد باقى الفتية حدة ما يؤمنون به ، لقد اصابتهم نعومة ما يلازم «صناعة الترفيه» والعروض وفرق الموسيقى والغناء والشهرة . كان «الأولاد اللعبة» محكومون بدائرة المراهقين من المعجبين الذين يحيطون بهم ، فلا تجعلهم يرون ما بعد ذلك . كانوا يغنون اغنية جيدة واحدة فقط ، من طراز الروك ـ اند ا رول ، وبعدها يجدون انفسهم ابطالا للعروض الموسيقية التافهة وحفلات الترفيه عن جمهرة المصطافين على الشواطىء ، تماما كما قضت كباريهات شارع الهرم على كثير من المواهب الفنية بين الشباب العربى .

لم تكن طفولة جون لينون سعيدة . اولى الأسباب انه عاشها فى ميناء ليفربول البريطانى الذى يوفر مزايا «موسيقية» عريضة لأنه ميناء دولى . وكان بالمدينة العديد من النوادى الليلية التى توظف فرق الروك ـ اند ـ رول ، لتعزف الموسيقى للكبار . ويقول الان ويليامز اول مدير لفرقة البيتلز : «إن موسيقى ليفربول يمكن ان تفهم اذا ما عرفنا «عصابات» الشباب والاقتتال الذى يدور بينهم . لقد تعلم البيتلز كيف يعزفون موسيقاهم فى جو يختلف تماما عن جو لندن» .

وهكذا ، فأينما عزفوا : سواء فى ليفربول ام بعد ذلك فى أوربا ، كانت موسيقاهم عالية وخشنة . وتكونت اغنياتهم حول دقات الطبول والباس والجيتار (وهو دور لينون الهام) ، والتى تتناسب مع صوت جون لينون وصوت بول ماك كارتنى . كانت ضوضاء ليفربول تتسم بالخشونة والقسوة ، انها نتاج اجهاد ليالى طويلة متعبة .

وهذا هو احد الأسباب فى استمرار فرقة «البيتلز» واشخاصها بعد ان وضعوا اقدامهم على طريق «صناعة الغناء» وعلى سلم المجد و «النجومية» ، فى الوقت الذى دخل الآخرون من شباب الفرق الأخرى ، من امثال تومى ستيل ومكيف ريتشارد فى عداد «المرفهين عن العائلات» . لقد تعلم الخنافس اسلوب «البقاء للأصلح» فى الشوارع .

وكما ان مقتل جون لينون أدى الى ان يتذكر الناس ، الموسيقيين من بحارة ليفربول ، فان الشىء الجديد الملهم ايام كان البيتلز مازالوا فى ايامهم الأولى ، هو الثقة التى جعلتهم يتمثلون الموسيقى وينسبونها لانفسهم ، وكان صوت جون لينون هو اكثر أوجه هذه المسألة تاثيراً . فقد غنى كلمات الأغانى الأمريكية بلهجة اهل ليفربول ، كانوا يلفظون الكلمات والجمل الانجليزية من الأنف مثل العمال الانجليز ، بدلا من خروجها من الحنجرة مثل الأمريكيين .

عبقرية لينون

يشير كل من يتحدث عن موهبة لينون الى عبقريته فى كتابة الأغانى على وجه الخصوص . والى جانب ذلك ، كان صوته ايضاً ملفتاً للأنظار . تمكن لينون من ايصال الفة مباشرة تحكم فيها ببراعة ، فى الأيام الأولى كان يصحبها غضب مكتوم ، وفى ايام ما بعد «البيتلز» ـ منفرداً ـ كان يصحبها تعبير الندم والتفاؤل باحكام متساو . واشارت معظم كتابات الرثاء بعد مقتله ، الى انه كان المغنى الوحيد الذى تمكن من اداء صيغة «الجماعة» باقناع . والمؤكد ان «البيتلز» كانوا مختلفين تماماً عن بقية الفرق الموسيقية والغنائية ونجوم الغناء ، عندما حققوا قصة نجاحهم الخرافية غير العادية التى لم يحدث لها مثيل فى عالم الفن . والأغرب من ذلك ، أن مؤهلات نجاحهم لم تكن هى تلك المعترف بها فى عالم صناعة النجوم و «النجومية» . لقد استقبلهم معجبوهم ومستمعوهم : ساخرين متغطرسين ، قلقين .

جاء «البيتلز» بشىء جديد : جاءوا ليقدموا «موقفاً» محدداً من المؤسسة والسلطات والحروب والمجتمع الاستهلاكى ، الى جانب «حمى المعجبين» المعتادة فى امثالها من الفرق الأخرى ، ان لم تزد عليها فى هذا المجال . وبدأ «البيتلز فى الاستحواذ على اعجاب جمهرة من المستمعين كان من الصعب ايجاد علاقة بينها وبين موسيقيي الروك اند ـ رول فى الماضى ، تلامذة الصف السادس .

كان «البيتلز» اول فرقة غنائية انجليزية لا توجه الاهانات الى «ذكاء» المستمعين وحواسهم ومعرفتهم . لقد انتجوا موسيقى هى صوت «المقهورين» مقتبسة من أصول ومصادر الزنوج الأمريكيين مع احتفاظها بالخشونة . يقول عنها مدير احدى شركـــات الاسطوانات : «انها شىء خارق لا يمكن ابتلاعه بسهولة فى عالم الموسيقى التجارى» .

كان جون لينون فى هذا السياق ، هو اكثر الخنافس حزماً وذكاء . كان ، كما يقول الانجليز ـ هو « الحافة الحادة فى السلاح » . كان متفهما للشارع بحدة من منطلق الاختيار وليس من منطلق الحاجة او الجرى وراء الربح والشهرة .

« كان كتلميذ فى مدرسة ، ورغم كل تمرده اعتمد على الغطرسة الثقافية لتلميذ فى



جون لينون وهو يعزف وسط جماهيره

المدرسة » . لكنه كان بوهيميا تعلم أن يسخر من « اللامنتمين » .

كان لينون هو أسرع من قفز من «البيتلز» نحو الامكانيات المتفتحة أمام موسيقى الروك – أند – رول ، وثقافة شباب الستينات . وكانت أهمية «البيتلز» البالغة بين عامي ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ ، انهم لم يقودوا حركة الشباب آنذاك ، وإنما انضموا اليها . ورغم الألقاب النجوم الراسخة التى كانوا يتمتعون بها آنذاك ، فانهم أصبحوا – وخاصة لينون – رفاقاً فى حركة تحرير الفن والثقافة فى منتصف الستينات . أثبت لينون ما آمن به ، وهو استحالة التفرقة بين مظاهر « الهيبيز » وبين البيئة التى ترعرع فيها شباب الستينات : المخدرات والنظرة الجديدة للجنس ، والتى جاءت كلها فى إطار المسيرة السياسية التى غذت الحركة الطلابية ، والحركة المعادية للحرب ، وأحداث مايو ١٩٦٨ ، والحركة النسائية .

وكان لانخراط جون لينون فى هذا والتزامه بما تمثله حركة الهيبيز الحقيقية ، أيضا استجاباته لأفكار يوكو أونو – التى تزوجها فيما بعد – المعادية لـ « البوب » ، كان لهذا كله الفضل فى تفادى السقوط بعد تجربة البيتلز ، بل وأدى الى تطوره بعد ذلك ، مما جعله ينتج أفضل موسيقاه السياسية فى نهاية الستينات .

كل ما أريده هو الحقيقة

فى الأسبوع الذى قتل فيه جون لينون صدرت ثلاث اسطوانات بعنوان «الساندينيستا» لفرقة « الصدام »

وموسيقى هذه الاسطوانات العنيفة استفزازية مثيرة ماسة للمشاعر : بنادق وحركة تحرير ، صور من النضال والشك . لقد كانت خير رثاء لتاثير موسيقى لينون ، انها موسيقى يستحيل على الانسان أن يتخيلها دون أن يفكر فى جون لينون .

كان جون لينون يعتقد أكثر من أى فنان موسيقار آخر ، أن موسيقى الروك – أند – رول – هي وسيلة من وسائل التعبير التى يمكن استخدامها لايصال أى شيء ؛ وآمن فى الوقت نفسه بأن موسيقى الروك – أند – رول هي وسيلة التعبير الوحيدة التى يمكن من خلالها التعبير عن أشياء كثيرة تتعلق بالعمال ومشاكلهم ؛ خاصة فى بلد به طبقة عاملة نامية مثل بريطانيا أو أية دولة فى أوربا الغربية أو الولايات المتحدة . كانت موسيقى لينون (مثلها فى ذلك مثل موسيقى فرقة « الصدام ») . تتضمن رغبة حادة وملحة لأن تسمع ، حتى انها كانت تطغى أحيانا على الكلمات .

وعندما كان جون لينون فى السادسة عشرة من عمره استمع فى الروك – أند – رول الى صوت يرتفع ضد المؤسسة الحاكمة ، فى الوقت الذى كان كل شيء فيه صامتاً وساكنا . وما زال هذا الصوت – الشاب بالضرورة – يسمع فى موسيقى الروك . فاين تجد إلا فى موسيقى الروك ، خبرة ومشاكل الشباب (الأوربي والأمريكي) فى البطالة ؟ إن الفرق المحلية لمناطق الطبقة العاملة وأحيانها هي التى تتعامل مع هذه الموسيقى .

لقد كان القسم الأكبر من حياة جون لينون الموسيقية ، من أجل أن يظل هذا الصوت مسموعاً ، وأن تبقى « الحافة الحادة » لتقطع خلال موسيقى « البوب » ومحاولة الاستغلال التجارى لفرقة «البيتلز» ، اللافتات التى لا تنتهى والتى يتخفى وراءها المستغلون .

لقد واجه جون لينون ، العديد من المشاكل ، أثناء تعامله مع الاعيب وحيل وسطاء تجار الموسيقى والاسطوانات ، واستخدمتها فرق الـ « بنك » بعد ذلك موضوعا لأغانيهم .

ولقد التزم لينون بموسيقى « البوب » بجوهرها ، وتقبل مسئوليته تجاه جمهوره . ولقد كان واضحاً ليس فقط فى أغانيه الجماعية مثل « أعطوا السلام فرصة » ، ولكن أيضا فى محاولات لينون المستمرة منذ بداية السبعينات ، لتوظيف موهبته فى كتابة الاغانى لالقاء الضوء على ما يحدث حوله فى العالم .

لقد فهم جون لينون تناقضات تأليف موسيقى وأغان شعبية تنادى بالحب والسلام والتقدم فى مجتمع ، تمتلك الشركات فيه كل شيء بما فى ذلك وسائل الاعلام ... لكنه لم يحل هذه التناقضات . انه لم ينف أبدا انه جمع ثروة رغم انه كان يغنى .. « احلم بعالم بلا ملكية » . كان لدى جون ويوكو أيضا إحساس ذكى وملح بالسوق الجماهيرى وكيفية عمله .

ثم تأتى قمة المأساة فى حياة جون لينون ، أن يقتل بيد أحد معجبيه المجنونين به . أو كما قال أحد النقاد : « معجب دفع بهلوسة أحلام اليقظة الى مرحلة أعتقد فيها أن (نجومية معبوده المغنى) قد صنعت كى تستحضر فى حماقة الجنون المروعة » .

وتكمن المأساة فى أن الأسى الذى شعر به معجبو البيتلز قد أدى الى تخيلات وهلوسات مشابهة ، وأما السخرية المرة هنا ، فهي ان جون لينون الذى تلخصت بطولته فى نضاله ضد ان يصبح سلعة تجارية ، والذى نجح فى التعبير عن الأصول الانسانية لأفكار موسيقى « البوب » (الشعبية) وجد نفسه فى النهاية فريسة ، لكابوس لا انسانى يائس ، لمعجب مجنون تركزت هلوسته فى أن يصبح هو نفسه نجما .

مجدى نصيف



دمشق مدينة السحر والجمال

بقلم: نبيل خالد الأغا

اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ بنائها ، فبعضهم يقول أنها بنيت عام ١١٩ م قبل الميلاد ، وبعضهم يقول انها تأسست عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وهناك من يقول بأن سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام قد ولد بعد بنائها بخمس سنوات كما ورد فى معجم البلدان ، ويعود الفضل فى بنائها الى «جيرون ابن سعد بن عاد بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام كما يرى بعض المؤرخين . بينما عزا البعض الى اليونانيين فضل بنائها بسبب معرفتهم لحركات الكواكب وحسن اختيارهم لموقعها فقالوا بأنهم «وضعوا الأرصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها وبنوا «دمشق» فى طالع سعيد واختاروا هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين» .

دمشق مدينة السحر والجمال



في غوطة دمشق للفنان سعيد تحسين



قصر العظم للفنان عبد الكريم الأصفر

وهناك رأي يقول بأن القدس اقدم من دمشق في البناء ، بينما ذهب آخرون بأن مدينة اريحا هي أقدم مدن العالم على الاطلاق .

وقد وصف أحد الأدباء دمشق القديمة بقوله : «لقد انتزع الله من الصحراء رقعة فدحى سطحها ، وكثر انهارها ، ونوع أشجارها ، وفصل ازهارها ، وأخصب تربتها ، وميز ربوتها ، فكان من ذلك دمشق وغوطتها ، واهتدى الانسان اليها أول ما أهتدى الى قرار وماء معين ، فتسلق التل حيث اقام معبدا يذكر فيه ربه بكرة وأصيلا ، وبنى مساكنه وأسواقه وأدار بها سورا فضمن ماله وأرزاقه ، وتبدل الانسان وتغيرت الأديان ، وتقلبت صروف الزمان . وظلت دمشق دمشق ترفع رأسها شكرا للـه ، وتجيل ناظريها فيما حباها الله ، وتستمتع بنعمته ، وترجو ابتعاد نقمته» .

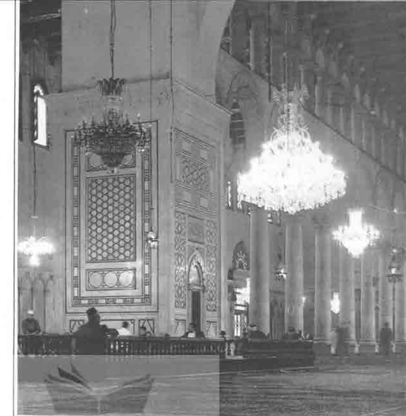
دمشق في رحاب الاسلام

ذكر ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » بأن دمشق قد سميت بهذا الاسم لأن الناس « دمشقوا » فى بنائها ، أي اسرعوا وتعجلوا ، ويقال (ظبية دمشق) بمعنى ظبية سريعة .

اما الآراميون الذين سكنوها فقد اسموها « دار ميسق » بمعنى الدار المسقية أو المروية ، وعندما احتلها اليونانيون والرومانيون اسموها « داماسكس » وهو الاسم الذى يطلقه عليها الأوربيون اليوم . كما انها تدعى « جلق » .

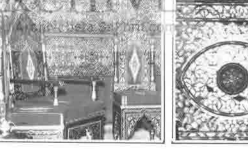
وعلى امتداد تاريخها الممتد فى اغوار الماضى تعاقبت على دمشق دول وعهود وأزمان ، فقد حكمها الآشوريون ، والفرس واليونانيون ، والرومان قبل الفتح بفتحها الانباط العرب وتدخل فى حظيرة الاسلام وتظفر بمكانة سامقة فى ظل الحكم الاسلامي العربي .

ويحدثنا التاريخ بأن الجيش الاسلامي قد ضرب على دمشق حصارا منيعا استمر حوالى اربعة أشهر ، وكان نفر من قادتنا الأبطال قد رابطوا على أبوابها ، فعلى الباب الشرقي نزل خالد بن الوليد ، وعلى باب « توما » نزل عمرو بن العاص ، وعلى باب « الجابية » نزل أبو عبيدة بن الجراح ، واستطاع بعض جنود المسلمين أن يخترقوا جانبا من السور ، وأن يدخلوا المدينة من بابها الشرقي ، ولما وجدت القيادة الرومية ان كفة المعركة لم تعد فى صالحها طلبت الصلح ، وهكذا استسلم الروم ، وأعطاهم المسلمون أمانا على دمائهم وأموالهم وكنائسهم وعموم عبادتهم ، ودخل المسلمون فى يوم الأحد ١٥ من رجب عام ١٤ للهجرة ، الموافق ٣ من سبتمبر (أيلول) عام ٦٣٥ للميلاد . ومنذ عام ٤١هـ أخذت دمشق تتحول بجهود معاوية بن أبى سفيان من مجرد مركز ولاية الى عاصمة للدولة العربية الاسلامية التى امتدت من مشارف الصين الى جنوبي فرنسا ، وتتحول من ناحية أخرى الى مدينة عربية اسلامية





داخل الجامع الأموي



الصناعات ذات الزخارف الزاهية الألوان

زخرف اسلامي

عاش فيها الفاتحون مع اهلها جنبا الى جنب ، وعلى نحو عز نظيره من التفاهم والتسامح كما يقول استاذنا فاضل السباعي .

ومنذ ذلك الوقت اخذ الخلفاء والأمراء والاثرياء فى ابتناء الدور والقصور فكانت بداية لنهضة عمرانية شاملة ، ويعتبر الجامع الأموى اعظم المفاخر المعمارية التى شيدها الامويون فى دمشق ، لذلك فلا عجب أن ترى كثيرا من علماء الآثار ، والمهندسون ، والفنانون يترددون عليه للدراسة والتمعن والاستمتاع .

الجامع الاموي

عندما فتح المسلمون دمشق اتفقوا مع بعض رجال الدين المسيحي على اقتسام كنيسة يوحنا المعمدان بينهم ، فاخذوا يؤدون الصلاة متجاورين ، ولكن عندما اتسعت دمشق ودخل الكثيرون من سكانها فى دين الله افواجا ضاق المكان الصغير على استيعاب المصلين ، فاتفق الخليفة الوليد بن عبد الملك مع احبار المسيحيين على ضم بقايا الكنيسة بهدف بناء جامع كبير .

ولقد اراد الوليد لهذا الجامع ان يكون اية ساطعة من الفن والجمال ، فاستدعى لبنائه مشاهير البنائين العرب والبيزنطيين ، وجلب لاتمامه أكثر من ١٢ الف عامل ، فاكتمل بناؤه بعد عشر سنوات وبلغ ما تم انفاقه عليه أحد عشر مليونا من الدنانير .

هذا وتبلغ مساحة الجامع ١٥,٧٠٠ مترا مربعا ، ومساحة الحرم ذاته ٥٠٣٢ مترا ، وقد تم اسناد سقف الحرم على صفين من الأعمدة المرتفعة ، وتتوسطه قبة « النسر » العظيمة . وصنعت السقوف من الخشب المنقوش بالذهب ، وظهر المحراب والمنبر فى صورة هندسية بديعة . اما الثريات والقناديل فجميعها علقت بسلاسل متينة من الذهب النقي .

أما الباحــة الرئيسية فاحيطت من جوانبها الثلاثة باروقة جميلة مزركشة بالفسيفساء .

ولقد تعرض الجامع الاموى لبعض الحرائق الجزئية والزلازل الخفية ، وكان اهم حادث تعرض له هو حريق « تيمور لنك » ابان هجومه على دمشق عام ٨٠٤هـ . اما اخر حريق تعرض له فقد حدث فى نهاية القرن الماضي وبالتحديد فى عام ١٨٩٣م ، ولكن الجهود الاسلامية المتآزرة استطاعت ان تعيد له رونقه وبهاءه دون ان يؤثر ذلك على جوهر البناء ذاته .

ضريح صلاح الدين

توجد فى دمشق كثير من قبور الصحابة رضوان الله عليهم ، ففيها قبر يقال انه لأم عاتكة اخت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وبها قبر بلال بن رباح ، وكعب الأحبار ، وثلاث من ازواج النبي عليه الصلاة والسلام ، وقبر فضة جارية السيدة فاطمة رضي الله عنها .

وفى الناحية الشمالية من المسجد الاموى يوجد مدفن القائد الاسلامي البطل صلاح الدين الأيوبي بناه ابنه الملك العزيز عثمان ، وهو بناء متواضع تعلوه قبة متوسطة الارتفاع ، وزينت جميع جدرانه الداخلية ببعض الالواح

دمشق مدينة السحر والجمال

القيشانية التى صفت فى العهد التركي .

والضريح الذى نراه الآن تم بناؤه عام ١٨٧٨م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، اما الضريح القديم فهو مصنوع من الخشب ومزين بزخارف هندسية اضافة الى آية الكرسي .

هذا وتوجد في دمشق كثير من الآثار المهمة مثل : قلعة دمشق ، البيمارستان النوري ، المدرسة العادلية ، جامع التوبة ، المدرسة الظاهرية ، المدرسة الجقمقية ، مئذنة جامع هشام ، قصر العظم ، المتحف الوطني . ويجب أن لا تفوت الزائر فرصة زيارة متحف دمشق الحربى فى الجناح الشرقي من تكية السلطان سليمان ، وبه عدة قاعات تحتوى على نماذج من الأسلحة المختلفة ومن ضمنها غدارتان كانتا تخصان الأمير العربي المجاهد عبد القادر الجزائري ، وهو البطل الذى ناضل من اجل وطنه الجزائري مدة طويلة ثم استسلم فى النهاية واختار دمشق موطنا ثانيا له ، وعاش فى حماها معززا مكرما حتى توفاه الله فى عام ١٨٨٢م . وتحمل قاعات المتحف اسماء بعض الشهداء الأبطال مثل : برهان الأمير حسن ، فتحي الاتاسي ، مامون البيطار ، عدنان المالكي وغيرهم .

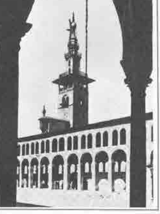
غوطة دمشق

اسمها مشتق من الغائط ، والغائط يعنى الارض المستوية وجمعه اغواط وغيطان ، وذكر ابن الاعرابى أن الغوطة هى مجمع النبات .

« ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وارباب الرحلات ، ومما اصطلح عليه القوم أن الغوطة هي كل ما احاط بدمشق من قرى شجراء ، وكل من الأرض المطمئنة التى تروى من نهر بردى ، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة » .

قال ابن حمدان :

سقى الله ارض (الغوطتين) وأهلها



الجامع الأموى بمنارته الخالدة

فلي بجنوب (الغوطتين) شجون

وما ذقت طعم الماء إلا استخفني

الى (بردي) و (النيربين) حنين

هذا ويقدر طول الغوطة بنحو عشرين كيلومترا وعرضها ما بين ١٠ ـ ١٥ كم ، وهى تعلو نحوا من سبعمائة متر فوق سطح البحر ، ومعدل الحرارة السنوية فيها ١٦ درجة مئوية .

وقد اهتم بنو امية بالغوطة اهتماما ملحوظا عندما اصبحت دمشق ، فنزلها بعض رجالهم وبنوا فيها القصور والحدائق ، ويقال بان معاوية بن ابى سفيان كان ينصب خيامه فيها صيفا ، ويروى انه عندما قدم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام ورأى الغوطة أعجب بها ثم تلا قوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك واورثناها قوما اخرين » .

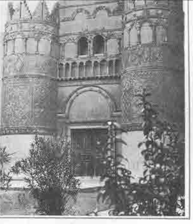
ويتمتع أهل الغوطة بصفات كريمة كالتقوى والصلاح والكرم ، وهم يحرصون فى كلامهم على استعمال اكبر عدد من فصيح الكلم » .

ومن الذين أطروا على الغوطة وجمالها (ابو بكر الخوارزمي) حين قال : « إن غوطة دمشق كانها الجنة ، وقد زخرفت وصورت على وجه الأرض » .

وقال شيخ الربوة : « لولا الغوطة ما كانت دمشق من اجمل مدن العالم » .

دمشق ... قديما

على امتداد تاريخها الطويل العريض كانت دمشق يوما مقصدا للتجار والمسافرين والزائرين الذين يفدون اليها



واجهة قصر الحيرة الغربى

من مختلف المناطق البعيدة منها والقريبة ، إذ كانت قبل الاسلام مستودعا لتجارة الشرق فى فجر التاريخ ، فكان قدماء العرب يفدون اليها بتجارتهم فتاخذ بالبابهم وتسحرهم بجمالها واشجارها وزروعها ومياهها الدافقة ، فاسموها (الفيحاء) .

وتحدثنا كتب التاريخ بان الرحالة الشهير « ابن جبير » قد وصل الى دمشق في أواخر القرن الثاني عشر الميلادى ، فلم يكد يدخلها حتى هتف قائلا : « دمشق جنة المشرق ، ومطلع حصنه المؤنق المشرق ، وهى خاتمة بلاد الاسلام التى استقريناها وعروس المدن التى اجتليناها ، قد حلت من موضوع الحسن بالمكان المكين ، وتزينت فى منعتها اجمل تزيين ، وتشرفت بأن أوى الله تعالى المسيح وأمه عليهما السلام منها ربوة ذات قرار مكين ومعين ، ظل ظليل ، وماء سلسبيل تنساب مذانبه انسياب الأراقم بكل سبيل ، ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل ، قد سئمت ارضها كثرة الماء حتى اشتاقت الى الظما فتكاد تناديك بها الصم الصلاب .

أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد احدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر ، واكتنفها اكتناف الكمامة بالزهر ، وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر ، ولله در القائلين عنها : «إن كانت الجنة فى الأرض فدمشق لا شك فيها ، وإن كانت فى السماء فهى بحيث تسامتها وتحاذيها » .

وهذا حسان بن ثابت يشير الى كرم أولاد جفنة الغساسنة فيقول فيهم :

لله در عصابة نادمتهم

يوما « بجلق » فى الزمـــان الأول
أولاد جفنــة حـول قبـر ابيهـم
قبر ابـن مارية الكريـم المفضـل
يغشون حـتى مـا تهـر كلابهـم
لا يسالـون عـن السواد المقبـل

... ولم تكن طلعة دمشق البهية لتغيب عن الانظار مهما ادلهم الظلام عليها ، وحتى عندما ابتعدت الخلافة عنها زمن ثورة بني العباس لم تنكمش ولم تغب عن الانظار ، فقد كان لها دوما من عزيمتها باعث ومن همة اهلها دافع ».

وهذا هو « المقدسي » يقول عنها فى القرن الرابع الهجرى : « دمشق هي مصر الشام ، ودار الملك ايام بني أمية ، حيث قصورهم واثارهم ، وهو بلد قد خرقته الانهار ، واحدقت به الاشجار ، وكثر بها التجار مع رخص الأسعار ، لا ترى احسن من حماماتها ولا احزم من اهلها » .

وهذا الشريف الادريسي يصفها فى «نزهة المشتاق» بقوله : « ... ولمدينة دمشق بسوف من المحاسن وضروب من الصناعات ، وانواع من الثياب الحرير كالخز والديباج النفيس الثمين ، العجيب الصنعة العديم المثال الذي يحمل منها الى كل بلد ، ومصانعها فى كل ذلك عجيبة يضاهى ديباجها بديع ديباج الروم ، وينافس اعمال اصفهان . وقد احتوت طرزها على افانين من الثياب النفيسة فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال » .

وعندما زارها « المقرى » فى القرن السابع عشر الميلادى قال فيها وفي أهلها : « فلما حللت بدارهم رأيت ما اذهلني من سبقهم للفضل وبدارهم ، وقابلوني بالاحتفال والاحتفاء فقلت فيهم

ومازال بى احسانهم وجميلهـــم
وبرهـم حـتى حسبتهـم اهـــلى

وقال أيضا :

إن تكـن جنـة الخلود بـــارض
فدمشـق ولا يكـون سواهـــا
او تكـن فى السمـاء فهـي عليها
قد امـدت هواءهـا وهواهـــا

وحسبنا ان ننهي رحلتنا التاريخية السريعة مع عشاق دمشق قديما ببعض أبيات للعالم العارف عبد الغنى النابلسي يقول فيها :

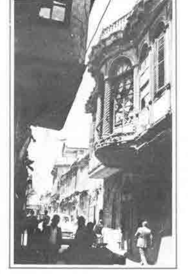
إن ساقك الخطب المهـول فاقلقـا
فانـزل بارض الشام واسكن «جلقا»
تجـد المرام بها وكل منـاك بـل
وتـرى بهـا عـزا وتفصـح منطقا
إن تعشقوا وطنـا فذي اولـى لكم
دون البـلاد بان تحـب وتعسقـا

دمشق الحديثة

أما دمشق الحديثة فان احسن وصف لها هو ما ينطبع في فؤاد المرء وما يراه بام عينيه حين يتوجب عليه زيارة منجع الغساسنة ، ومقر الامويين ، ومركز الايوبيين ، ومرجع المماليك ، ومنتجع العثمانيين ، وموئل العديد من العلماء والفقهاء والمجتهدين والمبرزين في شتى مناحي الحياة .

وبالاضافة الى ما سبق ذكره من أماكن اثرية وسياحية مهمة فباستطاعة المرء ان يزين خاطره برؤية دمشق فى احدى ليالى الصيف حين تتحول العاصمة السورية العريقة الى « سبيكة » ذهبية متوهجة الانوار وهي تنعكس على ضفاف بردى فى انسيابه الوئيد وسط المدينة مما يضفى عليها منظرا نورانيا فريدا .

وعلى الزائر ان يضع فى حسبانه



شارع من دمشق القديمة

زيارة « سوق الحميدية » الذى يعتبر من أشهر الأسواق التقليدية فى المنطقة العربية لما يحويه من شتى انواع البضائع والمأكولات .

وسيلفت انتباه الزائر وجود بعض الصناعات التى اشتهر بها الدمشقيون منذ القدم مثل صناعات الخشب المصدف والفواكه المجففة ، والصابون ، والزجاج والاقمشة الحريرية المطعمة بالذهب والفضة ، والتمباك ، والاحذية ، والعباءات ، والكوفيات والاعقلة وخلاف ذلك .

وتظهر لك مهارة التجار الدمشقيين حينما تدخل سوق الحميدية لتشتري شيئا معينا فلا تخرج منه إلا محملا باشياء غير معينة ، ذلك انهم يفرشون أمامك كل أكلمة الاغراءات فلا تملك فى النهاية إلا أن تفرغ جيبك بسعادة ورضى

والزائر لدمشق سيمر حتما بساحة الشهداء التى ترتبط فى ذاكرة أهل الشام بالمجزرة البشرية التى ارتكبها السفاح التركي جمال باشا إبان الحرب العالمية الأولى واعدم فيها مجموعة من احرار العرب عندما ضاق من مناوأتهم وذلك فى اليوم السادس من شهر آذار عام ١٩١٦م ومنهم : الشهابي ، وسلوم ، والمؤيد والزهراوي والعسلي والبساط ، والعريس ، والمحمصانيان وغيرهم .

وفى وسط ساحة الشهداء ينتصب عمود برونزي يعود الى العصر العثماني وإذا كان وقت الزيارة صيفا فلابد أن يعرج المرء على معرض دمشق الدولي الذى يقام سنويا ، وتشارك فيه عشرات الدول لتعرض فيها مختلف منتجاتها الزراعية والصناعية .

وإذا كان الوقت عصرا ففى امكان الزائر أن يقضي وقتا ممتعا فى أحد احياء دمشق المشهورة مثل : حي المهاجرين ، أبو رمانة ، الصالحية ، القصور ، المزة ، وغيرها ، وكلها تزخر بالشوارع الجميلة ، والعمائر الحديثة ، والحدائق الغناء .

وأخيراً .. فان هذه الصفحات العابرة لا توفي دمشق حقها ، ولنا الى مدينة السحر والجمال عودة بمشيئة الله .

نبيل خالد الآغا

غربيان ....

شعر: محمد إبراهيم أبو سنة



سماء مرصعة بالدموع
وشمس تسافر عبر المرايا
وقلبي يسائلني عن رياح الربيع
غريبان قلبي وهذى البلاد
على ساحل البحر وسط الصقيع
نواجه ليلا من الغرب ...
.. حزناً من الشرق ...
.. صمتاً مريباً يسد علينا الفجاج
وشعب من النور والحزن ..
.. يغرق بين لفائف ليل من العنكبوت
ملاك يحاول ألا يموت
وكف تضيء على قبر جدى فتيلا
فتطفئه الريح ـ قلبي يغني قصائده
ثم يبكي طويلا
فأزجر قلبي . وماذا يفيد البكاء
على أمة لا تجيد سوى الفخر والكبرياء
ونصف قصائدها فى الرثاء

وهذى بلاد من الرمل والزهر ..
.. شعب من الأغنيات
يقيم من الحلم عاصمة للزمان
فتنحل قبراً من الذكريات

غريبان : قلبي وهذى البلاد
وحيدين نذرع أرض المكيدة
ويغتال أقدامنا شوك هذا الطريق
فهذا صديق بثوب العدو
وهذا عدو بثوب الصديق
وذاكرتي لا تضم سوى قبر جدى
وبعض الحروف التي قد تبقت لنا
من جحيم الحصار
وبعض سنابك خيل التتار
بقايا سيوف ، وآنية من جماجم ...
بعض النياشين . دق عليه الكثير
من التعاويذ ذكرى انتصار.

قلبي وهذى البلاد



وهاأنذا الآن أركع ياقبر جدى
سؤال من النار يحرق جلدى
ترى هل أفك الحصار ؟
أعود من النفي ؟ ...
.. يطلع فوق التلال النهار
سؤال من النار يحرق جلدى
فأنبش في الرمل .. أنبش فى الصخر ...
... أنبش هذى الغصون ؟
.. أفتش هذا المطر
الى أن تلوح العلامة
فأعرف سر الطريق وسر القيامة
ويأتي من الغيب سيف النبوءة
فتمشى القناديل عبر كتاب الزمان
وتجرى الدماء القديمة
بهذى العروق الجديدة
ويمطر قلب العصور
سحاباً من الذكريات السعيدة

فتورق بين الضلوع فصول الندم
وتصحو النجوم

وتدخل قلبي رياح الربيع
فمن ذا يدل العيون التى سال فيها الحنين

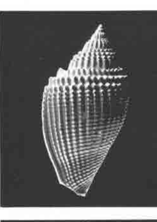
الى شجر كان أخضر منذ سنين
وهل ستلوح العلامة

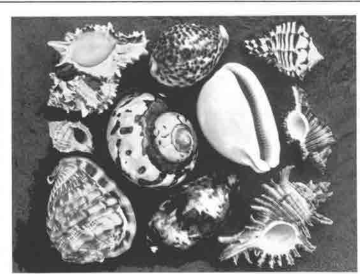
فتفتح هذى البلاد التى لا تجيد القراءة
كتاب البراءة

وتولد زهرة هذا الشروق من العنكبوت
ويرجع قلبي وهذى البلاد من النفي ..
.. بنجو ملاك يحاول ألا يموت
ترى هل تلوح العلامة ؟
فأسمع رعد القيامة .

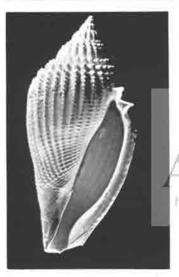
محمد ابراهيم أبو سنة


د. عبدالمحسن صالح
القواقع
لوحات مجسدة ذات رونق وجمال





أطلال (أحياء) ذهبوا وبقيت آثارهم تدل عليهم ، فهذه التشكيلة الجذابة من القواقع والودع هي الهياكل الخارجية لأحياء طواهم الموت .. لكنها أروع هياكل جذبت انتباه الانسان . الى اليسار قوقعتان أحدهما عاش منذ حوالي ١٥ مليون عام والآخر عاش منذ ٥٠ مليون عام .



الطبيعة نبع الجمال ، وواهبة الالهام ، وهي أيضاً مانحة الابداع لكل فنان ، حتى لكأنما هي بمثابة لوحة فنية ضخمة تتجلى لذوي النفوس الصافية في كل زمان ومكان ، فيرون فيها تناسق الأشكال ، وتوزيع الألوان ، وتنويع اللمسات الفنية بشكل يدعو الى العجب والانبهار ، فيهتف العقل ، ويردد الوجدان بأن «الله جميل يحب الجمال» !

ولاشك أن الناس مختلفون في أحاسيسهم الجمالية ، فذوو الاحساس المرهف ، والذوق الرفيع ، والتأمل العميق هم أكثر الناس شعوراً ، وأعظمهم تألقاً ، وأسماهم تفهماً وادراكاً لما تزخر به الطبيعة من تناسق وابداع وفن وجمال ، حتى لكأنما ينطبق عليهم قول الشاعر «كن جميلا ترى الوجود جميلا» !

ولطالما عرض الانسان فنونه ، واستوحى لوحاته ، ومزج فيها ألوانه ، وأبدع في تشكيلاته ، وتباهى بتكويناته ، لكن هذا كله ليس إلا تقليداً لأفكار سابقة ظهرت على هذا الكوكب قبل أن يظهر الانسان عليه بمئات الملايين من السنين ... ورغم ذلك ترانا نهجر الأصل ، ونتباهى بالتقليد ، ولهذا كان لزاماً علينا أن نعطي «ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر» ــ على حسب القول المأثور !

الجمال في التنوع

وللجمال في الطبيعة ظاهر وباطن .. فأما الظاهر فهو ما عاينته الحواس المرهفة عند الانسان المتفتح على كل ما هو حسن ورائعٌ وجميل ، وأما الباطن فمتروك للعلماء الذين ينقبون عن أسرار هذا الجمال ، فيدركون منه ما لا يدركه الناس !

وللطبيعة لوحات حية لا تعد ولا تحصى ، وهي بلاشك تختلف عن لوحات الانسان الجامدة المعلقة في معرض أو متحف .. وفرق كبير جداً بين لوحة حية ، وأخرى جامدة .. تماماً كالفرق بين حي وميت ، أو بين نابض بالحركة والانتشار والجمال ، وجامد في مكانه ، فلا تلحظ فيه إلا ما خطته يد الانسان ، وبه قلدت صوراً حية من صور الجمال ، وكلما كان التقليد أتقن ، كانت اللوحات أروع ، حتى لترى من يصفها بقوله «انها لتكاد تنطق» ، وما هي بناطقة أو متحركة !

ومعارض الطبيعة تنتشر في كل مكان .. في الماء والهواء وعلى اليابسة أو تحت الثرى .. وأحياناً ما تكون هذه اللوحات الحية غير منظورة للعين البشرية .. لا لأنها مدفونة ، بل لكونها ضئيلة لا ترى ، ومن أجل هذا رآها الانسان بعين غير عينيه التقليديتين ، فجاء الميكروسكوب ليرينا «ما لا عين رأت



ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» !

تأمل مثلا زهرة مع النسمات متماوجة أو فراشة في الهواء محلقة ، أو سمكة من أسماك الزينة في الماء سابحة ، أو عصفوراً توزعت على ريشه ألوان متناسقة ، أو قوقعاً أو محارة تداعبها على الشط أمواج متتابعة .. الى آخر هذه القائمة من الكائنات التي تعد أنواعها بالملايين ، ثم توزعت عليها لمسات جمالية تختلف باختلاف النوع ، وأيضاً باختلاف نظرة كل منا الى هذا الجمال ، فما قد نراه نحن بديعـــاً ومتناسقاً ومتناغماً ، قد لا يراه غيرنا كذلك ، وكان لابد من الاختلاف ، فعلى هذا الأساس تنوعت الأذواق ، وتباينت الكائنات ، والشيء لا يعرف إلا بنقيضه ، أو كما قال الشاعر : وبضدها تتميز الأشياء ، ولهذا جاء الجميل والقبيح ، والمتناسق والفوضوى ، والجذاب والمنفر .. الى آخر هذه الأمور التي نعرفها في حياتنا حق المعرفة ، لأن عقولنا قد جاءت أيضاً على هذا الأساس ، وهي الوحيدة القادرة على التمييز بين الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والموجب والسالب .. الى غير ذلك من المعاني المجردة التي لا يدركها بهيم أو خنزير أو قرد أو حمار !

لكن .. لا يكفي أن تتأمل ثم تنصرف الى حال سبيلك ، بل لابد أن يتبع ذلك مرحلة من مراحل التساؤل : كيف توزعت هذه الألوان ؟ .. وبأية وسيلة نشأ هذا التناسق والابداع ؟ .. ومن أين نشأ .. ولماذا ؟ .. الخ ، وهذا هو طريق العلم الذي يهدينا الى الحكمة والمعرفة .

وعلى هذه الصفحات نرى قواقع وأصدافاً تميزت بروعة التنميق ، وانسياب الألوان ، وتناسق الأشكال ، ولقد جاءت على هيئة أقرب باللوحات الدقيقة التي يرسمها الفنان .. لكن ، أين الرسام الذي أظهر كل هذا الابداع ؟

الواقع اننا نعيد ذلك الى خالق هذه الأكوان ، لكنه لا يتناول القلم ولا الفرشاة



ومن أحسن من الله صنعاً ؟!!

ولا الورقة ولا الألوان ، ليفعل كما يفعل الانسان ، بل هناك فكرة رائعة في الخلق ، ولقد توزعت في كل الكائنات بدون استثناء ، لتعطيها صفاتها التي جاءت بها الى الحياة ، ثم تتوارثها جيلا عن جيل ، كما توارثتها قبل ذلك بملايين السنين ، فلا نكاد نرى فيها شذوذاً ولا حيوداً عن المألوف !

لكل أمر بروجرام مقدر

والى هنا يأتي دور العلم والعلماء .. صحيح انهم يرون الظاهر كما نراه ، لكنهم تسلحوا بنظرة أعمق ، وبحثوا بمنطق أقوم ، وغاصوا الى لب الخلق وجوهره ، علهم يكشفون عن الباطن الذي انعكس على الظاهر ، فأعطاه كل هذا الرونق والجمال .

وفي باطن الخلق توصلوا الى الفكرة المتقنة التي غابت أصولها عن كل الأجيال السابقة ، ولقد ظنت هذه الأجيال أن الله يشكل مخلوقاته ، وينمق كائناته ، إما بيديه ــ وهذا أضعف الايمان الذي يساور العقول الساذجة ، وإما بقدرته الخافية عن عيوننا ومداركنا وهذا أيضاً ايمان يقوم على الفطرة وهو لن يروى العقول المفكرة والمتعطشة الى المعرفة ، إذ لو استطعنا أن نقترب من الحقيقة ، وننظر اليها نظرة فيها أصالة وتعمق ، لتكشفت القدرة عن أسرار يخضع لها العقل ، وتخشع لها النفس ، وعندئذ ندرك عظمة «الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى» .

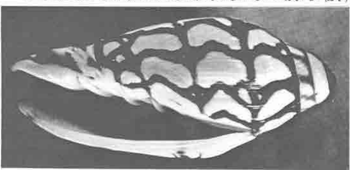
ولقد توصلنا الى أسرار ، وخفيت عنا أخرى ، وكلما اكتشفنا أكثر ، تجلت لنا القدرة أعظم ، وهنا يحق القول الكريم «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» ؟!

ولقد أوضحت لنا هذه الأسرار أن الخلق كله ، من أوله الى آخره ، ومن أصغره حتى أعظمه ، يقوم على أساس فكرة موحدة ، جاءت على هيئة «بروجرام» وراثي ، و «مكتوب» بشفرات كيميائية محددة ومقدرة ، وعندما يتم ترجمة هذه الشفرات في داخل الخلية الحية ، يتمخض عنها صفات الكائنات التي نراها ظاهراً ، ولا نطلع عليها باطناً ، اللهم إلا اذا استعنا على ذلك بعيون غير عيوننا ــ وهي عيون العلم الذي تسلح بها ، لتكشف عن المستور ، وتوضح له المحجوب .

فلا أحد يستطيع أن ينكر أن بداية كل كائن حي كانت خلية ، وفي الخلية وضع البروجرام العظيم ، فيعطى انساناً أو

(ديكور) من ديكورات الحياة التي لا ينضب معينها من الفنون الجميلة التي تحير الانسان





ثوراً أو طائراً أو باذنجاناً أو رماناً أو قوقعاً أو ميكروباً .. الى آخر هذه الملايين من الأنواع التى ظهرت على هذا الكوكب .. كل ذلك يتوقف على تنظيم الشفرات التى كتب بها البروجرام فى الانسان والحيوان والنبات .. فبداية الانسان خلية ملقحة ، وكذلك الحال مع القرد والكلب والسبانخ والطماطم .. الخ .. الخ وكان من نتيجة ذلك أن جاء كل نوع بصفات أسلافه ، فلا نرى خلطاً فى الخلق ، ولا حيوداً عن البروجرام الذى وضعت أصوله فى بداية كل نوع من الأنواع ، فيلد البشر بشراً ، والقرود قروداً ، والحمير حميراً .. الخ .

الفكرة لاشك مذهلة وبديعة وعظيمة ، وهى تدل على عظمة من أرسى قواعدها فى الكائنات الحية ، فسارت بها كطوفان دافق من الحياة ، وهى أروع ما وقع عليه العلماء من أسرار الخلق فى هذا الركن من الكون العظيم .

التناسق والجمال ببروجرام

وطبيعى أننا لا نستطيع أن نتعرض هنا لأسرار شفرة الوراثة التى قامت على أساسها صفات الكائنات .. أنواعها وأشكالها وتناسقها وألوانها وكل صغيرة وكبيرة فيها ، فهذا يحتاج الى دراسات ودراسات ، لكن يكفى أن نذكر أن كل لون جاء على هذه الكائنات الحية إنما يرجع الى صبغة خاصة ، وكل صبغ يظهر من خلال جينة أو مورثة أو جزء من البروجرام الذى يحوى عشرات ومئات الألوف من المورثات .. ثم ان وضع اللون فى مكانه يسرى أيضاً من خلال بروجرام آخر مختلف .. أى أن الأمور لا تسرى هكذا اعتباطاً ، ولو كانت ، لجاءت الألوان بغير تناسق ولا نظام ، وهذا ما لا نلحظه فى الخلق ، إذ نرى دائماً أن الكائنات قد جاءت على شاكلة أسلافها ، ومن هنا كان التميز بين نوع ونوع .

واللوحات الحية التى تنتشر فى الطبيعة تعد بعشرات الألوف ، وكل لوحة منها تنطق بالجلال والفن والابداع ومن هنا كان الاختيار صعباً ، فأيها نترك وأيها نختار فى مثل هذا المجال الضيق ؟

اننا لانشك فى أن هذه المجلة سوف تفسح صدرها لتقديم هذا النوع من فنون الحياة ، ولهذا دعنا نبدأ هذه الدراسات بدراسة عن المحاريات أو القواقع أو الأصداف ، ورغم أن هذه تحتاج لمجلد كامل ، إلا اننا سنقتصر فى تقديمنا على عدة أنواع ، اخترناها من بين مائة ألف نوع يضمها قسم من المملكة الحيوانية يعرف باسم الرخويات MOLLUSCA وهى — وكما يدل عليها اسمها — كائنات ذات جسم رخو ، ومن أجل هذا تفرز حول جسمها الضعيف — غالباً — صدفة جيرية مطعمة بمواد كيميائية أخرى لتعطيها صلابتها ، وبهذا تصبح للجسم الرخوى بيتاً آمناً فيه تعيش ، وفيه تموت ، وكأنما هو سكنها وقبرها !

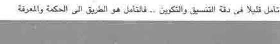
أشكال وألوان بغير حساب

ولقد أثارت المحاريات والقواقع فضول الناس من قديم الزمن ، فهى فى الشكل والتكوين والأداء تختلف عن الكائنات الأخرى اختلافاً جوهرياً .. ثم ان منها الصغير جداً ، ومنها الكبير جداً .. فأصغر نوع اكتشفه العلماء لا يزيد طوله عن ١,٢ ملليمتراً لا غير ، وهو من المحاريات ذات الصدفتين ، فى حين أن أكبر الأنواع (من ذات الصدفتين أيضاً) قد اكتشف بين الشعب المرجانية فى المحيطين الهندى والباسيفيكى ، إذ بلغ طول أحد هذه المحارات متراً وتسعة سنتيمترات ، وسمكها ٧٣,٦ سنتيمتراً (أى حوالى ثلاثة أرباع المتر) ، فى حين أن وزنها قد وصل الى أكثر من ربع الطن (أو بالتحديد ٢٦٢,٩ كيلو جراماً) .. أى أنها تستطيع أن تحتوى فى جوفها رجلين ، ووزن الرجلين متروك لتقديرك !

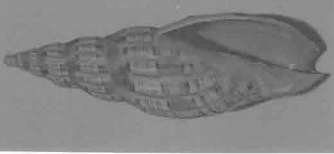
وأشكال المحارات أو الأصداف يختلف من نوع لآخر ، فمنها الحلزونى الذى يدور تكوينه فى اتجاه عقرب الساعة ، ومنها ما يدور فى عكس الاتجاه ولقد اتخذ العلماء هذه الحقيقة هادياً ومرشداً فى تقسيم وتصنيف هذه الأنواع ، ومنها ذوات الأصداف ، ومنها ما يتخذ شكل الهرم المدرج .. الخ ، والصور المعروضة هنا تغنى عن كل شرح فى هذا المجال .

وكما يهوى الناس جمع طوابع البريد والعملات ، كذلك يهوى البعض جمع المحارات .. فمنها الشائع ، ومنها النادر ، وللنادر ثمن باهظ ، إذ دفع هاو من اليابان فى عام ١٩٧٥ سبعة آلاف دولار ثمناً لواحدة تتميز بجمال أخاذ ، وللناس فيما يعشقون مذاهب .. محارات كان ذلك أو لوحات أو طوابع أو نقوداً !

لكن أكثر ما يجذب الناس فى المحاريات هو تناسق أشكالها ، وتوزيع ألوانها ، وهندسة بنائها ونعومة ملمسها وهذا يتضح أكثر فى الصدفيات المعروفة بين العامة باسم «الودع» .. ولقد استخدمته ضاربات الودع فى التنبؤ بمستقبل الانسان ، والغريب أن هذا الظن الخاطىء لايزال سارياً فى بعض البلاد العربية حتى يومنا هذا ، إذ تفترش ضاربة الودع الأرض ، وتفرد منديلاً عليه رمل ، وعلى الرمل تنتشر بضع ودعات ، ولكى يعرف الانسان حظه فعليه أن يهمس برغباته لودعة معينة ، وبعدها تلقى ضاربة الودع ودعاتها على الرمل حيثما اتفق ، فتتخذ عليه أوضاعاً



تأمل قليلا فى دقة التنسيق والتكوين .. فالتأمل هو الطريق الى الحكمة والمعرفة





واتجاهات شتى ، ومنها تقرا الحظ والمستقبل ، لكن هذا دجل لا يجوز إلا على أصحاب العقول الضعيفة !

الودع والمحاريـات في الأساطير

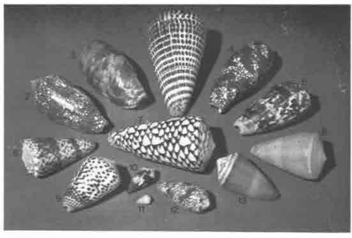
ومما لاشك فيه ان ضرب الودع يستند الى أساطير قديمة الفها الانسان عندما أعيته الحيلة فى ادراك أسرار المخلوقات وطبيعى ان شكل الأصداف ، وغرابة الكائنات التى تسكنها ، قد اثارت فضول الانسان ، فدفعه ذلك الى اختراع حكايات ليعلل بها ما غم على تفكيره ، ورغم ان هذه الظنون قد مر عليها الاف السنين ، إلا ان بعضها لازال سارياً حتى اليوم فى المجتمعات البدائية ، فالطفل الذى يخشى عليه أهله من الحسد او المرض او الأرواح الشريرة ، يلبسونه عقداً من الودع ، ظناً منهم انه خير حافظ من الشرور والأمراض !

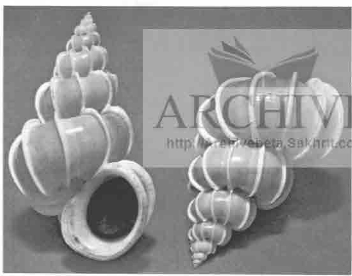
كما أن السحرة فى القبائل البدائية يلفون أجسامهم بعقود من الودع ، اعتقاداً منهم أن للودع قوى خفية كامنة فيه ، وعندما تنساب هذه القوى أثناء ممارستهم للشعوذة ، يكون لها فى السحر مفعول أكيد ـ على حد ظنهم ـ ، والغريب أن بعض «الدراويش» عندنا قد اعتقدوا فى «البركات» التى يمكن أن يمنحها لهم التمنطق بعقود الودع ، وكلما كان الودع كثيراً ، زادهم ذلك خيراً وبركة !

ومن الناس من يعتقد أن الودع خاصة ، والأصداف عامة ، تجلب الخصوبة للاناث والذكور ، أو تشفى من العقم ، او تيسر عملية الوضع ، او تجذب الذكر للأنثى ، أو العكس .. الى آخر هذه الخرافات التى لازالت آثارها سارية نتيجة لارث من التفكير البدائى القديم والعقيم .. ويقال انه نشأ أساساً حول حوض البحر الأبيض وشواطىء البحر الأحمر ، حيث توجد هذه الأصداف بغزارة وتنوع كبيرين ، وقد ترجع هذه الأفكار الى شكل الودعة التى تشبه فى احد جوانبها جزءاً من الجهاز التناسلى الأنثوى ، وترجع أيضاً الى سلوك الكائن الحى الكامن فى داخل الودعة ، إذ عندما يبرز من داخلها ، ليبحث عن طعامه ، فان بروزه يشبه بروز الوليد من رحم امه عند عملية الوضع ، وكأنما المحارة ـ فى عرفهم ـ تمثل لنا ظاهرة بعث الحياة من داخل «كهف» الودعة أو المحارة ، وطبيعى أنهم على قدر ما عرفوا وأدركوا ، أفتوا وفسروا .. وكل سعيد ومقتنع بما عرف فعلل !

والأساطير التى حيكت حول الأصداف كثيرة ومثيرة ، لكن أغربها على الاطلاق قد جاء عن تصور الاغريق القدامى من أن الهتهم التى نشأت فى البحار ، قد تربت وخرجت من بعض أنواع المحار ، وهى نفس المحارة التى تستخدمها بعض القبائل البدائية كبوق يخرج منه صفير يشبه النواح فى مناسبات الأحزان ، أو الألحـان فى مناسبات الأفراح .

والغريب أن بعـض المجتمعات القديمة كانت تدفن أمواتها ، وتحيطها بما تيسر من هذه الأصداف ، وأحياناً ما





تشكيلات من القواقع والودع وضع الله أصولها فى برنامج وراثي والى اليسار قوقع عاش منذ ٣٥ مليون عام

تضع فى عينى الميت صدفتين ، وعلى فمه صدفة أو أكثر .. فمن المخطوطات القديمة التى ظهرت فى الصين ، تبين أن نصيب الامبراطور الميت تسع ودعات توضع فى فمه ، ونصيب الأمير سبع ، وخمس فى فم الوزير ، وثلاث لموظف البلاط ، ولا شىء لعامة الناس ، بل كان نصيبهم حبات من الأرز بدلا من الودع ، وهذا يعنى أن الأصداف كانت بالنسبة لهم شيئاً مقدساً ، تماماً كما كانت الجعارين المقدسة عند الفراعنة تحتل فكرة وفلسفة خاصة .

تاريخ طويل

والذين نقبوا عن أصول الحياة القديمة ، واكتشفوها على هيئة حفريات كانت حصيلتهم من القواقع والأصداف أكبر من أية حفريات أخرى ، ومغزى هذا لا يخفى على لبيب ، ذلك أن القواقع صلبة البناء ، وهى لا تتحلل كما تتحلل أنسجة الكائنات سريعة البلى ، ولهذا وصلت الينا القواقع التى عاشت منذ زمن طويل بحالة سليمة ، وكأنما بعضها قد ظهر بالأمس فقط ، رغم أنه قد مر على دفنها فى باطن الأرض ملايين وعشرات الملايين من السنين .

ولقد ظهرت بشائر القواقع أول ما ظهرت منذ حوالى ٥٠٠ مليون عام ، أو أكثر قليلاً ، وكانت نشأتها الأولى فى الماء ثم تنوعت وتأقلمت وتكيفت ببيئات أخرى جديدة ، فمنها ما يعيش فى البحار ومنها ما يسكن فى الأنهار ، ومنها ما هاجر الى الشواطىء ، ومنها ما زحف على اليابسة ليعيش فى الصحارى أو على المزارع أو فى الغابات .. ثم ان منها ما استساغه الانسان كطعام ، ومنها الطيب والسام .. ومن بعضها تستخرج اللآلىء ذات الأشكال والألوان ، ومنها ما استخدمه الانسان فى السحر ، ومنها ما اختارته بعض المجتمعات والقبائل القديمة كعملة متداولة قبل أن تظهر العملة المعدنية .. وكل هذه مواضيع شائقة ومثيرة ، وقد نفرد لها دراسة أخرى مستقلة ، لنعلم ما لم نكن نعلم من أسرار هذا الكوكب المثير الزاخر بكل ما هو عجيب وغريب .

دكتور عبد المحسن صالح ـ الاسكندرية



تأملات إعلامية

المرأة .. إلى أين؟

بقلم : محمد فتحي

قسمة بديعة تلك التى قسمها الخلاق بين رفيقي العمر .. الرجل والمرأة . وضع الحسن والحنان والرقة والوداعة فى جانب ، وفى الجانب المقابل وضع القوة والصلابة والقدرة على الحمل الثقيل وعلى التحمل . عليه الصيد والقنص والقتال ، وعليها السكن . فهي الملاذ ، منها السكينة ، وهي الحضن الدافىء ، والأنامل الناعمة التى تمسح العبرات . عليه سياسة الأمور والنطق باسم الزيجة ، ولها النصح والمشورة .

لاندرى اى احداث مرت على مدى عشرات الآلاف من السنين ، من عمر الانسان على الأرض ، فقلقلت هذا الوضع ، فجعلت فيه أعالي وأسافل ، رفعت هذا مرة ، وخفضته مرة أخرى . ثم حدث التنابذ ، وأعقبه تمرد .. لكن بغير تنافر او قطيعة .. خفة ظل متناهية مذهلة ! لم ينقطع قط حبل المودة ! لم تتفكك عرى الألفة ! هي تريده وهو يريدها ، يلاحقها وتلاحقه ، يرغب فيها وترغب فيه .. لكن هذه نقرة وتلك نقرة أخرى .. هنا حب وهناك حقوق .

الذى تكشف عنه آثار الحضارات القديمة ، التى دون لها التاريخ أن المجتمع الانساني كان مجتمع رجال . الملوك رجال ، والمؤمرون على الجيوش رجال ، والكهان رجال ، والسحرة فى القبيلة رجال ، والمحاربون رجال ، ومنبع الحكمة رجال ، والزراع العزاق للارض رجال ، والكتاب رجال .

فى حضارة مصر القديمة ، ربما دون غيرها من الحضارات ، فلتات تبرز فيها المرأة بروزاً وضاء . نرى امرأة ترتقي عرش الآلهة اسمها حتشبسوت . وتبهر عيوننا ـ نحن المحدثين ـ كما لا شك بهرت عيون الأقدمين أبهى تحفة متحفية عرفها التاريخ اسمها نفرتيتي . وفى الأسطورة الخالدة أوزيريس وإيزيس تتألق ايزيس رمزاً للسند والوفاء والبقاء على العهد .

فى العصور الحديثة دخل الانسان أتون الانصهار . حدثت القلقلة والاضطرابات والتفاعلات .. نشبت الحروب وانفجرت الثورات ، صناعية واجتماعية وسياسية ؛ وأدلت المرأة بدلوها ، شأنها شأن ضحايا الاقطاع والاستغلال ، والبرجوازية والعمال .. ولم لا ؟! تمردت ، ونادت بالتحرر من النير الغليظ ، نير الرجل ، وقادت المظاهرات وتصدت للسلطان المفروض وجاءت ثورة الاتصال من مطبعة ، وراديو فيما بعد ، ثم ثورة الانتقال ، فزادت النار اشتعالا . انتشرت العدوى ، وعمت الدعوة كل الامصار ، شرقيها وغربيها . وفازت المرأة فى نهاية الأمر بكل الحقوق التى تسوي بينها وبين السيد (الذى كان !) . حيث كان مجال عملها قاصراً على أبواب محددة .. وهي التعليم ، كمعلمات في رياض الأطفال ، والتمريض كممرضات ، وخدمة البيت كمربيات وطاهيات ومدبرات ، والسكرتارية كسكرتيرات انفتحت الآن الأبواب على مصراعيها أمام صاحبات



هدى شعراوى — صفية زغلول



نابليون بونابرت



لطفي السيد





طه حسين



قاسم أمين

العصمة ! الوزارة والنيابة والسفارة .. فاصبحن وزيرات ونائبات وسفيرات . واصبحن مديرات وصاحبات اعمال او نساء اعمال مثلهن مثل رجال الأعمال . واصبحن كاهنات قسيسات . خمس عشرة منهن نصبن قسيسات فى الكنيسة البروتستانتية الانجليكية فى الولايات المتحدة منذ بضع سنوات ولعل عددهن الآن قد زاد . كندا هى الأخرى عينت نساء قساوسة . وفى المانيا تملك سيدة مصنعاً عملاقاً للصلب تبلغ مبيعاته السنوية ٢٥٠ مليون مارك وتدير موظفيها البالغ عددهم ١٢٠٠ . وتحكى احصاءات المانيا أيضاً ان امراة اخرى تكاد تحتكر صناعة اجهزة الانذار ضد اللصوص . ومن الطريف ان المعلومة تضيف ان اكبر عملائها هو البابا ! وتحكي ان اين بوردا صاحبة مجلة البوردا الشهيرة والمترجمة الى كافة اللغات وصاحبة دار النشر الكبيرة تنشر سنوياً ٧٥ كتاباً فى الحياكة ونماذج التفصيل يبلغ عدد ما توزعه منها ٥٠ مليون نسخة تدر عليها ربحاً سنوياً قدره ١٥٠ مليون مارك .

ومع ذلك .. مع هذا الانجاز كله ، هل قنعت المراة .. هل هي راضية عن وضعها تقول وزيرة فرنسية فى جمهورية فاليرى جيسكار ديستـــان : مكانة المراة فى فرنسا كبيرة .. لكن في الأسرة والعلائق الشخصية . وفى الفنون كالرسم والكتابة . لكن قانون نابليون متحيز ضد المراة إذ يعتبرهن ملكية الرجل . والدساتير سنت للرجال ، لا للنساء ، ومازال هذا التراث قائماً لم يمح بعد .

وتقول الوزيرة إن أعظم دافع لحقوق المراة والذى احدث ثورة نفسانية عميقة بين النساء فى العالم المتقدم هو البرشامة .. برشامة منع الحمل . لأول مرة فى التاريخ تسيطر المراة ـ لا الرجل ـ وتتحكم فى ظاهرة الحمل . المراة اليوم تستطيع ان تقول لا بالنسبة لموضوع الحمل . لم تعد اداة تفريخ يقتنيها الرجل لتنجب له الخلفاء والوراث وأولياء العهد ! .

وتقول ان معدل المواليد فى العالم الصناعي ينخفض عاماً بعد عام . وسبب ذلك ليس عدد النساء العاملات فعددهن النسبي فى فرنسا لم يزد فى هذا القرن عن قرن مضى .. إنما السبب فى ذلك هو البرشامة ! فعندما كن في الماضى يعملن فى الحقل والبيت اصبحن اليوم يعملن بنسبة كبيرة جداً فى المستويات العليا فى الصناعة والمهن .

وتستطرد الوزيرة الفرنسية فى جهادها النسوى فتقول :

إن خطى كبيرة قد تمت فى الولايات المتحدة وفرنسا والسويد لتحقيق المساواة ولكن الكثير مايزال عند التطبيق غير محقق . الطريق الى المساواة الحقة سياسيا واقتصادياً ونفسانيا ما يزال بعيداً .

عندنا ، فى بلادنا ، انطلقت أول دعوة لتحرير المراة من فؤاد الرجل . نادى بها قاسم أمين . ولقى من أجلها ، من مجتمع الرجال ، وربما من نساء عصره أيضاً ، العنت والعسف والأذى . وتتابعت اصوات الرجال والنساء . هدى شعراوى وصفية زغلول ولطفي السيد وطه حسين وعلي ابراهيم . هؤلاء الرجال منحوها حق التعليم الجامعي بعد ان حققت نصيبها فى التعليم العام . حققوه فى وجه رجعية ضارية طويلة الأنياب والمخالب !

وفى مرحلتنا الحاضرة حققت المراة ما لا مطمع فيه لمستزيد . قانون الأحوال الشخصية فى شئون الزواج والطلاق عدل لصالحها . حق التعليم العام والتعليم الجامعي بالمجان مقرر لها بالفرصة المتكافئة مع الرجل . الحقوق السياسية جميعها منحتها بغير جهاد .. فى النيابة والانتخاب والترشيح والتصويت . بل أنها فى ذلك ميزت عن الرجل فخصصت لها مقاعد فى المجالس التشريعية ، لا ينافسها فيها الرجال بينما تنافس هي الرجال فى كل المقاعد .

حق العمل مقرر لها هي والرجل سواء بسواء . منهن الوزيرة والسفيرة والمديرة ـ لم تتول القضاء بعد ـ ولكنها أيضاً لم تتول أعمال النجارة والحدادة والسباكة وميكانيكا السيارات لأنها هي لا تحب مثل هذه الأعمال اليدوية . منهن سائقات تاكسي ومنهن بائعات متجولات ، لشتى السلع .

فى الاسبوع الماضى كنت احاضر جمعاً من كبار الاذاعيين (راديو وتليفزيون) فى مبناهم . كان مجموعهم عشرة ومائة . المائة كن من النساء وعشرة هم الرجال . ورئيسة الاذاعة سيدة ورئيسة التليفزيون سيدة وعدد كبير من رؤساء القنوات المختلفة سيدات وسيدة تراس دارا من دور النشر والصحف . فهل بعد ذلك مطمع لمستزيد ؟!

احسب أن الآية الآن قد انقلبت ! لم يعد الشاكي من هضم الحقوق هو المراة .. بل الرجل ! قدمت في انجلترا قضايا من رجال امام المحاكم يشكو فيها رافعوها من تمييز ضدهم ؛ في حقهم في العمل في مؤسسات التمريض . الممرضة مطلوبة والممرض مرفوض ! ويشكو آخرون من حق يمنح لزميلات في العمل وهو امتياز اجازة الحمل والوضع . ماشأن الحمل والوضع بواجبات العمل حتى يميز النساء بمنح الاجازة الاضافية ؟! هكذا تقول دعواهم !

في مصــــر تمنح الزوجة العاملة حق مرافقة زوجها المعار للعمل فى الخارج وتحتسب لها علاواتها وترقياتها حتى تعود لمباشرة عملها .

هل انقلبت فعلا الآية ، وانعكس اتجاه الشكوى فلم نعد نسمع غير شكاوى الرجال ضد تميز المراة على حسابهم وحساب مبدأ الفرصة المتكافئـــة ؟! .

محمد فتحي

بـالألـوان
حكايـة للأطفـال
يمكن أن يقرأها الكبار

سجين الكوخ

بقلم: صلاح عبد السيد

كان يسكن على شاطىء البحر ، فى كوخ صغير من فروع الأشجار ، شيخ عجوز ، يدعى صابر .. وكان الشيخ صابر هذا ، يعيش مع زوجته صابرين ، وحدهما ، فى هذا الكوخ الصغير ..

كان الشيخ صابر .. يمتلك قطعة صغيرة من الأرض .. يزرعها بكافة الخضروات طول العام ، وكانت زوجته صابرين ، تساعده فى عمله ، فتجمع معه الخضروات ، وتحملها الى سوق المدينة .. لتبيعها هناك ..

وكان الشيخ صابر .. بعد أن يفرغ من عمله فى زراعة الأرض ، يذهب الى البحر حاملا شبكته ، فيلقى بها فى الماء ، ثم يجذبها ، لتخرج من البحر ، محملة بالرزق الوفير من السمك .. فياكل منه الشيخ صابر هو وزوجته ويحمدان الله على عطائه الوفير ..

كان الشيخ صابر .. يعيش مع زوجته صابرين .. عيشة هانئة سعيدة .. ولم يكن يقلقه .. غير أن زوجته صابرين .. لم تنجب له طفلا كما كان يتمنى ..

كان الشيخ صابر .. يدعو الله فى سره أن يرزقه طفلا يحفظ له ذكراه ويساعده فى شيخوخته ..

واستجاب الله لدعاء الشيخ صابر .. فحملت زوجته بعد أن ظلت سنين طويلة لا تنجب .. ورزقه الله بطفل جميل .. حسن المنظر .. أسماه حسن ..

أحس الشيخ صابر بسعادة بالغة هو وزوجته صابرين وأخذا يشكران الله ويحمدانه ليل نهار لأنه عوضهما جزاء صبرهما خيراً ..

كانت فرحتهما بطفلهما حسن .. فرحة كبيرة لا توصف ..

ولم يعد الشيخ صابر ، يخرج من كوخه كعادته كل صباح ليذهب الى حقله .. أو ليصيد السمك من البحر .. فى أوقات فراغه .. بل أصبح يقضى ساعات النهار والليل .. الى جوار طفله الصغير حسن .. ينظر اليه ويتأمل وجهه .. كأنه لا يصدق أن هذا الطفل قد جاء اليه .. وأصبح طفله .. بعد هذا العمر الطويل

اذا بكى حسن .. أسرع اليه الشيخ صابر والدموع فى عينيه

اذا ضحك حسن .. ضحك الشيخ صابر .. وضحكت الدنيا له ..

اذا مرض حسن .. مرض الشيخ صابر .. ونام الى جواره .

كان الشيخ صابر .. يخاف على حسن خوفاً شديداً .. فهو طفله الوحيد .. الذى رزقه الله به .. بعد عمر طويل .

وكانت زوجة الشيخ صابر تفعل مثل زوجها تماما ..

كان الشيخ صابر وزوجته صابرين على استعداد لتلبية كل ما يطلبه طفلهما حسن إلا شيئاً واحداً .. وهو خروجه من الكوخ ..

لقد قررا ألا يخرج حسن من الكوخ على الاطلاق ..

كان حسن ينظر من شباك الكوخ فيرى الأطفال الصغار يلعبون ويمرحون فى



الخارج .. بينما هو محبوس داخل الكوخ .. فيسأل والده : لماذا لا تتركنى اخرج والعب مثل بقية الأولاد يا والدى ؟

وكان والده يجيبه قائلا : لأننى أحبك يا حسن .

فيعود حسن يسأل والده : وهل الذى يحب طفله يحبسه فى الكوخ يا والدى ؟

وكان والده يجيبه : إننى أخاف عليك يا حسن من حرارة الشمس .. ومن برودة الجو .. ومن الحشرات .. ومن الحيوانات .. ومن البحر ..

فيعود حسن يسال والده : وهؤلاء الأطفال الذين يلعبون يا والدى .. لماذا لا يخاف عليهم احد من حرارة الشمس ومن برودة الجو ومن الحشرات ومن الحيوانات ومن البحر ؟

ولم يكن الشيخ صابر يستطيع الاجابة على طفله حسن ..

كان يكتفى بان يقول له : يا حسن .. اطلب منى كل ما تريد .. وانا أحضره لك هنا .. إلا أن تخرج من هذا الكوخ ..

وذات يوم ، قال حسن لوالده : لا أريد أن العب مثل بقية الأطفال يا والدى .

قال له والده : ساحضر لك حسان .. ابن جارنا .. ليلعب معك هنا فى هذا الكوخ ..

وذهب الشيخ صابر الى جاره .. فاحضر طفله الصغير حسان ليلعب مع طفله حسن فى الكوخ ..

وقف حسان الى جوار حسن فى الكوخ .. ينظر اليه فى حيرة .. لا يعرف ماذا يلعب ..

ساله حسن قائلا : لماذا لا تلعب معى يا حسان ؟

قال حسان : وماذا نلعب يا حسن ؟

قال حسن : تلعب معى كما تلعب مع الاطفال فى الخارج .

قال حسان : ولكننا فى الخارج نجرى ونسابق بعضنا بعضا ..

قال حسن : إذن هيا نجرى فى الكوخ ونتسابق سويا .

قال حسان : الكوخ صغير وضيق يا حسن ولا نستطيع أن نجرى فيه ونتسابق .

قال حسن : وماذا تلعبون أيضا غير لعبة الجرى والتسابق ؟

قال حسان : نتسلق اشجار التوت ونأكل من ثمارها .

قال حسن : لكن ليس هنا فى الكوخ اشجار توت .. فماذا تلعبون غير لعبة تسلق أشجار التوت ؟

قال حسان : نصيد السمك بالسنارة من البحر .

قال حسن : لكن ليس هنا فى الكوخ بحر .. حتى نصيد السمك منه .. فماذا تلعبون غير لعبة صيد السمك من البحر ؟

قال حسان : نجرى وراء الفراشات الملونة .. محاولين الامساك بها ..

قال حسن : لكن ليس هنا فى الكوخ فراشات ملونة لنجرى وراءها .. فماذا تلعبون غير لعبة الجرى وراء الفراشات الملونة ؟

قال حسان : لا شىء .. لقد ذكرت لك كل الألعاب التى نلعبها .

قال حسن : وماذا سنلعب إذن يا حسان ؟

قال حسان : هيا نخرج من هذا الكوخ لنلعب مثل بقية الاطفال فى الخارج ..

واشار حسان بيده من شباك الكوخ .. على الأطفال الصغار .. الذين يتسلقون أشجار التوت .

قال حسن : ان والدى يرفض أن اخرج من هذا الكوخ .

قال حسان : وانا لا أستطيع أن ألعب هذا الكوخ .

واسرع حسان خارجا .. تاركا حسن ه فى الكوخ ..



جلس حسن حزيناً .. ينظر من شباك الكوخ للأطفال الصغار وهم يتسلقون أشجار التوت ويأكلون من ثمارها ..

سأله والده : لماذا تبدو حزيناً يا حسن ؟

قال حسن : لقد تركنى حسان يا والدى وذهب يلعب مع الأطفال فى الخارج ..

سأله والده : وماذا يلعب حسان مع الأطفال فى الخارج ؟

قال حسن : انهم يتسلقون اشجار التوت ويأكلون من ثمارها يا والدى ..

قال له والده : ساجعلك فى الصباح تتسلق أشجار التوت مثلهم يا حسن ..

لم يصدق حسن ما سمعه من والده فاخذ يسأله : هل ستتركنى اتسلق أشجار التوت حقاً مثل الأطفال يا والدى؟

قال له والده مؤكداً : نعم يا حسن .. ستتسلق أشجار التوت فى الصباح .. وعليك الآن ان تذهب الى فراشك لتنام .. حتى تصحو مبكراً ..

فرح حسن فرحاً شديداً .. وأسرع الى فراشه .. واستغرق فى نوم سعيد ..

أثناء نوم حسن .. أسرع والده الى حقله .. فاقتلع شجرة توت من هناك .. وحملها معه الى الكوخ .. وحفر حفرة لها فى منتصف الكوخ .. ووضع الشجرة فى الحفرة ..

استيقظ حسن من نومه فى الصباح الباكر .. فوجد شجرة توت فى منتصف الكوخ ..

أخذ حسن ينظر الى شجرة التوت .. فى دهشة بالغة .. وقال لوالده : من الذى جاء بهذه الشجرة الى الكوخ يا والدى ؟

قال له والده : لقد سمعتك شجرة التوت وأنت تطلب أن تتسلقها وتأكل من ثمارها فجاءت اليك من تلقاء نفسها ..

أسرع حسن يتسلق شجرة التوت فرحاً .. ضاحكاً .. واخذ ياكل من ثمارها .. وهو يقول لوالده : إن طعم التوت حلو يا والدى .. إننى لن انزل من فوق هذه الشجرة إلا بعد أن أشبع تماماً ..

كان الشيخ صابر ينظر لحسن وهو فوق شجرة التوت ، فى سعادة وهو يقول لنفسه : «لقد استطعت ان اجعله يتسلق شجرة التوت وياكل من ثمارها مثل بقية الأطفال» .

بعد يومين أخذت شجرة التوت فى الذبول .. فاصفرت أوراقها .. وتساقطت ثمارها ..

سأل حسن والده وهو ينظر لشجرة التوت فى حزن : لماذا ذبلت شجرة التوت يا والدى وتساقطت ثمارها ؟

قال له والده : لقد ذبلت شجرة التوت وتساقطت ثمارها بلا سبب معروف يا حسن ..

قال حسن : وهل ذبلت أشجار التوت وتساقطت ثمارها فى الخارج يا والدى ؟

قال له والده : لا يا حسن .. لم تذبل أشجار التوت فى الخارج .. ولم يتساقط ثمارها ..

قال حسن : إذن .. أريد أن أخرج من هذا الكوخ .. لاتسلق أشجار التوت فى الخارج ..

قال له والده : لا يا حسن .. لن تخرج من هذا الكوخ .. ان باستطاعتك ان تطلب ما تريد .. وأنا احضره لك هنا ..

قال حسن : اريد ان أصيد السمك بالسنارة مثل الأطفال يا والدى .

قال له والده : ساجعلك فى الصباح تصيد السمك بالسنارة يا حسن ..

قال حسن فى فرحة : سأذهب الى فراشى الآن لأنام .. حتى اصحو مبكراً ..

أثناء نوم حسن .. أسرع والده .. فبنى حوضاً كبيراً فى وسط الكوخ .. وملأه بماء البحر حتى آخره .. ثم ذهب الى البحر حاملا شبكته .. فاصطاد بعض الأسماك بها .. وعاد بهذه الأسماك الى الكوخ .. فوضعها فى الحوض الكبير ..

استيقظ حسن من نومه فى الصباح الباكر .. فوجد أسماكاً تعوم فى الحوض الكبير ..

أخذ حسن .. ينظر للأسماك وهى تعوم فى الحوض الكبير .. فى دهشة بالغة .. ثم قال لوالده : من الذى احضر هذه الأسماك ووضعها فى هذا الحوض يا والدى ؟

قال له والده : لقد سمعك البحر وانت تطلب أن تصيد السمك منه .. فأرسل اليك هذا السمك فى هذا الحوض .. لتصيده بالسنارة مثل بقية الأطفال ..

أسرع حسن يمد سنارته الى الحوض الكبير .. ليصيد السمك منه .. فى فرحة بالغة .. بينما صابر ينظر له فى سعادة وهو يقول لنفسه «لقد استطعت ان أجعله يصيد السمك بالسنارة مثل بقية الأطفال» .

بعد يومين .. ماتت كل الأسماك فى الحوض الكبير ..

سأل حسن والده وهو ينظر للأسماك الميتة فى حزن : لماذا ماتت الأسماك فى الحوض الكبير يا والدى ؟

قال له والده : لقد ماتت بلا سبب معروف يا حسن .

سأل حسن والده : وهل ماتت أسماك البحر يا والدى مثلما ماتت أسماك الحوض الكبير؟

قال له والده : لا يا حسن .. ان أسماك البحر لم تمت .. ..

قال حسن : إذن .. أريد أن أخرج من هذا الكوخ لأصيد من البحر أسماكاً حية مثل بقية الأطفال ..

قال له والده : لا يا حسن .. لن تخرج من هذا الكوخ .. ان باستطاعتك أن تطلب ما تريد .. وانا احضره لك هنا ..

قال حسن : أريد أن أجرى وراء الفراشات الملونة كما يفعل الأطفال يا والدى .

قال له والده : ساجعلك فى الصباح تجرى وراء الفراشات الملونة مثلما يفعل الأطفال يا حسن ..

قال حسن : سأذهب الى فراشى الآن لأنام .. حتى أستطيع أن أصحو مبكراً ..

قبل أن يستيقظ حسن من نومه .. كان والده قد ذهب الى حقله .. فجمع عدداً من الفراشات الملونة .. وأحضرها معه الى الكوخ .. وتركها تطير فيه ..

استيقظ حسن من نومه .. فى الصباح فوجد الفراشات الملونة تطير أمامه فى الكوخ ..

أخذ حسن ينظر للفراشات الملونة .. فى دهشة بالغة .. ثم قال لوالده : من الذى أحضر هذه الفراشات الملونة الى

الكوخ يا والدى ؟

قال له والده : لقد سمعتك الفراشات وانت تطلب أن تجرى وراءها مثل بقية الأطفال فجاءت اليك من تلقاء نفسها ..

أسرع حسن يجرى وراء الفراشات الملونة فى سعادة .. محاولا الامساك بها وهو يقول لوالده : اننى ساظل العب مع الفراشات الملونة طول الليل والنهار يا والدى .

كان الشيخ صابر ينظر لحسن .. وهو يجرى وراء الفراشات الملونة .. فى سعادة .. وهو يقول لنفسه «لقد استطعت أن أجعله يجرى وراء الفراشات الملونة مثل بقية الأطفال» .

بعد يومين .. كفت الفراشات عن الطيران .. وتوقفت عن اللعب مع حسن

قال حسن لوالده وهو ينظر الى الفراشات الملونة فى حزن : لماذا توقفت الفراشات الملونة عن الطيران واللعب يا والدى ؟

قال له والده : لقد توقفت الفراشات الملونة عن الطيران واللعب بلا سبب معروف يا حسن ..

قال حسن : وهل الفراشات الملونة فى الخارج توقفت عن الطيران واللعب هى الأخرى يا والدى ؟

قال له والده : لا يا حسن .. ان الفراشات الملونة فى الخارج لم تتوقف عن الطيران واللعب ..

قال حسن : إذن .. أريد أن أخرج من هذا الكوخ لألعب مع الفراشات الملونة فى الخارج .

قال له والده : لا يا حسن .. لن تخرج من هذا الكوخ .. ان باستطاعتك أن تطلب ما تريد .. وأنا أحضره لك هنا ..

قال حسن فى حزن : لم أعد أريد شيئاً يا والدى ..

قال له والده : ولماذا لا تريد شيئاً يا حسن ؟

قال حسن : لأن كل الأشياء التى جاءت الى هذا الكوخ ذبلت بلا سبب معروف .. وإخاف أن أطلب شيئاً آخر .. فيذبل يا والدى ..

قال له والده : بل أطلب ما تريد .. ولا تخشى شيئاً ..

قال حسن : أريد أن أسالك سؤالا واحداً يا والدى ..

قال له والده : اسأل يا حسن .. فانا أستمع اليك ..

قال حسن : لماذا تذبل الأشياء فى الكوخ .. ولا تذبل فى الخارج يا والدى ؟

قال له والده : انها تذبل بلا سبب معروف يا حسن ..

قال حسن فى حزن : اننى أخشى أن اذبل أنا الآخر بلا سبب معروف يا والدى ..

فى اليوم التالى .. لم يستيقظ حسن مبكراً كعادته .. بل ظل ممداً فى فراشه .. لا يرغب فى مغادرته ..

سأله والده : لماذا لم تستيقظ مبكراً كعادتك يا حسن ؟

قال حسن : ليست عندى رغبة للاستيقاظ مبكراً يا والدى ..

قال والده فى خوف : ما بك يا حسن .. هل تحس ألماً ؟

قال حسن : لا يا والدى .. اننى لا أحس بأى ألم ..

وظل حسن نائماً .. لا يغادر فراشه .. حتى هزل جسده .. واصفر وجهه .. وذبلت ضحكته .. ولم يعد يقدر على الكلام ..

احتار الشيخ صابر فى أمر حسن .. وكذلك احتارت زوجته .. وأصيبا بحزن شديد .. وهما يريان طفلهما الوحيد حسن مريضاً .. هزيلا .. شاحباً .. لا يقوى على الكلام ..

جلست والدة حسن الى جوار سرير طفلها .. تنظر اليه والدموع تسيل على خديها .. وهى تسأل نفسها «إن حسن يأكل أفضل الطعام .. ويشرب أجود

الشراب .. ويلبس اجمل الثياب .. فما الذى يجعله يبدو حزيناً .. ولماذا اصبح هكذا .. هزيلاً شاحباً .. لماذا يذبل على هذه الصورة ؟»

جلس الشيخ صابر فى حقله .. حزيناً .. باكياً .. وقد اسند ظهره الى شجرة توت .. وهو يسأل نفسه .. «إن حسن يعيش مرتاحاً .. منعماً .. لا يتعب نفسه مثل بقية الأطفال فى عمل شىء .. وكل مطالبه مجابة .. فما الذى يجعله يبدو حزيناً .. ولماذا اصبح هكذا .. لماذا يذبل على هذه الصورة ؟»

هزت شجرة التوت أوراقها ومالت بأغصانها حتى لامست رأس الشيخ صابر ثم قالت له : ان ابنك مثل الشجرة تماماً أيها الشيخ .. هل تتذكر شجرة التوت التى اقتلعتها من مكانها وزرعتها داخل الكوخ .. لكى يتسلقها طفلك حسن .. هل تعرف لماذا اصفرت أوراقها .. وتساقطت ثمارها .. ؟!؟

لقد اصفرت أوراقها .. وتساقطت ثمارها لأنها زرعت فى غير مكانها .. وكذلك طفلك .. اصفر وذبل .. لأنه وضع فى غير مكانه .

قال الشيخ صابر : ولكننى اوفر لطفلى أفضل الطعام وأجود الشراب ..

قالت شجرة التوت : ان طفلك يحتاج بجانب الغذاء .. الى الشمس والهواء .. واللعب .. فلا تزرع ابنك داخل الكوخ .. وإلا ذبل مثل شجرة التوت ..

وسكتت شجرة التوت ورفعت أغصانها عن رأس الشيخ صابر ..

اخذ الشيخ صابر يفكر فيما قالته شجرة التوت .. ويتدبر فى معناه .. وأثناء ذلك وقفت على كتفه .. فراشة ملونة ..

رفرفت الفراشة الملونة بجناحيها .. واقتربت من أذن الشيخ صابر .. ثم همست له : كيف حال طفلك حسن ؟

التفت الشيخ صابر فى دهشة .. ناحية الفراشة الملونة ثم قال لها : هل تعرفين طفلى حسن أيتها الفراشة الملونة ؟

قالت الفراشة الملونة : نعم اعرفه .. لقد اخذتنى ذات يوم .. مع عدد من الفراشات الملونة الى كوخك .. وحبستنا فيه .. ليجرى وراءنا طفلك حسن ..

قال الشيخ صابر فى حزن : ان حسن مريض .. ذابل .. لم يعد يستطيع مغادرة الفراش ..

قالت الفراشة الملونة : وهكذا كنا .. حين حبستنا فى الكوخ .. ان طفلك الصغير مثل الفراشة الملونة تماما أيها الشيخ .. فدع طفلك الصغير يطير خارجاً من هذا الكوخ حتى لا يذبل ..

ثم تركته الفراشة الملونة وطارت ..

أسرع الشيخ صابر ذاهباً الى كوخه .. فوجد طفله حسن .. نائماً فى فراشه .. فاقترب منه .. وربت عليه .. قائلاً له : هيا يا حسن .. قم من فراشك .. لتخرج من هذا الكوخ ..

قال حسن بصوت ضعيف : الى أين يا والدى ؟

قال له والده : لقد سألت عليك شجرة التوت .. والفراشة ..

وامسك الشيخ صابر يد طفله الصغير حسن .. وأسرع خارجاً من الكوخ ..

مر حسن على شجرة التوت .. واخذ ينظر لها فى فرحة .. وهو يقول لوالده : ما أجمل شجرة التوت يا والدى .. اننى احب ثمار التوت كثيراً يا والدى ..

سمعت شجرة التوت كلام حسن .. وتاثرت به .. فاحبته هى الأخرى .. ومالت ناحيته بفروعها .. لكى يأكل من ثمار التوت ..

مر حسن على الفراشات الملونة .. فأخذ ينظر لها فى فرحة .. وهو يقول لوالده : ما أجمل هذه الفراشات الملونة يا والدى .. اننى أحب هذه الفراشات الملونة كثيراً يا والدى ..

سمعت الفراشات الملونة كلام حسن .. وتاثرت به .. فاحبته هى الأخرى .. وأخذت تطير حواليه .. وتقف على كتفيه .. وتقبل وجنتيه ..

أحس حسن بالدماء تسرى فى عروقه .. وبالصحة تعود اليه .. فاخذ يجرى وسط الزهور .. ويسابق الفراشات الملونة

وأحس حسن انه يريد أن يغنى .. ويزقزق مثل العصافير .. فرفع صوته بالغناء والزقزقة ..

سمع الأطفال الصغار غناء حسن .. فاسرعوا اليه .. مرحبين .. فرحين لمقدمه .. واخذوا يغنون معه .. ويزقزقون مثله .

قال حسن للأطفال الصغار : هيا بنا نجرى ونسابق بعضنا .. بعضاً ..

وأسرع الأطفال الصغار .. ومعهم حسن .. يجرون .. ويتسابقون .. والفراشات الملونة ترفرف حواليهم .. والعصافير تزقزق على رؤوسهم .. والضحكات السعيدة تسبقهم .. وتملأ المكان بالبهجة والفرحة .. »



صلاح عبد السيد

شاطئ الأحلام

شعر: علي الفقي

اين يا شاطىء ايام كاحلام العذارى
وليال كم قضيناها طوالا وقصارا
ومجال كل ما فيها من الانس توارى
حلم رفرف حولينا زمانا ثم طارا
فافتقدناه ولم نبرح مع الدمع حيارى

●●●

اين ياشاطىء احلام تراءت لعيوني
وليال جمعت فى حسنها شتى الفنون
ومجال لم تزل أطيافها ملء جفوني
وخيالات إذا ما سرت ما تنفك دوني
كلما مرت هفا روحي ولم تهدا شجوني

●●●

كم لنا جلسة فوقك والامواج تجري
وشراع الحب والأحلام خلف الموج يسري
منظر بالحسن والسحر وبالفتنة يغري
سكنت من حولنا الدنيا فان بحنا بسر
ضمه الليل كما ضم جراح الحب صدري

●●●

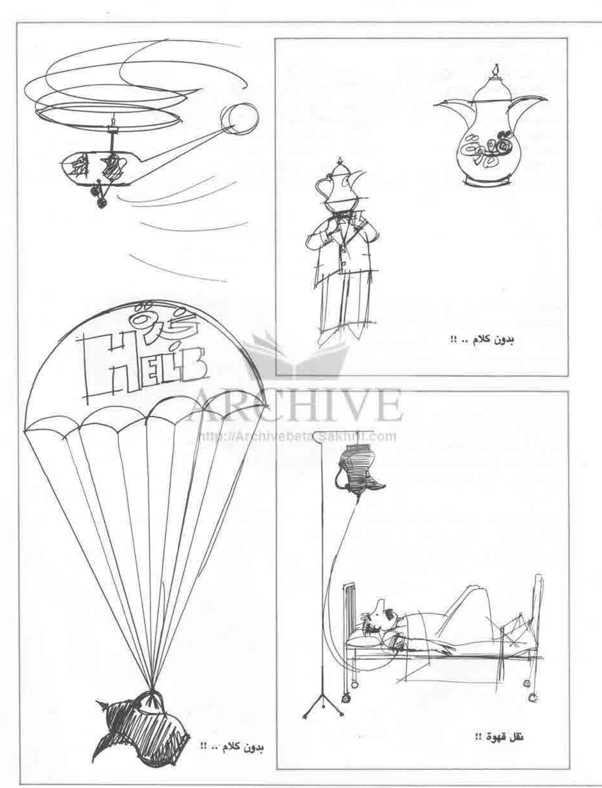
وسما الحب بروحينا الى دنيا الخيال
عند واد عبقري الحسن مرموق الجمال
فاض بالروعة والنور وبالسحر الحلال
فاذا نحن تربعنا على عرش الكمال !
وإذا الدنيا كما ننشد والدهر موال
وانتبهنا بعد ما اسرى بنا الحب وطارا
فى سماء ضل فى ابراجها قلبي وحارا
غشيتها انفس ظمأى وارواح سكارى
فاذا الفجر بدا للعين والليل توارى
وإذا نحن على الشاطيء كالأمس حيارى



بدون كلام .. !!

بدون كلام .. !!

بدون كلام .. !!



بدون كلام .. !!

نقل قهوة !!

بدون كلام .. !!

نجيب الريحاني

أكبر فنان ضاحك في المسرح العربي

بقلم : حسين عثمان

نجيب الريحاني هو ذلك الفنان العربي صاحب الموهبة الرائعة التى طالما أضحكتنا وأبكتنا فى نفس الوقت .. فهو يملك قدرة مدهشة على الجمع بين بواعث الضحك والبكاء ، فمسرحياته ليست ضحكاً خالصاً ولكنها ضحك تتخلله لحظات من الحزن الرقيق الشفاف الذى يكشف كل السلبيات ويسخر من عيوب المجتمع فى صورة لاذعة تذكرنا بالقيم الانسانية النبيلة التى يجب أن نتمسك بها أثناء رحلتنا فى الحياة !

● إن هذا الفنان العربي الساحر خرج من الدنيا فيما يشبه المفاجأة ، فمات بحمى التيفوئيد رغم أنه كان قد تحصن منها . ولم يمت بالذبحة الصدرية التى كانت تهدده فى الخمس سنوات الأخيرة من حياته ، وفاجأته أزمتها ثلاث مرات .

كان شارلى شابلن ممثـــله المفضل



الفنان العربى
صاحب الموهبة الرائعة :
نجيب الريحانى

وقد مات بعد أن ابتسمت له الدنيا ، وبدأ يحلم بالتمتع بمناعم العيش الرغيد في (القصر) الذى كاد أن ينتهي من بنائه ، وقد تحول الآن الى قصر من قصور الثقافة .. وهكذا مضى الممثل الساخر الى العالم الآخر ، وهو على أتم ما يكون ارتباطا بالدنيا أملا وعملا إيجابيا ، وكان الدنيا قد حلا لها أن تثأر منه ، وهو الذى عاش حياته يسخر منها سواء فى حياته الخاصة أو العامة ... !

ألوان مسرحية جديدة

لقد عاش الريحاني بالمفاجأة .. وعلى المفاجأة ..

فاجأ اسرته يوم ترك وظيفته الكتابية في شركة السكر ذات المرتب المضمون ، والمستقبل الباسم ، ليحترف التمثيل استجابة لهوايته الفنية التى لا تضمن له ما يكفيه ليوم واحد من ضرورات الحياة .. ثم فاجأ الناس بنوع جديد من المسرحيات والأداء التمثيلي المرتجل ، وأطلق عليه « الفرانكو أراب » وقد ترك هذا النوع من التمثيل فى نفوس الجمهور على غير انتظار ، فاقبل على مسرحه اقبالا لا مثيل له وتدفق على أثره المال على جيوبه بغير حساب ولا عد ، ولكن شاءت الظروف أن يتوقف هذا اللون من التمثيل ، ولكن الريحاني ظل على ما كان عليه ينفق بسخاء ، ويشبع من ملذات الدنيا ، حتى اتى على كل ما كان يملك من المال ، وعاد الى أيام الفقر والضيق والبحث عما يسد رمقه .. ثم خرج بعد ذلك على الناس بهذا اللون الجديد من المسرحيات التى تدور موضوعاتها كلها حول شخصية واحدة منتزعة من صميم المجتمع المصري ، وهي شخصية « العمدة » الذى يهبط القاهرة من الريف بحثاً عن المتعة وحياة الترف بعد أن بهرته أضواء المدينة الحديثة ... إنه « كشكش بك » عمدة كفر البلاص وهو يتبختر في لباسه الاقليمي الزاهي وبلحيته وعمامته ... ثم تجرى على لسانه الذع النكات ، وهو يتناول أهم ما يشغل الشعب فى الحياة الخاصة والعامة .. وكان هذا اللون مفاجأته الكبرى التى جاءت نتيجة احساسه بتعطش الجمهور الى مطالعة كل ما هو مصري فوق المسرح ، بعد أن مل ما كان ينقل إليه ، من الروايات المترجمة أو المقتبسة ، وكان الشعب المصري يميل فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩م ، إلى أن يسمع أصداء نفسه ، في كل ما يقع عليه حسه !

الحزن في حياته

ورغم ان نجيب الريحاني كان ممثلا كوميدياً ناجحا ، إن لم يكن انجح ممثل كوميدى ، إلا انه كان يحب الدراما ، وكان يتمنى أن يمثل أدوار التراجيدى فى المسرحيات الجادة .

وكان على قدر مرحه وفكاهاته يعاوده الحزن في فترات متقطعة بسبب مأساة أصغر اخوته واسمه (جورج الريحاني) الذى اختفى سنوات طويلة دون أن يعرف أحد عنه خبراً أو ذكرا ، وقد ظل سبب اختفائه حتى مات نجيب الريحاني ــ ولا يزال ايضاً ــ لغزاً غامضاً ، تكتنفه الاشاعات ، فمن قائل انه أسلم وانضم الى إحدى الجماعات الصوفية ، ومن قائل انه ترهب واعتكف فى احد الأديرة .

ويفسر المقربون من نجيب الريحاني سر ميله الى الدراما وحبه الى التمثيل المأسوي الى حزنه على شقيقه الذى اختفى !

وقد حاول الريحاني في فترات مختلفة من بداية حياته أن يمثل فى المسرحيات الدرامية ولكنه كان لا يلقى تجاوباً من الجمهور ، وكان اتجاهه الى الدراما يكلفه نفقات باهظة ، فكان يستدين من أجل تكوين فرقة يمثل فيها المسرحيات الدرامية ، وكلما ظهر على المسرح رأى الدائنين ينتظرون الحصول على أموالهم فكان هذا المشهد يسبب له ارتباكات متوالية ، هذا الى جانب تهكم النقاد وسخرية الصحافة منه كممثل دراما ، وكان الريحاني يعتقد أن زميله يوسف وهبى وراء هذه الحملات الصحفية !

وقد أجبره الجمهور على ترك الدراما ، فقد كان الجمهور يراه ممثلا كوميدياً بالسليقة ، والحق انه حتى فى تعبيراته وإيماءاته وحركاته كان فكهاً غير متكلف كانت الفكاهة في دمه ، وكان الممثل المفضل عنده هو شارلي شابلن الذى كان يعتبره فيلسوف الفن ، والواقع أن كلاهما كانا فيلسوفين .. وكانت فلسفة الضحك عندهما تهدف الى علاج العيوب بابرازها فى شكل يجعل المتفرج يضحك منها ويسخر ، ومع ذلك فقد كان لا يفتأ يعاوده الحنين الى الدراما كلما تذكر شقيقه الغائب ، فلما كتب عليه أن لا يمارس هذا اللون من التمثيل ، كان

الفنان نجيب الريحاني مع حسين رياض ورويحية خالد فى فيلم سلامة فى خير





الريحاني اثناء « بروفات » مسرحية (ما حدش واخد منها حاجة) وإلى جواره ماري منيب وعبد الفتاح القصري وبعض افراد الفرقة

يرضى ميله هذا بتغذية مسرحياته الفكاهية بالكثير من المواقف الماساوية التى كانت تهز مشاعر الناس هزة عنيفة!!

السخرية والأصدقاء

وقد عالج نجيب الريحاني مشاكل السياسة بالفكاهة والسخرية .

وكان الريحاني صديقا وفيا لأصدقائه وأبناء مهنته ، وكان يكره الحفلات العامة ولكنه لا يتردد فى حضور حفل يقيمه أصدقاؤه ، وكثيرا ما كان يقيم لهم الحفلات في بيته ، وكان مبالغـة فى التكريم يطهو لهم لوناً من ألوان الطعام ، وإن لم يتسع الوقت كان يصنع «السلطات» ، وكان عنده خادم يعمل في خدمته ، وكان الريحاني يعطف عليه عطفاً شديداً ، وكان هذا الخادم مشهوراً في الوسط الفني باسم (حسن كش كش) وسر عطف الريحاني على هذا الخادم ، أنه كان يتفاءل به ويعتبره (قدم السعد) إذ اقترن عصره الذهبي على المسرح بالتحاق حسن بخدمته .. كذلك كان يتفاءل بصديقته (لوسي دى فرناى) التى صادقته فترة طويلة من حياته .. وكان الريحاني يؤمن بالحظ والفال والأحلام .

والطريف انه كثيراً ما كانت تقع خلافات بينهما ، فكانت « لوسي » تهجر بيته وتهدد بالعودة الى بلادها .. وبمجرد خروجها من البيت ، كانت النكبات تنهال عليه ، فكان يسرع إليها حيث تقيم ليسترضيها ويعود بها الى منزله !

رأي الكاتب الفرنسي

وكان الريحاني شديد الاحترام لفنه حتى انه لفرط اندماجه فى الشخصية التى يمثلها ، كان يخرج من الكواليس كالجثة الهامدة ، فاذا عاد الى خشبة المسرح ، اندمج في الشخصية التى يؤديها حتى يغيب عما حوله تماما ، وقد تمضي بضع دقائق قبل أن يعود الى شخصيته الحقيقية !

وكان المرحوم الدكتور طه حسين «زبوناً» دائماً لمسرح الريحاني ، وصديقاً حميماً له ، ومعجباً من المتشيعين المتحمسيـــن لـه أيضاً ، حتى لقـد كان ينتهز كل فرصة عندما يزوره أشهر الفنانين العالميين ويدعوهم الى مشاهدة مسرح نجيب الريحاني ، وقد حدث أن زار القاهرة الكاتب الفرنسي المشهور « اندريه جيد » بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، فدعاه الدكتور طـه حسين لمشاهدة الريحاني ، وبعد انتهاء التمثيل قام بمهمة التعارف بين الريحاني والاديب الفرنسي ، وقد قال اندريه جيد للريحاني انه لم يفته معنى من معاني الحوار الذى لا يفهم لغته العربية ، وذلك بفضل تمثيل الريحاني الذى خلا من حركات التهريج التى اعتاد أن يشهدها من بعض ممثلي فرنسا انفسهم ..!!

من أجل المسرحية

وكانت حياة الريحاني الخاصة حافلة بكثير من الطرائف ومنها انه كان يكره ركوب السيارات ، وكان مغرماً بركوب «عربات الحنطور» التى كان يفضلها على كل انواع المواصلات ،حتى انه كان يملك في أواخر أيامه سيارة فاخرة ، ومع ذلك فقد كان يتركها ليركب عربة حنطور .!

ومن هذه الطرائف ايضا أنه حدث أن زارت القاهرة إحدى الفرق الفرنسية لاحياء بعض حفلاتها التمثيلية ، وكان الريحاني فى ذلك الوقت مفلساً وعاطلا عن العمل ، وأراد مشاهدة الفرقة وليس فى جيبه سوى بضعة قروش ، وكان عليه أن يستعين بها فى تناول طعامه .. وفكر فى أن يستغل صفة الزمالة فى طلب تذكرتين من ادارة الفرقة كدعوة مجانية ، ولكنه عاد فوجد أن كرامته لا تسمح بذلك ولم يجد في النهاية بدا من دفع ثمن التذكرتين له ولصديقته ، وكان ثمن التذكرتين عشرة قروش فتبقى معه قرشان فقط ..

وفى داخل المسرح طلب نجيب من الجرسون فنجانين من الشاى فلما أحضرهما الجرسون ، أخفى الريحاني قطع السكر فى حقيبة صديقته ، وشرب الشاى بغير سكر ، فلما عادا الى البيت بعد انتهاء التمثيل ، اخرج الريحاني السكر من الحقيبة وطلب من صديقته أن تصنع شايا للعشاء ، وكان الريحاني قد اخذ السكر لأن بيته كان خالياً منه وتعشى هو وصديقته شاياً فقط ، بعد أن استنفدت تذاكر الفرقة التمثيلية كل نقوده !

وهكذا نرى أن الفنان الراحل نجيب الريحاني عاش طوال حياته يسخر من عيوب المجتمع ويضحك على قسوة المفاجاة فى حياتــه !

حسين عثمان







في هذا العدد:

- زاوية عنوانها أسئلة القراء
- المقتطف لمنشئها يعقوب صروف وفارس نمر
- الرجل والمرأة

عالم الفلك



زاوية عنوانها أسئلة القراء؟

قبل ربع قرن ، كان الكاتب الكبير يحيى حقي يبحث عن كتاب فى مكتبته ، فعثر ـ اثناء البحث ـ بمجلد من مجلدات « المقتطف » اشهر الدوريات الثقافية العربية فى عصرها ، واكثرها نفوذاً واطولها عمـرا .. وماكاد الكاتب الكبير ، يقلب بضعة صفحات من المجلد ، لارضاء فضوله ، حتى غرق فيه تماما ، ونسي الكتاب الذى كان يبحث عنه ، ذلك انه يصعب على معظم الناس ان يقاوموا الرغبة في قراءة الصحف القديمة .

ومع تعدد اهتمامات « المقتطف » وتنوع ابوابه من ادب الى فن ومن علم الى فلسفة ، ومن شئون المنزل إلى اخبار الاختراع ، فقد وقف الكاتب الكبير امام زاوية « اسئلة القراء » فوجد مبررات كثيرة ليطيل الوقوف ويطيل التعليق ، وبدلا من العثور على الكتاب الذى كان يبحث عنه ، كتب مقالا بعنوان « ابواب اسئلة القراء » ونشره فى مجلة « المجلة » القاهـرية عام ١٩٥٧م.

وهذا المقال هو المسئول عن شغفي الى اليوم بقراءة ابواب اسئلة القراء فى الدوريات الثقافية القديمة ، إذ ان هذا النوع من الابواب قد انقرض اليوم من الصحافة : يومية وأسبوعية وشهرية ، لتحل محله مقتطفات مما يكتبه القراء ، وتضيق به الصفحات .

« اسئلة القراء » زاوية ثابتة في تبويب معظم الدوريات الثقافية العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين . وهى زاوية يخصصها المحرر للرد على مايحير القراء من امور العلم والفن ومسائل التاريخ والجغرافيا وقضايا الفلسفة والفكر وعجائب الاكتشاف والاختراع .. وهي كائن حي كالصحف والمجلات والمجتمعات ، يصيبها الخمول وتلحقها التفاهة احيانا ، وتتوشح بالجدية والعمق فى احيان اخر . وفي كل الاحوال فهي مرآة شديدة الصقل ، تعكس حيرة المثقفين وهمومهم العقلية ، وتقدم صورة واقعية لتفاعلهم مع ما يقراون من كتب وصحف ودوريات !

وهي في مرحلة الشيخوخة ، تحولت زوايا اسئلة القراء ، الى وسيلة يتسول بها بعض القراء كتـب المحرر هدايا غير مدفوعة الثمن ، فاذا عزّت عليهم ، شحذوا صورته وكانه نجم عتيد من نجوم الشاشة الكبيرة او الصغيرة !
اما ايام فتوتها فكانت تلك الأبواب قبلة الذين يريدون مزيداً من فهم العالم ويبحثون عن حل للمعميات الاوربية التى طرقت ابواب العقل العربي منذ منتصف القرن الماضي ، بالحاح لا يعرف التردد ! ما السيكولوجيا وما السيسيولوجيا ؟ ما الداروينية وما اليوجينية ؟ . ومن اى كلية تخرج اديسون ، وهل يطيل الزواج الشرعي العمر ؟

اسئلة متنوعة ومتناقضة ، لاحد لما تطرح من قضايا ، لانه لاحد للمعرفة الانسانية . والغريب ان المحرر كان يتولى الاجابة عن كل الاسئلة ، ماكان منها فى الطب وماكان فى علم البيداجوجيا ، فقد كان اباؤنا من محررى الدوريات الثقافية فى القرن الماضى من الموسوعيين الذين يقرأون ويكتبون فى افرع عديدة من العلم لا رابط بينها ، فاذا كان سؤال القارىء معقداً عاد المحرر الى دوائر المعارف والموسوعات يبحث له عن اجابة ، فاذا لم يجدها إعتذر ـ فى تواضع العلماء ـ بأن فوق كل ذى علم عليم ! .

ولم يكن القراء جميعا فى نفس المستوى .. فهناك القارىء الذى تتواضع اهتماماته عند تاليف لغز رياضي أو مسالة حسابية ، تنشرها المجلة ليتبارى فى حلها القراء .. وهناك من تشغلهم مشاكل الدنيا ويبحثون عن حل علمي لها ، فيسالون عن وصفة كيماوية لتبخير شجر البرتقال ، أو عن وسيلة ناجحة لحماية الدواجن من الأوبئة ، بينما يشغل اخرون بالنحو والاعراب والبلاغة ، ويسعى غيرهم للبحث عن تاريخ اطلال اثرية تقع فى مواطنهم ، ويشكو كثيرون من عادات خلقية او انماط سلوكية يسعون للتطهر منها فتعجزهم الوسائل .

وربما لهذا السبب ، فان ابواب « اسئلة القراء » فى الدوريات الثقافية ، هي العينة الصالحة لدراسة هموم المثقفين ومشاكلهم وقياس مدى وعيهم بما يحيط بهم وبوطنهم من مشاكل !

ومما يزيد من قيمة « ابواب أسئلة القراء » كعينة للاستدلال منها ، ان الحق فى توجيهها لم يكن مطلقا لجميع القراء ، فهي زاوية ترحب باسئلة المشتركين فى المجلة فقط .. اما غير المشتركين فلا حق لهم فى توجيه الاسئلة ، ولا يزعج المحرر نفسه بالاجابة على تساؤلاتهم ، وهذا يعنى ان السؤال يصدر ـ فى اغلب الاعم ـ عن قارىء يملك حداً معقولا من الثقافة ، بحكم انتظامه فى قراءة مجلة ثقافية ، ومتابعته لما ينشر فيها ..

ولا احد يدرى لماذا كانت الدوريات الثقافية فى القرن الماضى تصر على هذا الشرط الغريب .. فتوصد ابواب اسئلة القراء فى وجه غير المشتركين .. ربما كانت تنظر إليه كحافز ينشط عدد المشتركين فيها ، وربما كان المحرر يضن بمجهوده على القارىء العابر ويحتفظ به للقارىء المثابر الدءوب .. ولعله ـ وهو الأرجـح ـ كان ينظر الى المجلة والقراء باعتبارهما اسرة واحدة تتبادل السعي من اجل الثقافة والوعي !

وأيا ما كان السبب .. فهو يدعوك ـ عزيزى القارىء ـ لكي تنظر الى الماضى دون خجل !

« صلاح الدين المقريزى »




المقتطف
جريدة
علمية صناعية
تصدر اول كل شهر
لمنشئيها يعقوب صروف وفارس نمر

المقتطـــف
لمنشئها يعقوب
صروف وفارس نمر

المناظـرة والمراسـلة

حضرة منشئي المقتطف المحترمين

قد ارسل اليكم بعض الخلان بطلب ان تتكرموا بايضاح وجوه الفرق بين الرجل والمراة وتبينوا رايكم في المسالة التي ناظر احدكم فيها وهي هل تبلغ المراة مبلغ الرجل إذا تساوت وسائطهما . ثم ثني الطلب خل اخـر بعد ان يئسنا من أن نرى شيئاً من ذلك في جريدة التقدم الغراء التي كانت قد اقترحت الخوض فيه على قرائها غير مرة . وقد رايتم انكم فتحتم في المقتطف الكبير باباً للمناظرة وهو غاية منى كثيرين فارجوكم أن لا تبخلوا بالجواب هذه المرة .

ديمتري السيوفي

المقتطف : هاكم وجوه الاختلاف في ما يلي واما الحكم في المسئلة فنتركه للذين يحبون ان يتناظروا فيها ..

الرجـــل والمـــرأة

نبذة اولى في مقابلة اوصافهما الجسدية

(١) معظم الفرق بين المراة والرجل في فرق معلوم . واخص الفرق بينهما في ما بقي من الاوصاف الجسدية.

(٢) الرجل اطول من المراة قامة وقد كان نقاشو اليونان ينقشون تمثال ابوللو اطول من تمثال الزهرة بنصف علو راس الانسان . ولا يخفى أن تماثيل القدماء مشهود لها من الخاص والعالم باستيفاء كمالات البنية الانسانية .

(٣) الرجل اثقل من المراة واعرض وكتفاه اعظم من كتفيها تربيعا ولذلك تراه يستدق من كتفيه فنازلا الى قدميه واما المراة فاعرضها عند وركيها ومن ثم تستدق صاعدا ونازلا ويشاهد ذلك جليا في التماثيل التي نقشها القدماء .

(٤) الرجل اضخم من المراة عظما واشد منها قوة وعضله اكثر من عضلها ظهورا وبروزا .

(٥) الرجل اوسع وابرز من المراة حنجرة واغلظ واوطا منها صوتا .

(٦) الرجل اثقل من المراة دماغا واكبر ولم يتحقق حتى الآن على ما نعلم إن كان نسبة كبر دماغه الى جسده تزيد عن نسبة كبر دماغها الى جسدها .

(٧) الرجل اشد من المراة بطشا وميلا للقتال واعلى منها همة وامضى عزيمة وأجود قريحة للاختراع والاستنباط وربما كان ادراج ذلك في اوصافهما العقلية اولى من إدراجه هنا .

(٨) المراة اكثر من الرجل نسيجا خلويا ولذلك تجد اعضاءها مستديرة ممتلئة مختلطة عضلاتها واعضاء الرجل مميزة عضلاتها . وهذا يزيدها عنه جمالا وغضاضة .

(٩) المراة اوسع من الرجل حوضا وعظم فخذها اكثر من عظم فخذه انحرافا الى الانسية وصدرها اكثر من صدوره استدارة .

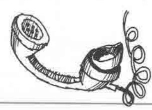
(١٠) المراة تراهق قبل الرجل ويتوقف نموها قبله . وهي اطول منه عمراً كما ثبت بالاستقراء ولكن يولد من الذكور اكثر مما يولد من الاناث . وإن صدقنا بعضهم فمن كل ٣٣ ولد يولد ١٧ صبيا و ١٦ بنتا .

(١١) المراة ابهى من الرجل لونا في بعض القبائل واقل منه شعراً . فقد قال شفينفرت ان نساء زنوج المنبطو اخف سواداً من رجالهم . وقال دارون ان نساء اوربا اشرق لونا من رجالها. والرجل يمتاز عن المراة بالشعر ولا سيما بشعر الوجه إلا ان بعض الأمم لا يزيد شعر رجالها على شعر نسائها .

(١٢) المراة مستديرة الوجه اكثر من الرجل وفكاها وقاعدة جمجمتها اصغر من فكيه وقاعدة جمجمته .

التـــليفـــون

قالت جريدة اللومبار الكرتريك ان التليفون (هو الآلة التي يسمع بها الحديث عن بعد) في الولايات المتحدة قد أصبح من الآلات التي تستخدمها العدلية لاستماع الحديث الذي يجري بين المتهمين وهم في السجن . فالمكرفون آلة يمكن استماع الصوت بها بالتليفون دون وضع الفم على فم الآلة . وخطر ببال القوم في نيويورك من امركا بان يضعـوا مكرفونا في حائط حجرة من حجر السجن مع تغطية فم هذه الآلة بورق رقيق لونه كلون الحائط فيه ثقوب صغيرة جداً لا ترى إلا بالتمعن فادخلت الضابطة الى هذه الحجرة المتهم ثم والديه وتركوهم وحدهم فيها . ووضع احد المامورين اذنه على التليفون المتصل بالمكريفون . ونجحت الحكومة كل النجاح بهذا الأمر فان المتهم لم يخطر بباله ان في تلك الحجرة آلة تنقل حديثه الى الخارج أي أنه لم يعلم ان في الحائط اذانا فعندما راى نفسه وحده مع والديه اخذ يتكلم عن الجناية المتهم بها . فسمع المامور اخباراً مهمة الت الى اكتشافات ذات نفع عظيم .





مؤلف وطابع



اقيمت دعوى مستظرفة فى لوندرا بين مؤلف وطابع والسبب فيها أن المؤلف سلم الطابع كتابا مخطوطا بيده كبير الحجم متسع المادة بغية ان يقراه ويعيده بعد ذلك إليه وكان الامر فى لوندرا .

فاستلم الطابع الكتاب واستبقاه عنده شهرين كاملين حال كون العهد أن يبقيه أياما معلومة لا يتجاوزها . فاخذ المؤلف يطالبه به وهو يحاذف ويماطل من وقت الى اخر إلى ان نفذ الصبر وأمسى صاحب التاليف على احر من الجمر فلم ير بدآ ان يستحصل حقه بيده عنوة ولهذا سار الى بيت الطابع مصحوبا برفيقين قـويي البدن شديدى العصب ولدى دخولهم المنزل انقضوا بجملتهم على ذلك البليد المسكين فأوثقوه بالكتاف ثم القوا عليه ايديهم الثقيلة يطالبونه بحقهم ومستحقهم فصرخ هو صرخة الاواه وكادت روحه تزهق لو لم يكن لها ثقل الرصاص ولطاقة الحديد بما يقعدها عن الخروج من حلقومه . وقال لخصومه دعوني وشاني لا كتاب لكم عندى ولا علاقة لكم بي اما هم فاصروا على مطلبهم حتى سمع الجيران الضوضاء فتداعوا الى الدار يتساءلون ماذا عسى أن يكون ومازالوا إلى ان وقفوا على جلية الامر فاشاروا على الكاتفين باللين وعلى المكتوف بالتساهل ولكنه ابى إلا الانكار والمكابرة ثم اتصل الخبر بالبوليس فاتى وفرق الحشد ورفع صورة الحادث لمرجعه . ولم يصبح صباح اليوم التالي حتى رفع صاحبنا الطابع الدعوى على اخصامه للحكومة من انهم اعتدوا عليه وخرقوا حرمة المنزل المقدسة وطلب الاستعاضة والجزاء النقدى لا عاشت البلادة ولا حييت الاكاذيب والمماطلة .

إعــلان
من إدارة الكوكب المصري



بحول الله وقوته قد شرعت المطبعة العامرة بالمحروسة المحمية ذات الادوات المستوفية البهية الحائزة من جمال الحروف ووضوحها وبهجتها وحسن الصنعة وكمال الصحة ودقتها مع بديع ادواتها واشكالها فى طبع حاشية العلامة والحبر البحر الفهامة من ليس له فى الفضائل مساوي الشيخ عبد الله الشرقاوى على شرح التحرير وبهامشها تقرير العلامة الذهبى التحرير وكذا طبع قاموس اللغة العربية للفيروز ابادى المحيط ومقامات البلاغة للعلامة ذى العرفان والبراعة ابى القاسم الحريرى فى اللغة العربية والفنون الادبية وفتاوى الحامدية للعلامة ابن عابدين خاتمة محققى الحنفية حيث انها كافية لكل مفتي وطالب لاشتمالها على غرر المسائل وجليل المطالب وقد جعل لمبيع تلك الكتب المذكورة التى هى بكل فضل مشهورة ميعادان تباع فى أولهما بقليل الأثمان مع كونها جليلة القدر والشان فاول ميعاد من خمسة عشر شعبان لغاية شوال سنة ١٢٩٨ والميعاد الثانى من ابتداء ذى القعدة من هذا العام الى ان ينتهى شهر القعدة بالتمام والميعاد الثالث من بعد ذلك الى ما شاء مولانا مالك الممالك ولمن يدفع ثمن عشر نسخ نقدية من الصحافيين والكتبية فى كل مائة قرش خمسة قروش كاملة رفقاً بهم فى تسهيل المعاملة ودفع الثمن يكون باحد محلين إما بالمطبعة او بمحل انجله نسيم كاستلى على يسار الذاهب الى الامام الحسين وهاك بيان الأثمان على حسب تفاصيل مواعيد الاعلان جميعه بالعملة للصاغ الميرية .

المناظرة والمراسـلة

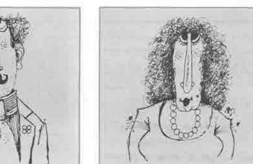
نبذة ثانية
فى مقابلة أوصافهما العقلية

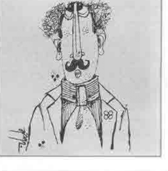
الأوصاف العقلية تشمل هنا اوصاف القوى العاقلة والحاسة معا فالبعض ينكرون وجود الفرق الغريزى بين الرجل والمراة فى ذلك والبعض يدعون انه موجود واخصه .

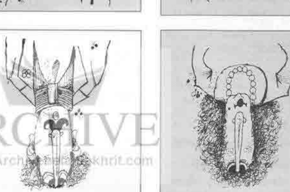
(١) ان المراة احن من الرجل واقل منه حبا لنفسها متوحشة كانت أو متمدنة . وهى تظهر هاتين الصفتين لأولادها بما عندها من العواطف الشديدة الوالدية أكثر كثيرا مما يظهرهما الرجل ولذلك يسهل عليها ان تتوسع فى اظهارهما حتى تشمل بهما بقية ابناء جنسها بخلاف الرجل فانه لما كان يميل من طبعه الى الخصام والبطش والصراع والمباراة مع اقرانه كان سريع التهور الى الطمع . واذا تهور الى الطمع لم يبق منه بينه وبين حبه لنفسه وتخصيص الصالح به وحرمان النعم لغيره إلا خلة لا يعجز عنها احد .

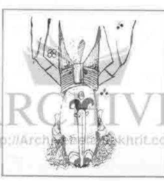
(٢) ان الفريقين يسلمان بكون المراة تفوق الرجل











فى البداهة وسرعة الملاحظة وربما فاقته فى التمثل بغيرها ايضا . ولكن بعض ذلك خاص الآن بالادنياء من الناس ولا يصدق على المرتقين فى التمدن .

(٣) الرجل اسمى من المراة عقلا . ليس ان كل رجل اسمى عقلا من كل امراة كما ربما توهمه البعض بل ان الرجل بوجه العموم اعقل وبعبارة النحاة حقيقة الرجل اعقل من حقيقة المراة .

ودليل ذلك انه اذا دونت اسماء الرجال والنساء الذين اشتهروا فى الشعر والتصوير والنقش والموسيقى والعلم والتاريخ والفلسفة واشغال الحواس وصناعة اليد وقوبل بينها كان الفرق بين الرجال والنساء عظيما جدا فى البراعة وطول الباع كما ثبت بالاستقراء .

(٤) اذا تسابق الرجل والمراة على امر من الامور وكانا متساويين فى القوى العقلية تمام التساوى فالامر واضح ان اعلاهما همة واكثرهما مواظبة واقداما يحوز قصب السبق على رفيقه . وقد قال الفيلسوف ستورت مل ان الامور التى يفوق الرجل المراة فيها بالاكثر هى التى تقتضى زيادة كد واجتهاد وتنقير وتنقيب فى فكر واحد . وقد تقدم ان الرجل يفوق المراة همة واقداما فهو يفوقها ولو ساوته عقلا .

فهذا اخص ما يمتاز به الرجل عن المراة على ما يلوح لنا وهو يثبت اعظم الاوصاف له ويميزه عليها وعندنا ان ذلك مقطوع به فى الاحوال الحاضرة إلا انه لا يوجه وجها من وجهي المسالة التى وقعت فيها المناظرة وهى (هل تبلغ المراة مبلغ الرجل اذا تساوت وسائطهما) . ولا يحكم لوجه من الوجهين ما لم يثبت ان وجوه الاختلاف التى تتعلق بالمسالة لم تحصل من تفاوت الوسائط او ان تساوى الوسائط لا يزيلها . او يثبت انها حصلت من تفاوت الوسائط وانه اذا تساوت الوسائط بلغت المراة مبلغ الرجل . والظاهر ان هذا ما اقترحه بعضهم على قراء التقدم الاغر عن لسان صديقنا الدكتور شبلى شميل . وعليه لم تزل المسالة فى معرض المناظرة .

«يعقوب صروف»

إعلان
إلى أبناء وطننا
ومحبّي التقدم والعمران

عزمنا والعون على الله تعالى على تمثيل رواية الوطن وطالع التوفيق بتياترو زيزينيا مساء يوم الخميس ١٧ شعبان سنة ٩٨ مع ليلة الجمعة وهى الرواية التى جعلتها تذكارا لجلوس مولانا الخديوى حفظه الله فانى صورت فيها حالتنا وما كنا فيه من الذل والاهانة وما تحملناه من المظالم والمغارم ثم تخلصت بجلوس مولانا الخديوى ومساعدة وزرائه الكرام على افكاره الحسنة ومقاصده الخيرة وما تعانيه رجاله من الاشتغال بحفظ الأمة وصيانة الوطن وما تنورت به الافكار حتى اهتدت لفتح الجمعيات التى بها تكثر المعارف وتعود ثروة البلاد وهى تشخص بتلامذة المدرسة ليرى الناظر ما وصل اليه ابناؤنا من القوة التى بها يقفون فى المحافل العظيمة يشخصون ما لا يقوم به إلا العظيم من الرجال وقد قدرت قيم الاوراق كما تراه وقد تعودنا من اهلينا أن يتناهبوا الورق قبل الاعلان عن بيعه ولا نعدم منهم تلك المساعدة فقد اشتدت رغبتهم فى المعارف وغيرتهم على ما يقدم الوطن من التحسينات وناهيك بمن يتفرج على حال بلاده فيبكى عند الذل ويضحك عند الهزء ويسر عند الاصلاح .

فرنك	
٤٠	لوج درجة اولى
٣٠	لوج درجة ثانية
٢٠	لوج درجة ثالثة
٠٥	كراسى منمرة .
٠٣	دخول عمومى .
٠١	باعلى التياترو .

وما ذلك على محب الخير بكثير فانى ما اتحمل هذه الاتعاب واصرف افكارى إلا فيما يعود على البلاد بالنفع وعلى ابنائنا بالثمرة .

اصدرنا هذا العدد اربعا وعشرين صفحة اكراما لشان الجمعية الخيرية الدمنهورية وإنى وإن تكلفت زيادة مصروف فى الورق والمطبعة والبوستة ولكن خدمتى للجمعيات وشغفى بها يحسن لي هذا المصرف لا اقول يسهله فما فى طريق الجمعيات صعب وسنعود لاصداره على الحالة الاولى من العدد السادس .

الورقة الأخيرة

علي عبد الله خليفة

جاسم العمران والموسيقى في الخليج

● فى عصر ثورة المعلومات و تكنولوجيا توثيقها وحفظها واستظهارها يخالجنا الشعور بالخيبة لاننا لا نملك من كل ذلك إلا ما هو عام ومتيسر لبنوك المعلومات فى العالم، وإذا اجدنا استخدامها ففي مجال الارقام ، وسعر العملة ، وقيمة الذهب .

وفى الوقت الذى تقدم فيه الموسوعات الاجنبية معلومات جديدة عن اعلام الدنيا في كل المجالات جنبا الى جنب مع اسماء ادباء وفنانين ناشئين فاننا فى الخليج نحتار فى التعرف بحياة وأعمال رواد اجلاء عبروا عالمنا المليء بالضجيج والزيف بهدوء وبتواضع العلماء ، حفروا صخر واقعنا باظافرهم ، صنعوا ما امكنهم وتركوه علامة للمبصرين ، تجنبوا الاعلان وضجيج الاعلام ، ضمدوا جرح حياتهم وبعزة وكبرياء مضوا فى صمت وهدوء .

فى أوائل شهر يوليو الماضى رحل الفنان جاسم محمد العمران أحد رواد الموسيقى فى الخليج بعد حوالي ستين عاماً عاشها مع النغم يجالد فى خلق جيل من العازفين المبدعين ، والتفتت الصحافة الخليجية ذات اليمين وذات الشمال تبحث عن معلومة صغيرة عن حياة واعمال الفنان الراحل لتضمينها خبر النعي السريع فلم تجد إلا اسطرا قليلة انتزعتها انتزاعاً عن صورة من جواز سفره ومن شهادة تخرجه بملف خدمته باحدى الوزارات ، فهو اسم جديد على صحافة اليوم . والتفتنا كلنا لمعرفة المزيد فلم نجد ، ترى مسئولية من هذا التقصير المعيب ؟

كان الرجل متواضعا ، صموتاً ، دؤوب العمل ، من ذلك الجيل الذى ولد فى المحرق بالبحرين مع تاسيس اول مدرسة أهلية عام ١٩١٩م ، فاذا كان التعليم فى المدارس ذلك الوقت قد قاومه المتزمتين ووضعوا فى طريقه الصعاب والعقبات فما بالك بالمتاعب التى يلقاها شاب مولع بالموسيقى وهو يتلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة الهداية بالمحرق ، ثم يصر رغم ظروفه الاجتماعية الصعبة على دراسة الموسيقى ، فيلتحق بمعهد الموسيقى العربية فى بغداد ، ويظهر نبوغا فى دراسته ويبدع في العزف على آلة الكمان التى كان لها دور جديد فى الأغنية الخليجية من خلال مصاحبة آلة العود وايقاع المراويس فى فن الصوت . ثم يعود الى البحرين يحاول أن يدرس الموسيقى فتضيق به سبل العيش فيرحل الى الكويت ليسهم فى الحركة الفنية ، وليعمل موظفا فى الصباح ويقوم بتدريس الموسيقى فى الفترات المسائية ، حيث تتلمذ على يديه عدد من رواد الأغنية فى الكويت الآن.

وفى أوائل السبعينات يعود الى بلده بحلم جديد : تأسيس أول معهد عال للموسيقى ، ويجهد نفسه ويصرف من جيبه الى أن يتأسس المعهد وينتظم به الدارسون ، ويعد لتخريج الدفعة الأولى بعد ان اجتهد فى اقناع الدولة . بتبنى ابتعاثهم لمواصلة الدراسة فى المعاهد العليا ، ويتولى بنفسه كل صغيرة وكبيرة تخصهم .

ويظل فى موقعه سنوات الى ان يجد بان متطلبات تدريس الموسيقى اكثر من طاقته على الاستمرار ، يسلم الراية لآخرين ، ويرحل الى دولة الامارات للعمل كمستشار فني للموسيقى بوزارة الاعلام والثقافة فيسهم في وضع البذور الاولى للحركة الفنية ويعمل من خلال موقعه على تبني المواهب الجديدة ورعايتها ووضع اقدامها على أول الطريق .. الى ان يتوفاه الله فى دمشق وهو يقضي اجازة صيف هذا العام .

وفى اغسطس من العام الماضي كنت في ابو ظبي فى جولة عمل ميداني لتسجيل افادات الدارسين والفنانين حول الأغنية الشعبية فى الخليج ، وكان العمران معي مجتهداً في تسهيل المهمة والدخول في تفاصيلها ورشح لي اسماء فنانين من أجيال مختلفة يجيدون تقديم معلومات تفيد موضوع البحث ، مؤجلا اللقاء به لحين الانتهاء من تسجيل افادات كل الفنانين . وعندما جاء دوره ، وكانت الكاميرات معدة والأضواء فى انتظاره ، ابتسم لي قائلا : ولكنني لا اجيد تنميق الحديث وليس لدى أكثر مما قدمه الأخوة ، وأمام الحاحي لم احصل منه إلا على وعد بزيارة الدوحة لأسجل له افادات فنية فى متسع اكبر من الوقت .

ان أهم ما قدمه العمران الى الموسيقى فى الخليج هو التاكيد على أن الموسيقى فن وعلم في وقت كانت فيه الموسيقى رجس من عمل الشيطان ، ويظل يؤكد ذلك بالعمل الدؤوب فى دراسة الموسيقى ومن ثم رعاية المواهب الموسيقية بجهده الفردى المتواضع حتى برز علـى يديه تلامذة نجباء من مختلف الاعمار فى أغلب بلدان الخليج يقرون بفضله ويعترفون باستاذيته .

● هـل كانت لـدى جاسم العمران اعمال موسيقية ؟

● هـل دون ملاحظـات وآراء حـول فنـون الغنـاء الخليجي من واقع خبرتـه وممارسته الطويلــة ؟

● هل بين أوراقـه ما يمكن أن ينشر فيستفـاد منه ؟

اللـــه اعـــلم .